



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

المصنف
في الأشكال

في الأشكال

الألف
بدر الدين محمد بن عبد الله

بدر الدين
محمد بن عبد الله

المصنف
في الأشكال
بدر الدين محمد بن عبد الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القياده في الاسلام

كاتب:

محمد محمدي ري شهري

نشرت في الطباعة:

موسسه علمي فرهنگي دارالحديث

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
20	القيادة فى الاسلام
20	اشارة
20	اشارة
26	دليل الموضوعات
40	تمهيد
40	اشارة
42	المدخل
43	أنواع الإمامة و القيادة
43	الإمامة الإبراهيمية
44	الامة الإبراهيمية
45	القيادة الفرعونية
46	المجتمع الفرعونى
47	انواع القيادة القيمية
48	الخلاصة
50	القسم الأول: فلسفة قيادة
50	اشارة
52	الفصل الأول: القيادة السياسية
52	اشارة
52	القيادة السياسية من منظار المذاهب الإسلامية
53	القيادة السياسية من منظار المذهب المادى
55	ما معنى تعميم الإمامة؟
58	القيادة السياسية من منظار إسلامى

61 ما يعلم الإمام ع أتباعه

61 1-قول الحقّ شيء و الاعتقاد بالحقّ شيء آخر

61 2-أسلوب مواجهة شعار المتظاهرين بالثورة

62 3-ضرورة إقامة الحكومة

63 فلسفة ولاية الفقيه

69 فلسفة إمامة المعصوم

70 تعريف المعصوم

70 الفرق بين المعصوم والمجتهد

71 اعلى درجات القيادة

72 الخلاصة

72 فلسفة ولاية الفقيه

73 فلسفة إمامة المعصوم

74 الفصل الثاني: القيادة الأخلاقية

74 اشارة

75 درجات القيادة الأخلاقية

77 ولاية القادة الأخلاقيين

78 نموذج القيادة الأخلاقية

80 الفصل الثالث: القيادة العلمية

80 اشارة

81 قيادة القرآن العلمية

82 قيادة المعصوم العلمية

83 مناظرة عمر بن اذينة مع قاضى الكوفة

86 مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد

92 الفصل الرابع: القيادة الباطنية

92	اشارة
92	تعريف الولاية التكوينية
93	درجات الولاية التكوينية
93	اشارة
93	1-السيطرة على النفس
94	2-التغلب على الخيال
95	3-القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة مادية
95	4-السيطرة التامة على الجسم
95	5-السيطرة على الكون
96	بضع ملاحظات
98	فلسفة الولاية التكوينية
98	دور الإمام في هداية الإنسان باطنياً
103	عرض أعمال الأمة على الإمام
105	دور الإمام في نظام الأرض
105	دور الإمام في النظام الكوني
107	الخلاصة
110	القسم الثاني: موقع القيادة
110	اشارة
111	تمهيد
112	الفصل الاول: القيادة من منظار القرآن الكريم
112	اشارة
112	أ: عهد الله
113	ب: سبيل الله
117	الخلاصة
118	الفصل الثاني: القيادة من منظار النبي صلى الله عليه وآله

118	اشارة
118	أ-القيادة الربانية محور الثورة الإسلامية:
118	اشارة
120	عصر العلم و عصر الجاهلية
122	أىّ إمام تجب معرفته؟
124	ب-القيادة الربانية شرط لقبول الأعمال الصالحة:
130	الخلاصة
132	الفصل الثالث: القيادة من منظار أهل البيت ..
132	اشارة
132	أ-موقع القيادة القيمة
132	اشارة
132	1-أصرة التوحيد و الإمامة
135	2-مفتاح المبادئ الإسلامية
137	3-أسس الإسلام النامى
139	ب-خطر القادة المناوئين للفضائل و القيم
139	اشارة
139	1-باطن الأدناس جميعها
140	2-أساس الشرور جميعها
142	الخلاصة
144	الفصل الرابع: القيادة من منظار أتباع أهل البيت عليهم السّلام
144	اشارة
144	المعيار فى اصول الدين
145	الإمامة من اصول الدين
150	الخلاصة
152	القسم الثالث: موامرتان خطرتان

152	اشارة
154	الفصل الاول: فصل القيادة
154	اشارة
155	المؤامرة الكبرى
157	كيفية فصل الدين عن السياسة
163	الأحاديث الموضوعية والحكومات الفاسدة
168	الخلاصة
170	الفصل الثاني: تحريف القيادة
170	اشارة
170	أقسام التحريف
170	اشارة
170	أ-التحريف الجليّ
173	ب-التحريف الخفيّ
174	سرّ حكومة أنمّة الجور
177	جذور التحريف
180	مقارعة الظلم واجب عقلیّ
181	التعارض مع القرآن الكريم
183	التعارض مع سيرة الأنمّة
187	التعارض مع أحاديث القيام
196	الخلاصة
198	القسم الرابع: خصائص القيادة
198	اشارة
199	تمهيد
200	الفصل الاول: معرفة الإسلام
200	اشارة

201	تعريف الاجتهاد
202	معرفة الموضوع و الاجتهاد
203	الخلاصة
204	الفصل الثاني: العدالة
204	اشارة
205	درجات العدالة
205	اشارة
205	1-العدل العقيدىّ
205	2-العدل الفقهيّ
206	3-العدل الأخلاقيّ
206	4-العدل العرفانيّ
207	العدالة و القيادة
208	نظرة على العصمة
208	ملاحظات تستحقّ الاهتمام
210	الخلاصة
212	الفصل الثالث: الإدارة
212	اشارة
213	الفصل بين القيادة و المرجعية
214	الإدارة فطرية أم اكتسابية؟
215	دور التعليم و التجربة فى الإدارة
217	دور شرح الصدر فى الإدارة
219	شرح الصدر بالكفر
220	الخلاصة
222	الفصل الرابع: الوعى السياسىّ
222	اشارة

223 السياسة فى قاموس السياسة التقليديين
225 أنت أسوس أم أنا؟!
226 السياسة من منظور الإسلام
228 السياسة و الشيطنة!
229 انتقاد سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
233 الخلاصة
234 الفصل الخامس: معرفة الزمان
234 اشارة
236 معرفة القادة الربانيين بالزمان
236 معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بزمانه
239 معرفة الفقهاء بالزمان
242 الخلاصة
244 الفصل السادس: معرفة الناس
244 اشارة
244 النبىّ صلّى الله عليه وآله و معرفة الناس
246 الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و معرفة الناس
247 الأئمة و معرفة الناس
250 الخلاصة
252 الفصل السابع: مداراة الناس
252 اشارة
253 النبىّ صلّى الله عليه وآله و مداراة الناس
254 وقاية الأتباع من الانحراف
255 تأليف قلوب الأعداء
256 وقاية القيادة من الأراجيف المثارة ضدّها
256 الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و مداراة الناس

258	سياسة الإمام عليه السلام في مواجهة الانحرافات .
265	الخلاصة
266	الفصل الثامن: الجاذبية الأخلاقية ..
266	إشارة
266	الجاذبية الأخلاقية لنبينا صلى الله عليه وآله ..
268	اعتراف العدو
270	الخلاصة
272	الفصل التاسع: السبق إلى العمل ..
272	إشارة
277	الخلاصة
278	الفصل العاشر: الإيمان بالهدف ..
278	إشارة
278	المثل الأعلى للإيمان
282	الخلاصة
284	الفصل الحادي عشر: الأمل بالنجاح ..
284	إشارة
284	النبى صلى الله عليه وآله والأمل بالنجاح ..
285	الانتصار على الفرس و الروم ..
286	الإخبار بظهور الإسلام على الدين كله ..
286	تفسير النجاح
288	الخلاصة
290	الفصل الثاني عشر: علو الهمة ..
290	إشارة
290	آثار علو الهمة ..
291	آثار قصر الهمة ..

292	درس من حشرة!
293	علوّ الهمة و القيادة
293	اشارة
294	أ-حكومة الإسلام العالمية
294	ب-اجتثاث جذور الجهل
295	الخلاصة
296	الفصل الثالث عشر: الصبر
296	اشارة
296	القيادة و المقاومة
298	الإخلاص في الثبات
298	امر الله تعالى نبيه بالصبر و الاستقامة
301	الخلاصة
302	الفصل الرابع عشر: اليقين
302	اشارة
302	أهمّ خصائص الإمامة
302	اشارة
303	1-الصبر
303	2-التوكّل
303	اشارة
304	دور اليقين في التوكّل
305	3-الإخلاص
305	اشارة
307	قصة ذات عبرة من إخلاص موسى عليه السّلام
308	دور اليقين في الإخلاص
308	4-الزهد

308	اشارة
309	دور اليقين فى الزهد
311	5-الشجاعة
311	اشارة
312	دور اليقين فى الشجاعة
313	6-الصدق
313	اشارة
313	دور اليقين فى الصدق
314	دور اليقين فى أرفع درجات القيادة
316	الخلاصة
318	القسم الخامس: آفات القيادة
318	اشارة
320	الفصل الاول: الهوى
320	اشارة
322	الإمامة و اللهو و اللعب
323	ضروب اللهو من منظار الإسلام
323	اشارة
323	1-اللهو الممدوح
323	2-اللهو المذموم
324	3-اللهو الحرام
324	الإمامة و الملذّات المباحة
328	الخلاصة
330	الفصل الثانى: الظلم
330	اشارة
333	الخلاصة

334 الفصل الثالث: الاستبداد
334 اشارة
334 خطر الاستبداد
335 الوقاية من الاستبداد
336 الغنى عن المشاور
338 مشاورة الأعداء!
338 ملاحظات حول مشورة القائد
338 اشارة
338 أ-المشاورة لا الطاعة!
338 اشارة
338 من ذكرياتي مع السيد الإمام
341 ب-المشاورة المضرة
342 ج-المشورة و التردد في اتخاذ القرار
345 الخلاصة
346 الفصل الرابع: الانسياق لآراء الآخرين
346 اشارة
347 خطر الانسياق لآراء الآخرين
348 استقلال الرأي و القيادة
350 الخلاصة
351 الفصل الخامس: أمراض أخلاقية
351 اشارة
354 الخلاصة
356 القسم السادس: الحقوق المتبادله بين الناس و القيادة
356 اشارة
358 الفصل الاول: حقوق الناس في النظام الاسلامى

358	اشارة
369	ولاية الفقيه المطلقة وحقوق الناس
369	اشارة
369	1-التفاوت بين أساس الحكومة الإسلامية و أساس الحكومات الديمقراطية
370	2-معنى الولاية المطلقة للفقيه
371	الخلاصة
373	الفصل: الثاني: حق النقد
373	اشارة
374	انتقدوني!
376	ضروب النقد السياسي
376	اشارة
376	1-النقد السياسي البناء
377	2-النقد السياسي الهدّام
378	مواصفات النقد البناء
378	اشارة
379	1-العلم
379	2-الإنصاف
380	3-الأسلوب المرضي
381	خصائص النقد الهدّام
381	اشارة
381	1-جهل الناقد
382	2-الظلم
382	3-الاسلوب المذموم
383	اسلوب التعامل مع النقد الهدّام
384	درس من السيرة النبوية

384	اشارة
386	1- لا يسلم أحد من الانتقادات غير الموجهة
387	2- التشكيك في مطالبة المتطرفين السياسيين بالعدالة
388	3- مبدأ مراعاة المصالح السياسية
389	4- مصير النقد السياسي الهدّام
389	الإمام على عليه السلام و النقد الهدّام
390	انتقاد المارقين
392	الإمام عليه السلام و الناقدون الجهلة المتعصبون
395	الخلاصة
397	القسم السابع: ائمه الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله
397	اشارة
399	الفصل الأول: أوصياء النبي صلى الله عليه وآله
399	اشارة
400	فرضيات
400	1- الطريق السلبى :
400	اشارة
401	أ- أخطار هذا الطريق
401	اشارة
401	اتخاذ القرار المتعجل
402	افتقار ورثة الثورة الإسلامية إلى النضج الإسلامى
404	الأقلية المتغلغله
404	ب - إهمال المستقبل
406	2- نظام الشورى:
406	اشارة
406	أ- تبين قانون الشورى

407	ب - توعية ورثة الثورة
407	ج - استعداد ورثة الثورة
407	اشارة
408	القدرة على تشخيص الأصلح
408	استقامة الناخب
410	3- تعيين القائد القادم :
410	اشارة
412	تعريف قادة المستقبل
415	أوصياء النبي الاثنا عشر
420	أ- الغيبة الصغرى:
420	ب - الغيبة الكبرى:
421	بركات الإمام الغائب
423	الخلاصة
427	الفصل الثاني: الفقهاء الحازنون على شروط القيادة
427	اشارة
428	خطة النضال عند أهل البيت عليهم السلام
428	اشارة
430	1- عدم الاعتراف بشرعية الحكومات الجائرة
430	2- قيادة الفقهاء العدول
434	نواب الإمام المهدي عجل الله فرجه بالتخصيص
434	الحكمة من النيابة الخاصة
435	انتهاء النيابة الخاصة
436	استمرار النيابة العامة في الغيبة الصغرى
436	الحكمة من انقطاع النيابة الخاصة
436	اشارة

436 أ. حكمة سياسية .

437 ب - حكمة اجتماعية

437 إشارة

437 تجربة العصر الديمقراطي .

438 دور الناس في تعيين النواب العامين الإمام .

440 الخلاصة

442 تعريف مركز

سرشناسه: محمدی ری شهری ، محمد ، - 1325

عنوان و نام پدیدآور: القيادة في الاسلام / تالیف محمد محمدی ری شهری ؛ تعریب علی الاسدی

مشخصات نشر: قم : موسسه فرهنگی دار الحدیث ، 1375.

مشخصات ظاهری: ص 478

شابک: 964-5985-34-16000 x ریال

یادداشت: عربی

یادداشت: عنوان اصلی : رهبری در اسلام .

یادداشت: کتابنامه : ص . [463] - 478؛ همچنین به صورت زیرنویس

موضوع: رهبری (اسلام)

موضوع: امامت

موضوع: اسلام و دولت

موضوع: ولایت فقیه

شناسه افزوده: اسدی ، علی ، مترجم

رده بندی کنگره: 8/322PB / م 33 3409 5731

رده بندی دیویی: 54/792

شماره کتابشناسی ملی: م 78-1238

ص: 1

القياده فى الاسلام

تاليف محمد محمدى رى شهرى

تعريب على الاسدى

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

دليل الموضوعات

ص: 5

دليل الموضوعات

٢١	تمهيد
٢٣	المدخل
٢٤	أنواع الإمامة والقيادة
٢٤	الإمامة الإبراهيمية
٢٥	الأمة الإبراهيمية
٢٦	القيادة الفرعونية
٢٧	المجتمع الفرعوني
٢٨	أنواع القيادة القيمية
٢٩	الخلاصة

القسم الأول : فلسفة القيادة

٣٣	الفصل الأول : القيادة السياسية
٣٣	القيادة السياسية من منظور المذاهب الإسلامية
٣٤	القيادة السياسية من منظور المذهب المادي

٣٦ ما معنى تعميم الإمامة؟
٣٩ القيادة السياسيّة من منظور إسلامي
٤٠ ضرورة القيادة السياسيّة
٤٢ ١ - قول الحقّ شيء، والاعتقاد بالحقّ شيء آخر
٤٢ ٢ - أسلوب مواجهة شعار المتظاهرين بالثورة
٤٣ ٣ - ضرورة إقامة الحكومة
٤٤ فلسفة ولاية الفقيه
٥٠ فلسفة إمامة المعصوم
٥١ تعريف المعصوم
٥١ الفرق بين المعصوم والمجتهد
٥٢ أعلى درجات القيادة
٥٣ الخلاصة
٥٥ الفصل الثاني: القيادة الأخلاقيّة
٥٦ درجات القيادة الأخلاقيّة
٥٨ ولاية القادة الأخلاقيين
٥٩ نموذج القيادة الأخلاقيّة
٦٠ الخلاصة
٦١ الفصل الثالث: القيادة العلميّة
٦٢ قيادة القرآن العلميّة
٦٣ قيادة المعصوم العلميّة
٦٤ مناظرة عمر بن أذينة مع قاضي الكوفة
٦٧ مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد
٧١ الخلاصة

٧٢	الفصل الرابع : القيادة الباطنيّة
٧٢	تعريف الولاية التكوينيّة
٧٤	درجات الولاية التكوينيّة
٧٤	١ - السيطرة على النفس
٧٥	٢ - التغلب على الخيال
٧٦	٣ - القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة ماديّة
٧٦	٤ - السيطرة التامة على الجسم
٧٦	٥ - السيطرة على الكون
٧٧	بضع ملاحظات
٧٩	فلسفة الولاية التكوينيّة
٧٩	دور الإمام في هداية الإنسان باطنياً
٨٤	عرض أعمال الأئمة على الإمام
٨٦	دور الإمام في نظام الأرض
٨٦	دور الإمام في النظام الكونيّ
٨٨	الخلاصة

القسم الثاني : موقع القيادة

٩٣	الفصل الأوّل : القيادة من منظار القرآن الكريم
٩٣	أ : عهد الله
٩٤	ب : سبيل الله
٩٨	الخلاصة
٩٩	الفصل الثاني : القيادة من منظار النبي ﷺ
٩٩	أ : القيادة الربانيّة محور الثورة الإسلاميّة

- ١٠١..... عصر العلم وعصر الجاهلية
- ١٠٣..... أي إمام تجب معرفته؟
- ١٠٥..... ب : القيادة الربانية شرط لقبول الأعمال الصالحة
- ١١١..... الخلاصة
- ١١٣..... الفصل الثالث : القيادة من منظار أهل البيت عليهم السلام
- ١١٣..... أ - موقع القيادة القيمية
- ١١٣..... ١ - أسرة التوحيد والإمامة
- ١١٦..... ٢ - مفتاح المبادئ الإسلامية
- ١١٨..... ٣ - أسس الإسلام النامي
- ١٢٠..... ب : خطر القادة المناوئين للفضائل والقيم
- ١٢٠..... ١ - باطن الأذناس جميعها
- ١٢١..... ٢ - أساس الشرور جميعها
- ١٢٣..... الخلاصة
- ١٢٥..... الفصل الرابع : القيادة من منظار أتباع أهل البيت عليهم السلام
- ١٢٥..... المعيار في أصول الدين
- ١٢٦..... الإمامة من أصول الدين
- ١٢٧..... الإمامة من منظار أهل السنة
- ١٣١..... الخلاصة

القسم الثالث : مؤامرتان خطرتان

- ١٣٥..... الفصل الأول : فصل القيادة
- ١٣٦..... المؤامرة الكبرى
- ١٣٨..... كيفية فصل الدين عن السياسة

١٤٤	الأحاديث الموضوعية والحكومات الفاسدة
١٤٩	الخلاصة
١٥١	الفصل الثاني : تحريف القيادة
١٥١	أقسام التحريف
١٥١	أ - التحريف الجلي
١٥٤	ب - التحريف الخفي
١٥٥	سرّ حكومة أئمة الجور
١٥٨	جذور التحريف
١٦١	مقارعة الظلم واجب عقلي
١٦٢	التعارض مع القرآن الكريم
١٦٤	التعارض مع سيرة الأئمة
١٦٨	التعارض مع أحاديث القيام
١٧٧	الخلاصة

القسم الرابع : خصائص القيادة

١٨١	الفصل الأوّل : معرفة الإسلام
١٨٢	تعريف الاجتهاد
١٨٣	معرفة الموضوع والاجتهاد
١٨٤	الخلاصة
١٨٥	الفصل الثاني : العدالة
١٨٦	درجات العدالة
١٨٦	١ - العدل العقيدى
١٨٦	٢ - العدل الفقهي

١٨٧.....	٣- العدل الأخلاقي
١٨٧.....	٤- العدل العرفاني
١٨٨.....	العدالة والقيادة
١٨٩.....	نظرة على العصمة
١٨٩.....	ملاحظات تستحق الاهتمام
١٩١.....	الخلاصة
١٩٣.....	الفصل الثالث: الإدارة
١٩٤.....	الفصل بين القيادة والمرجعية
١٩٥.....	الإدارة فطرية أم اكتسابية؟
١٩٦.....	دور التعليم والتجربة في الإدارة
١٩٨.....	دور شرح الصدر في الإدارة
٢٠٠.....	شرح الصدر بالكفر
٢٠١.....	الخلاصة
٢٠٣.....	الفصل الرابع: الوعي السياسي
٢٠٤.....	السياسة في قاموس السياسة التقليديين
٢٠٦.....	أنت أسوس أم أنا؟!
٢٠٧.....	السياسة من منظور الإسلام
٢٠٩.....	السياسة والشيطنة!
٢١٠.....	انتقاد سياسة الإمام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
٢١٤.....	الخلاصة
٢١٥.....	الفصل الخامس: معرفة الزمان
٢١٧.....	معرفة القادة الربانيين بالزمان
٢١٧.....	معرفة الإمام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> بزمانه

دليل الموضوعات	١٣
٢٢٠.....	معرفة الفقهاء بالزمان
٢٢٣.....	الخلاصة
٢٢٥.....	الفصل السادس : معرفة الناس
٢٢٥.....	النبي ﷺ ومعرفة الناس
٢٢٧.....	الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفة الناس
٢٢٨.....	الأئمة ومعرفة الناس
٢٣١.....	الخلاصة
٢٣٣.....	الفصل السابع : مداراة الناس
٢٣٤.....	النبي ﷺ ومداراة الناس
٢٣٥.....	وقاية الأتباع من الانحراف
٢٣٦.....	تأليف قلوب الأعداء
٢٣٧.....	وقاية القيادة من الأراجيف المثارة ضدها
٢٣٧.....	الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومداراة الناس
٢٣٩.....	سياسة الإمام عليه السلام في مواجهة الانحرافات
٢٤٦.....	الخلاصة
٢٤٧.....	الفصل الثامن : الجاذبية الأخلاقية
٢٤٧.....	الجاذبية الأخلاقية لنبينا ﷺ
٢٤٩.....	اعتراف العدو
٢٥١.....	الخلاصة
٢٥٣.....	الفصل التاسع : السبق إلى العمل
٢٥٨.....	الخلاصة
٢٥٩.....	الفصل العاشر : الإيمان بالهدف
٢٥٩.....	المثل الأعلى للإيمان
٢٦٣.....	الخلاصة

٢٦٥	الفصل الحادي عشر: الأمل بالنجاح
٢٦٥	النبي ﷺ والأمل بالنجاح
٢٦٦	الانتصار على الفرس والروم
٢٦٧	الإخبار بظهور الإسلام على الدين كله
٢٦٧	تفسير النجاح
٢٦٩	الخلاصة
٢٧١	الفصل الثاني عشر: علو الهمة
٢٧١	آثار علو الهمة
٢٧٢	آثار قصر الهمة
٢٧٣	درس من حشرة!
٢٧٤	علو الهمة والقيادة
٢٧٥	أ - حكومة الإسلام العالمية
٢٧٥	ب - اجتثاث جذور الجهل
٢٧٦	الخلاصة
٢٧٧	الفصل الثالث عشر: الصبر
٢٧٧	القيادة والمقاومة
٢٧٩	الإخلاص في الثبات
٢٧٩	أمر الله تعالى نبيه بالصبر والاستقامة
٢٨٢	الخلاصة
٢٨٣	الفصل الرابع عشر: اليقين
٢٨٣	أهم خصائص الإمامة
٢٨٤	١ - الصبر
٢٨٤	٢ - التوكل

٢٨٥ دور اليقين في التوكّل
٢٨٦ ٣ - الإخلاص
٢٨٨ قصّة ذات عبرة من إخلاص موسى ﷺ
٢٨٩ دور اليقين في الإخلاص
٢٨٩ ٤ - الزهد
٢٩٠ دور اليقين في الزهد
٢٩٢ ٥ - الشجاعة
٢٩٣ دور اليقين في الشجاعة
٢٩٤ ٦ - الصدق
٢٩٤ دور اليقين في الصدق
٢٩٥ دور اليقين في أرفع درجات القيادة
٢٩٧ الخلاصة

القسم الخامس : آفات القيادة

٣٠١ الفصل الأوّل : الهوى
٣٠٣ الإمامة واللّهو واللعب
٣٠٤ ضروب اللّهو من منظار الإسلام
٣٠٤ ١ - اللّهو الممدوح
٣٠٤ ٢ - اللّهو المذموم
٣٠٥ ٣ - اللّهو الحرام
٣٠٥ الإمامة والملذّات المباحة
٣٠٩ الخلاصة
٣١١ الفصل الثاني : الظلم
٣١٤ الخلاصة

٣١٥...	الفصل الثالث: الاستبداد
٣١٥.....	خطر الاستبداد
٣١٦.....	الوقاية من الاستبداد
٣١٧.....	الغني عن المشاور
٣١٩.....	مشاورة الأعداء!
٣١٩.....	ملاحظات حول مشورة القائد
٣١٩.....	أ - المشاورة لا الطاعة!
٣١٩.....	من ذكرياتي مع السيد الإمامؑ
٣٢٢.....	ب - المشاورة المضرة
٣٢٣.....	ج - المشورة والتردد في اتخاذ القرار
٣٢٦.....	الخلاصة
٣٢٧.....	الفصل الرابع: الانسياق لآراء الآخرين
٣٢٨.....	خطر الانسياق لآراء الآخرين
٣٢٩.....	استقلال الرأي والقيادة
٣٣١.....	الخلاصة
٣٣٣.....	الفصل الخامس: أمراض أخلاقية
٣٣٥.....	الخلاصة

القسم السادس : الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة

٣٣٩.....	الفصل الأول: حقوق الناس في النظام الإسلامي
٣٤١.....	الاعتراف بحقوق الناس
٣٤٣.....	الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة
٣٤٤.....	القيادة وحفظ الأمانة

٢٤٦	القيادة والرعاية
٢٤٧	القيادة والخدمة
٢٤٩	ولاية الفقيه المطلقة وحقوق الناس
٢٤٩	١ - التفاوت بين أساس الحكومة الإسلامية وأساس الحكومات الديمقراطية
٢٥٠	معنى الولاية المطلقة للفقيه
٢٥١	الخلاصة
٢٥٣	الفصل التالي: حق النقد
٢٥٤	انتقدوني!
٢٥٦	ضروب النقد السياسي
٢٥٦	١ - النقد السياسي البناء
٢٥٧	٢ - النقد السياسي الهدام
٢٥٨	مواصفات النقد البناء
٢٥٩	١ - العلم
٢٥٩	٢ - الإنصاف
٢٦٠	٣ - الأسلوب المرزوبي
٢٦١	خصائص النقد الهدام
٢٦١	١ - جهل الناقد
٢٦٢	٢ - الظلم
٢٦٢	٣ - الأسلوب المذموم
٢٦٣	أسلوب التعامل مع النقد الهدام
٢٦٤	درس من السيرة النبوية
٢٦٦	١ - لا يسلم أحد من الانتقادات غير الموجهة
٢٦٧	٢ - التشكيك في مطالبة المتطرفين السياسيين بالعدالة

٣٦٨	٣ - مبدأ مراعاة المصالح السياسيّة
٣٦٩	٤ - مصير النقد السياسيّ الهدّام
٣٦٩	الإمام عليّ عليه السلام والنقد الهدّام
٣٧٠	انتقاد المارقين
٣٧٢	الإمام عليه السلام والناقدون الجهلة المتعصّبون
٣٧٥	الخلاصة

القسم السابع : أئمة الإسلام بعد النبي ﷺ

٣٧٩	الفصل الأوّل : أوصياء النبي ﷺ
٣٨٠	فرضيات
٣٨٠	١ - الطريق السلبي
٣٨١	أ - أخطار هذا الطريق
٣٨١	اتّخاذ القرار المتعجّل
٣٨٢	افتقار ورثة الثورة الإسلاميّة إلى النضج الإسلاميّ
٣٨٤	الأقلّيّة المتغلّطة
٣٨٤	ب - إهمال المستقبل
٣٨٦	٢ - نظام الشورى
٣٨٦	أ - تبين قانون الشورى
٣٨٧	ب - توعية وريثة الثورة
٣٨٧	ج - استعداد وريثة الثورة
٣٨٨	القدرة على تشخيص الأصلاح
٣٨٨	استقامة الناخب
٣٩٠	٣ - تعيين القائد القادم

٣٩٢	تعريف قادة المستقبل
٣٩٥	أوصياء النبي الاثنا عشر
٣٩٨	أ - الغيبة الصغرى
٣٩٨	ب - الغيبة الكبرى
٣٩٩	بركات الإمام الغائب
٤٠١	الخلاصة
٤٠٥	الفصل الثاني: الفقهاء الحائرون على شروط القيادة
٤٠٦	خطّة النضال عند أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٤٠٨	١ - عدم الاعتراف بشرعية الحكومات الجائرة
٤٠٨	٢ - قيادة الفقهاء العدول
٤١٢	نواب الإمام المهديّ عجل الله فرجه بالتخصيص
٤١٢	الحكمة من النيابة الخاصة
٤١٣	انتهاء النيابة الخاصة
٤١٤	استمرار النيابة العامة في الغيبة الصغرى
٤١٤	الحكمة من انقطاع النيابة الخاصة
٤١٤	أ - حكمة سياسية
٤١٥	ب - حكمة اجتماعية
٤١٥	تجربة العصر الديمقراطي
٤١٦	دور الناس في تعيين النواب العامين للإمام
٤١٨	الخلاصة

تمهيد

الإمامة أو القيادة ضمان لتحقيق واستمرار الإسلام الأصيل وأهدافه، بل استمرار الأديان السماوية جميعها. ومن هنا كانت أهم المبادئ العقيدية والسياسية والاجتماعية في الإسلام، وهي سر الحياة والتباهي في المجتمعات التوحيدية قاطبة.

بيد أن الأمة الإسلامية غفلت - عدة قرون - عن هذا السر الحياتي، وهذه الغفلة قد سلبت المجتمعات الإسلامية الوعي والمجد والعظمة، مما مهد لاستيلاء الأجنبي على المسلمين، حتى لم يبق من الإسلام إلا هيكل لا روح فيه.

وبانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية العظيمة القائمة على أساس «ولاية الفقيه» بالقيادة الفريدة للعالم الرباني الفقيه المجاهد الإمام الخميني رضوان الله عليه تهيأت الأجواء للصحوة الإسلامية والنهضة العامة في العالم الإسلامي من أجل بلوغ الأهداف الإسلامية الرفيعة، وإن كل مسلم وإع منصف - من أي مذهب كان - يعلم جيداً أن السبيل الوحيد لقطع يد الأجنبي عن الأقطار الإسلامية وتطبيق الأحكام القرآنية النيرة هو إقامة الحكومة الإسلامية على أساس القيادة الربانية، ولن ينال الناس حقوقهم الواقعية ما لم تتخلص المجتمعات الإسلامية من مثالب القيادات القائمة، وما لم يكن زمام أمورهم بأيدي الحائزين على شروط القيادة من منظور إسلامي.

من جانب آخر، نلاحظ أن أعداء الإسلام -الذين أدركوا القدرة الثقافية العظيمة للدين الإسلامي- لم يتوانوا عن بذل كل ما في وسعهم لشنّ الهجمات المباشرة وغير المباشرة على أسس القيادة في الإسلام، بخاصة الأساس المتمثل بولاية الفقيه.

ومما تحتاج إليه المجتمعات الإسلامية -في هذه الظروف المصيرية الحساسة من تاريخ الإسلام أكثر من أي وقت مضى- هو شرح أسس القيادة في الإسلام، والبحث في غايتها وموقعها وخصائصها وآفاتها، والحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة، وكذلك التعرف على المؤامرات الخطرة التي كانت وما تزال تُحاك لتحريفها، وهذا من شأنه أن يضاعف مسؤولية العلماء الملتزمين وأصحاب الأقلام.

وهذا الكتاب هو محاولة متواضعة في هذا المضمار، فهو -إلى جوار معالجته الموضوعات المذكورة- قد تناول في القسم السابع منه بالنقد والتحليل موضوع قادة الإسلام بعد النبي ﷺ، ومن الجدير بالذكر أن الكتاب قد عرض ولاية الفقيه كفرع من الإمامة العامة، على نحو جديد يفهمه جمهور الباحثين.

ونذكر هنا أن قسماً من مباحث هذا الكتاب عُرضت في القناة الثانية من الإذاعة المرئية للجمهورية الإسلامية سنة ١٩٨٨ م تحت عنوان «دروس من أصول العقائد الإسلامية»، من خلال ستّ وأربعين حلقة، ونُشرت في مجلة «پاسدار إسلام» تحت عنوان «أسس القيادة في الإسلام»، وها هي الآن في متناول أيدي القراء بعد مراجعتها وإتمامها.

ختاماً أبتهل إلى المولى القدير، بعجزتي، أن يقبل مني هذه البضاعة المزجاة، ويضاعف تأثيرها في توطيد وحدة الأمة الإسلامية، والتمهيد للحكومة الإسلامية العالمية بقيادة الإمام المهديّ الموعود عجل الله تعالى فرجه.

محمد الرّي شهري

غزة ربيع الأول سنة ١٤١٧ هـ

نلاحظ في الثقافة القرآنية والحديثية أنّ كلمة «الإمامة» ترادف كلمة «القيادة» و من هنا كان من الضروري تفسير كلمتي «الإمامة» و «الإمام» من أجل تعريف القيادة في الرؤية الإسلامية. «الإمامة و الإمام» (1) في الثقافة الإسلامية يمثّان «القيادة و القائد». و يعرف الراغب الإصفهاني (2) «كلمة الإمام» في كتابه الذي ألفه حول المفردات الغريبة في القرآن الكريم، فيقول: «و الإمام المؤتمّ به، إنسانا كان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتابا، أو غير ذلك، محققا كان أو مبطلا» (3). تمّ التركيز في هذا التعريف على نقطتين مهمّتين في معنى القيادة، و هما: 1- أنّ الإمامة أو القيادة في القرآن قابلة للتعميم، لا في المجتمع الإنسانيّ فحسب،

ص: 23

1- 1) الإمام مشتقّ من إمام أو أمّ أو أمّ. فإذا كان مشتقّا من (إمام) فهو يعني المقدّم و الزعيم، وإذا كان من (أمّ) فهو من يأتّم به المجتمع و يتّبعه، وإذا كان من (أمّ)، فهو القاعدة و الأساس لكلّ شيء.

2- 2) أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الإصفهانيّ من أعلام القرن الخامس الهجريّ.

3- 3) المفردات في غريب القرآن: 87، [1] مادّة (أمّ).

بل فى عالم الخليفة كله. 2- استعملت الإمامة أو القيادة فى القرآن بمفهومين متناقضين: أحدهما: الحق، والآخر: الباطل. و ما تقصده هنا هو الإمامة أو القيادة فى إطار المجتمع البشرى دون سواه. وفى ضوء ذلك تطلق الإمامة أو القيادة فى الثقافة الإسلامية على توجيه الناس نحو نظام الحق و مجتمع القيم، أو نظام الباطل و المجتمع الخلى من القيم.

أنواع الإمامة و القيادة

يستبين من تعريف الإمامة أو القيادة أنها على أنواع مختلفة. و هى فى الرؤية الإسلامية نوعان هما: إمامة تقود الناس نحو الكمال و القيم الربانية الرفيعة، و اخرى تسوقهم إلى الدناءة و القبائح و القيم الشيطانية الوضيعة. و ينظر القرآن الكريم إلى إمامة إبراهيم عليه السلام على أنها رمز القيادة الربانية القيمة، و إلى إمامة فرعون الطاغية على أنها نموذج القيادة الشيطانية المغايرة للقيم. معنى هذا أننا يمكن أن نشير هنا فى تبين أنواع القيادة- حسب الرؤية القرآنية- إلى القيادة الإبراهيمية و القيادة الفرعونية. إن المباحث المرتبطة بأسس القيادة فى الإسلام هى فى الحقيقة تبيان للخطوط الأساسية فى سياسة القيادة الإبراهيمية مقابل السياسة الفرعونية فى إدارة المجتمع. و نلمح فيما يأتى إلى الآيات القرآنية التى تتحدث عن نوعى القيادة، للتعرف على مفهوم الإمامة و القيادة فى الثقافة الإسلامية.

الإمامة الإبراهيمية

استعمل القرآن الكريم كلمة «الإمام» معبرا بها عن إبراهيم الخليل عليه السلام، ليحكى

لنا أرفع درجة من تكامل الإنسان، وأعلى مرتبة من مراتب القيادة القيومية. قال تعالى: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (1). وقال في موضع آخر حول إمامة بعض القادة الإبراهيميين: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (2) أي: يهدون الخلق إلى طريق الحق وإلى الدين المستقيم (3).

الأمة الإبراهيمية

إن الأمة التي تعتق الإمامة الإبراهيمية وتسعى -من خلال الانتماء العملي بتوجيهات هذه القيادة- إلى التهيؤ لمقارعة القيادة الفرعونية، والعمل على إزالة الفساد والضياع، وتقويض دعائم الطغيان والانحطاط في العالم، إنما هي نموذج للأمة الإبراهيمية. والأمة الإبراهيمية هي الأمة النموذجية التي طلب إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام من الله تعالى -عند بنائهما الكعبة- جعلها في ذريتهما. قال تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ (4).

ص: 25

1-1 (البقرة: 124). [1]

2-2 (الأنبياء: 73). [2]

3-3 انظر مجمع البيان: 7/89.

4-4 (البقرة: 127 و 128). [3]

إنّ إطاعة الله و التسليم لأمره يعنيان في الحقيقة تطبيق سياسة القيادة الإبراهيمية و توجيهاتها في الحياة الفردية و الاجتماعية. من هذا المنطلق، كان نبينا الكريم صلى الله عليه و آله مكلفا أن ينهج الخطوط الأساسية لهذه السياسة-له و لامته-مع أنّه كان سيّد الأنبياء و المرسلين و أعظمهم. قال تعالى: **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً (1)**. لذلك ينبغي للمسلمين أيضا أن يكونوا حملة راية المجتمع التوحيدي و الأمة المثالية النموذجية في العالم تبعا لنبئهم، و عملا بسياسة القيادة الإبراهيمية المحمدية و توجيهاتها. قال تعالى: **وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (2)**.

القيادة الفرعونية

يعبر القرآن الكريم عن فرعون ب «الإمام» أيضا كتعبيره عن إبراهيم عليه السلام. بيد أنّ إمامته تقوم على معاكسة القيم، و فرعون إمام الكفر، و إبراهيم إمام الإيمان، و فرعون يهبط بالناس إلى وهدة الهوان و الرذيلة، و إبراهيم يقودهم إلى الرقيّ و الفضيلة. بعبارة اخرى: الإمامة الإبراهيمية تهدى المجتمع إلى جنّة الخلد، أمّا الإمامة الفرعونية فتسوقه إلى النار. قال تعالى: **وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ (3)**.

ص: 26

1-1) النحل: 123. [1]

2-2) البقرة: 143. [2]

3-3) القصص: 41. [3]

إنّ المجتمع الذي يخنع لإمامة فرعون و يعدّ العدة لمواجهة القيادة الإبراهيمية و تقويض أركانها-عملا بالسياسة الشيطانية لتلك الإمامة- إنّما هو مجتمع فرعونيّ، وليست عاقبته في هذا العالم إلاّ الغرق في بحر الشهوات و الضياع. و ليس مآله في العالم الآخر إلاّ السقوط في جحيم الخطايا. و يصوّر القرآن الكريم مصير أتباع القيادة الفرعونية بالنحو الآتي: **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ (1)**. و كذلك يبيّن عاقبة المجتمع الفرعونيّ و مواجهته قاداته في النار، فيقول: **كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْدَقُ لَدُونَا فَأْتِهِمْ عَذَابًا ضِدًّا مِّنَ النَّارِ (2)**. و من خلال ما مرّ-من تعريف القيادة و تفسير الإمام و الإمامة و الامّة في الثقافة الإسلامية- يتجلّى أنّ مؤلّف كتاب «أمت و إمامت» إنّما يحمل فهما احاديثا ناقصا. قال: «. . . الامّة مجتمع في حالة صيرورة أبدية نحو التعالي المطلق، و إذا ما عرفنا الامّة فسوف نحصل بيسر على تعريف دقيق و واضح للإمامة و دورها الاجتماعيّ. فالإمامة نظام يقود الامّة في هذا الطريق و يسيّرها فيه» (3). و على الرغم من أنّ هذا الفهم يمكن أن ينطبق على المفهوم القيميّ للامّة و الإمامة، بيد أنّنا نبيّن أنّ مفهومهما في الثقافة الإسلامية ليس مفهوما قيميّا

ص: 27

1-1) هود: 98. [1]

2-2) الأعراف: 38. [2]

3-3) انظر: كتاب «أمت و إمامت» .

فحسب، وإنّما لهما مفهوم مضادّ للقيم أيضا. وسيحوم بحثنا فيما يأتي حول أنواع القيادة القيّميّة في الثقافة الإسلاميّة.

انواع القيادة القيّميّة

تقسّم القيادة القيّميّة-من وجه-إلى أربعة أقسام هي: القيادة السياسيّة، والأخلاقيّة، والعلميّة، والباطنيّة، وستنوّق على دراسة هذه الأنواع و فلسفتها في القسم الأوّل من هذا الكتاب.

ص: 28

الخلاصة

- تُسمّى الزعامة والقيادة في الثقافة الإسلاميّة: «الإمامة»، ويسمّى الزعيم والقائد: «الإمام».
- الإمامة والإمام - كالقيادة والقائد - لهما مفهومان متناقضان: قِيَمِيّ، ومضادّ للقيَم.
- الإمامة في القرآن الكريم تتخطّى نطاق الإنسان وتقبل التعميم على مستوى عالم الخليقة، ولكنّ المطروح في أسس القيادة في الإسلام هو ما كان في إطار الإنسان.
- القيادة في الثقافة الإسلاميّة تسوق الناس نحو المجتمع القِيَمِيّ أو نحو المجتمع المضادّ للقيَم.
- إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم رمز القيادة القِيَمِيّة، وفرعون نموذج القيادة المضادّة للقيَم، من هنا يمكن تقسيم القيادة إلى قيادة إبراهيميّة وقيادة فرعونيّة.
- كان نبينا الأعظم عليه السلام مكلفاً باتّباع الخطوط الأساسيّة لسياسة القيادة الإبراهيميّة، مع أنّه كان سيّد الأنبياء والمرسلين وأفضلهم.
- إنّ المباحث المرتبطة بأسس القيادة في الإسلام هي في الحقيقة تبين سياسة القيادة الإبراهيميّة في مقابل سياسة القيادة الفرعونيّة في إدارة المجتمع.
- الأمة الإبراهيميّة أمة اعتنقت القيادة الإبراهيميّة وتربّت على تفويض أساس القيادة الفرعونيّة وأمتّها.

- ☐ المجتمع الفرعونيّ مجتمع خنَع للقيادة الفرعونيّة، وانتظم للقضاء على المجتمع الإبراهيميّ القيّميّ.
- ☐ استعمال كلمتي الأمة والإمامة في مفهومهما القيّميّ فحسب، كما جاء في كتاب «أُمَّت وإمامت» بجانب الصواب.
- ☐ تقسّم القيادة القيّميّة - من وجهٍ - إلى أربعة أقسام: قيادة سياسيّة، وأخلاقيّة، وعلميّة، وباطنيّة.

إشارة

يتبيّن لنا في أوّل نظرة أنّ ضرورة القيادة السياسيّة للمجتمع غنيّة عن البحث و الدراسة، لأنّها حاجة طبيعيّة و بديهية. من هنا كانت للامم و الشعوب قيادة سياسيّة على مرّ التاريخ. و مثار الخلاف في المدارس و المذاهب المتنوّعة هو مواصفات القائد السياسيّ أو اسلوب تعيينه، بيد أنّ حاجة المجتمع إلى قيادة سياسيّة شيء لا ينكر، و مع ذلك تدلّ الدراسات في هذا المجال على أنّ موضوعا بلغ من البدهة هذه الدرجة قد يمتري فيه، بل ينكر.

القيادة السياسيّة من منظار المذاهب الإسلاميّة

تري أكثر المذاهب الإسلاميّة أنّ القيادة السياسيّة ضرورية و واجبة لإدارة المجتمع، و لكنّ بعض الفرق الإسلاميّة تنكر هذه المسألة بصراحة، قال التفتازانيّ-بعد نقل آراء الأشاعرة و المعتزلة و أتباع أهل البيت عليهم السّلام-في وجوب نصب الإمام و كفيّته: «قالت النجدات-قوم من الخوارج أصحاب نجدة بن عويمر-: إنّّه ليس

بواجب أصلاً. وقال أبو بكر الأصمّ من المعتزلة: لا يجب عند ظهور العدل والإنصاف لعدم الاحتياج، ويجب عند ظهور الظلم. وقال هشام الفوطيّ منهم بالعكس، أي: يجب عند ظهور العدل لإظهار شرائع الشرع. . . . (1). وقال ابن حزم الأندلسي في سياق نقل كلام النجدات: « . . . وهذه فرقة ما نرى بقى منهم أحد » (2). وقال ابن أبي الحديد أيضاً: « . . . فقال المتكلّمون كآفة: الإمامة واجبة، إلا ما يحكى عن أبي بكر الأصمّ - من قدماء أصحابنا - أنها غير واجبة إذا تناصفت الأمة ولم تتظالم. وقال المتأخرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمة، لأنّه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم فقد قال بوجوب الرئاسة على كلّ حال، اللهمّ إلا أن يقول: إنّّه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس، وهذا بعيد أن يقوله » (3).

القيادة السياسيّة من منظار المذهب المادّي

ينكر المذهب المادّي الديالكتيكيّ حاجة المجتمع إلى القيادة. وفي ضوء ما يؤمن به هذا المذهب يتحرّك المجتمع حركة حتميّة ويطوى طريق تكامله تلقائيّاً، فلا يحتاج إلى قائد.

ص: 34

1-1) شرح المقاصد لسعد الدين النفطازانيّ: 5/236 تحقيق عبد الرحمن عميرة، [1] قم-انتشارات الشريف الرضيّ 1991 م، وانظر أيضاً الملل والنحل للشهرستانيّ: 1/143 تحقيق أمير عليّ مهتّا وعليّ حسن فاعور، بيروت-دار المعرفة 1415، ومقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعريّ: 460 تصحيح هلموت ريتير، 1400، يطلب من دار النشر فرانز شتايز بقسبادن.

2-2) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسيّ الظاهريّ: 4/87 بيروت-دار المعرفة.

3-3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/308. [2]

وعلى أساس ما يتبناه هذا المذهب يعمل المثقف على توعية الجماهير و يكشف لها أشكال الشذوذ و التناقض و التمايز. وإذا ما وعت الجماهير فسوف تتحقق الحركة الحتمية للمجتمع نحو التكامل. «إن إحدى نتائج المنطق الديالكتيكي هي أنه يلغى حاجة المجتمع إلى القيادة. و الحد الأعلى لحاجة المجتمع إلى المثقف و القائد-حسب هذا المنطق- هو أنه يدل الجماهير على ضروب الشذوذ و التناقض و التمايز، و يشعرها بالتناقض الموجود في المجتمع لتظهر الحركة الديالكتيكية. و لما كانت الحركة حتمية و كان اجتياز الطريحة (1) و النقيضة (2) إلى الجمعية (3) أمر لا مناص منه فإن المجتمع يطوى طريقة و ينتهي إلى التكامل تلقائياً» (4). و لسنا الآن في صدد نقد هذه الفرضية و مناقشتها، إذ أن بحثنا يدور حول اسس القيادة المستندة إلى التوحيد و النبوة، و مع أن الفرضيات الماركسية لا تحتاج إلى نقد في هذه المرحلة من الزمان لأن التاريخ نفسه قد نقدها و أثبت زيفها و قبر رماد أوهاها تحت جدران القصر الأحمر في موسكو فإن هذه الرؤية-قبل أن تكون اعتقاداً مذهبياً- إنما هي خطّة خطيرة و معقّدة لاستقطاب المغفلين من السياسيين. و لما كانت الحاجة إلى القيادة نابعة من طبيعة الإنسان و فطرة المجتمع البشري فإن المعتقدين بالمنطق الديالكتيكي عجزوا عن أن يثبتوا استغناء المجتمع عن القيادة-اللهم إلا في عالم الخيال- و لم يتمسكوا بهذه الفرضية الواهية على الصعيد العملي لحظة واحدة، و أثبتوا بطلان عقيدتهم من خلال ممارساتهم نفسها، فساقوا المجتمع إلى الضلال بقيادة حزبهم مدّة سبعين سنة.

ص: 35

1-1) هي المرحلة الاولى من مراحل الديالكتيك (siseht)

2-2) هي المرحلة الثانية من مراحل (sisehtitn).

3-3) هي نتيجة الجمع بين الطريحة و النقيضة (sisehtnys).

4-4) امامت و رهبرى (الإمامة و القيادة) للاستاذ الشهيد مطهري: 23. [1]

والتقطت المهمة هي أنّ نظريّة الاستغناء عن القيادة القائمة على أساس المنطق الديالكتيكيّ قد تسرّبت إلى كتابات إسلاميّة الظاهر في قالب نظريّة «تعميم الإمامة» و أمثالها.

ما معنى تعميم الإمامة؟

صدر في بداية انتصار الثورة الإسلاميّة كراس بعنوان «تعميم الإمامة» (1). وهذا الكراس محاولة مأكرة لتوسيع مفهوم القيادة و تعميم الإمامة لتشمل الشرائح الاجتماعيّة كلّها، فتنفى حاجة المجتمع إلى القيادة الحقيقيّة (2). ونستنج من الأدلّة الواردة في الكراس المذكور أنّ الكاتب يزعم أنّ الإمامة أو القيادة موجودة في جميع الظواهر، وفي الإنسان أيضا بطريق أولى، و ذكر دليلين لإثبات زعمه: الدليل الأوّل نقليّ! و هو قوله تعالى: وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (3). و فسّره الكاتب بما يسمّى بالتفسير العلميّ البليغ الذي لم يسبق له مثل في التاريخ! بقوله: «في كلّ شيء إمام مبین! (4).

ص: 36

1-1) ألفه أبو الحسن بنى صدر.

2-2) ورد في الصفحات الأخيرة من كراس «از كجا آغاز كنيم؟» [من أين نبدأ؟] للدكتور عليّ شريعتيّ بحث مفصّل تحت عنوان: «مهمّة المثقّف و رسالته» قال في ص 39: إنّ مهمّة المثقّف و رسالته يبيّنها هي نقل الشذوذ الكامن في داخل المجتمع إلى شعور أفراد و وعيهم الذاتى، ثمّ يواصل المجتمع نفسه حركته». و نلاحظ في سطور متأخرة عبارات تناقض ما تقدّم، و تؤيّد حاجة المجتمع إلى الهداية و التوجيه. (نقلا عن كتاب «امامت و رهبرى» للاستاذ الشهيد مرتضى مطهرى: 24).

3-3) يس: 12. [1]

4-4) تعميم إمامت (تعميم الإمامة): 37.

و الدليل الثانى عقلى! «كلّ فرد قائد، و لولا القائد لما تسنى للناس التواصل. و عندما نجتمع كلّنا فى مكان واحد فإنّما نجتمع للقيادة. . .» (1). و يستنتج الكاتب من هذين الدليلين-النقلّى و العقلى- ما نصّه: «لَمَّا كانت القيادة موجودة فى جميع الأشياء بما فيها الإنسان فلا معنى لقولنا إنّنا يجب أن نوجدها، بل يجب أن نحاول تصحيحها». إنّ سقم هذا الفهم المبتسر من الآية الكريمة هو من البداهة و الوضوح إلى درجة أنّ كلّ من له أدنى اطلاع على «أسس القيادة» فى المادّيّة الديالكتيكيّة و له شىء من المعرفة بالقرآن الكريم و المبادئ الإسلاميّة يدرك من خلال إلقاء نظرة على كتاب «تعميم الإمامة» أنّ الكاتب حاول بسدّاجة أن يكتيف المنطق الديالكتيكيّ فى مجالس اسس القيادة مع القرآن الكريم، و أن يستحوذ بمكيدته هذه على انتباه المغرورين و المغفّلين، فى تنظيره هذا لاسس القيادة فى الإسلام. لقد عمد الكاتب إلى جملة «أحصيناه» فى الآية الكريمة المتقدّمة فأغفلها و لم يذكرها فى ترجمته للآية، ثمّ حذف كلمة «فى» قبل عبارة «إمام مبین» و جعلها قبل عبارة «كلّ شىء». و هكذا ترجم الآية الكريمة بقوله: «فى كلّ شىء إمام مبین»!! فى حين أنّ منطوق الآية هو أنّ الله تعالى أحصى كلّ شىء فى إمام (كتاب) مبین، لا أنّ «فى كلّ شىء إمام مبین» (2)، كما و هم الكاتب المذكور.

ص: 37

1-1) نفسه: 38.

2-2) المقصود من الإمام المبین الذى انعكس فيه كلّ شىء و أحصى بقدر معلوم-كما جاء فى التفاسير الموثوقة-أنّه كتاب يشتمل على القضاء المحتوم، و لعلّ تسميته إماما إنّما هى لاتباع المخلوقات مقدّراته و قوانينه

وأما هدفه من ترصيف هذه الصغرى والكبرى وهذا الاستنتاج القائل «إنَّ الإمامة موجودة في جميع الظواهر، وفي الإنسان بطريق أولى» فهو غامض تماما (1). فإذا كان هدفه وجود الهداية الربانية في الظواهر كافة فكلامه صحيح (2). ولكن هذا لا علاقة له بإمامة الإنسان وقيادته وفرضية تعميم الإمامة. أما إذا كان هدفه هو أنَّ الإنسان وجد طريق تكامله وأنه يستطيع أن يصلح شذوذه الفكري والعلمي والعملية من خلال تواصل الأفكار ونقد الآراء فهذا يفيد أنَّ نظرية «تعميم الإمامة» تعني إنكار الحاجة إلى الوحي، وأنها تريد أن تضيء على المنطق الديالكتيكي طابعا إسلاميا في موضوع اسس القيادة، لأنَّ القيادة إذا كانت موجودة في؟؟؟ الإنسان بهذا المعنى-كسائر الظواهر التي قيادتها ورسالة تكاملها تكوينية-فإنَّ الإنسان لا يحتاج إلى الوحي والقيادة السماوية. ولما كنا نرى أنَّ للناس قدرة على التواصل والترابط فلا يمكن أن نستنتج أنَّهم كلهم عرفوا طريق تكاملهم، وأنَّهم يستطيعون أن يمسكوا بزمام أمورهم بأيديهم (3). ودحضا لنظرية تعميم الإمامة وعقيدة من يلغى الحاجة إلى الإمامة أو القيادة يلفت نظرنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، فيقول صلوات الله عليه في هذا

ص: 38

1-1) يبدو أنَّ الكاتب لا يهدف إلا إلى إلغاء «ولاية الفقيه» .

2-2) الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى طه:50.

3-3) للتعرف على تفصيل هذا الموضوع انظر كتابنا فلسفة وحي (فلسفة الوحي) : الدرس 1-5.

المجال: «مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتحويلهم في المهمّات على آرائهم، كأنّ كلّ امرئ منهم إمام نفسه» (1).

القيادة السياسيّة من منظار إسلامي

إذا ألقينا نظرة فاحصة على النصوص الإسلاميّة نجد أنّ الإسلام-في الوقت الذي يرى فيه أنّ أعلى درجات الإمامة أو القيادة ضروريّة لكمال الإنسان و المجتمع البشريّ-يؤكد ضرورة القيادة السياسيّة على نحو مطلق في الظروف التي لا تتمهّد فيها الأرضيّة للقيادة السياسيّة المطلوبة. وبعبارة أخرى: مع أنّ الإسلام فرض على الجميع أن يهيئوا الأجواء المناسبة للقيادة الكفوءة و الحكومة الصالحة بيد أنّه لا يلغى ضرورة القيادة السياسيّة للمجتمع مهما كانت الأحوال، و لا يسمح للمسلمين أن يعيشوا حالة الفوضى، أو أن لا يشعروا بالمسؤوليّة حيال إقامة الحكومة و تكوين القيادة السياسيّة.

ضرورة القيادة السياسيّة

... و إنّ لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر... (2). هذه هي كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في جواب المارقين المنحرفين، عندما كانوا يزعمون بشعارهم المعروف: «لا حكم إلّا لله» الذي يستند إلى الآية القرآنيّة الكريمة: **إِن الْحُكْمُ لِلَّهِ (3)**.

ص: 39

1-1) نهج البلاغة: الخطبة 88. [1]

2-2) نهج البلاغة: الخطبة 40. [2]

3-3) الأنعام: 57، [3] يوسف: 40 و 67، و [4] تدلّ آيات أخرى على هذا المعنى أيضا.

فى ضوء الآيات التى تجعل الحكم حقًا خاصًا لله، أو تقصد الحكم التكوينيّ-أى: إنَّ الله يخلق فى العالم كلِّ ما يريد، وليس لأحد أو شىء أن يحول دون إرادته يَفْعَلُ اللهُ ما يَشَاءُ (1) وَيَحْكُمُ ما يُرِيدُ (2)-أو تريد الحكم التشريعيّ. . . نلاحظ أنَّ التشريع والأمر إنما هو لذاته المقدّسة وحده، ولا ينبغى لأحد أن يشرّع قانونا فى مقابل قانونه. ولا يحقّ لأحد-غير ذات الحقّ المقدّسة-أن يصدر أمرا للآخرين. ومن البديهيّ أنّ القوانين الحكوميّة المدوّنة على أساس حكم الله تكسب شرعيّتها واعتبارها من القوانين الإلهيّة الكلّيّة، وأنّ حكم القائد أو الإمام الذى فرض الله طاعته هو حكم الله نفسه. وكان المارقون قد خالفوا أمير المؤمنين عليه السّلام فى حرب صفّين بعد مكيّدة التحكيم، بسبب غرورهم وجمودهم الفكرىّ و جهلهم وفتن العدو المدروسة. ثمّ أصبحوا-تدريجا-جماعة منظّمة، وكيانا مناونا متطرّفا قويّا ناهض حكومة الإمام عليه السّلام، ورفعوا شعار «لا حكم إلاّ لله» ليسجّلوا بزعمهم مؤاخذه على إمامة أمير المؤمنين عليه السّلام و قيادته، وشعارهم المذكور ذو جذر قرآنيّ، لذلك لم يسع أحد إنكاره. وعرض الإمام عليه السّلام فى سياق تأييده للشعار نقاطا مهمّة حول الحكومة والقيادة السياسيّة من منظور الإسلام، وأبدى تقويما للشعارات المفرطة المتطرّفة المطالبة بالحقّ فى ظاهرها، المطروحة من قبل المتظاهرين بالروح الثوريّة فى المجتمع، قال عليه السّلام: «كلمة حقّ يراد بها باطل، نعم إنّه لا حكم إلاّ لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلاّ لله، وإنّه لا-بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل فى أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفىء، و يقاتل به العدو، وتأمّن به

ص: 40

[1-1] إبراهيم: 27. [1]

[2-2] المائدة: 1. [2]

السبل، و يؤخذ به للضعيف من القوى، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر» (1). وكان الإمام عليه السلام ذات يوم جالسا مع جماعة في المسجد، فدخل أحد الخوارج وصاح: لا حكم إلا لله، فقلق الحاضرون، و انتظروا ليروا ما ذا يفعل أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلّ فيهم من ظنّ أنّ الإمام سيغضب و يعامل الرجل بعنف. بيد أنّهم رأوه قد أعاد بطمأنينة الشعار نفسه و عضده بأية قرآنية كريمة يؤكّد فيها الله تعالى لنبيه الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ وعده تعالى في مقابلة أعداء الإسلام حقّ، و أنّ على النبيّ أن لا يستسلم لأذاهم، و أن لا يتضعض و قاره و ثباته في مواجهتهم. فأصبر إنّ و وعد الله حقّ و لا يستخفّنك الذين لا يؤقنون (2). ثمّ التفت عليه السلام إلى الناس و قال: «فما تدرّون ما يقول هؤلاء؟ يقولون: لا إمارة. أيها الناس، إنّه لا يصلحكم إلا أمير برّ أو فاجر». و كان غريبا جدّا على الناس أن يسمعوا عليّا عليه السلام يذكّر بحاجة المجتمع إلى القائد مطلقا حتى لو كان فاجرا، لذلك سأله مندهشين: «هذا البرّ قد عرفناه، فما بال الفاجر؟!». فقال عليه السلام: «يعمل المؤمن، و يملئ للفاجر، و يبلغ الله الأجل، و تؤمّن سبلكم، و تقوم أسواقكم، و يقسم فينكم، و يجاهد عدوكم، و يؤخذ للضعيف من القوى» (3). نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يعلم أتباعه في هذا الكلام النفيس المهمّ عددا من القضايا

ص: 41

1-1) نهج البلاغة: الخطبة 40. [1]

2-2) الروم: 60. [2]

3-3) المصنّف لابن أبي شيبة: 8/741/51.

1- قول الحق شىء و الاعتقاد بالحق شىء آخر

إنّ شعار جميع المتظاهرين بالثورة و الأنانيين المترئين بحماية الناس و مناصرة الحقّ على مرّ التاريخ هى كلمة حقّ اريد بها الباطل، و إنّ سرّ نجاح الأفكار الباطلة و سيطرة القادة المفسدين هو غفلة الناس عن هذه القضية البالغة الأهميّة، و هى أنّ قول الحقّ شىء و الاعتقاد به شىء آخر! يجيب الإمام عليه السّلام اولئك الذين يزعمون الدفاع عن الإسلام القويم زورا، و قد اتّخذوا موقفا عدائيا من القيادة. و يكشف لنا فى جوابه أنّهم استغلّوا كلمة الحقّ وسيلة لتحقيق أهدافهم الباطلة، و عصوا أمر القائد الذى فرض الله طاعته، بذريعة اتّباع أمر الله، و داسوا حتّى على المبدأ المتمثّل بضرورة الحكومة و القيادة السياسيّة للمجتمع الإسلامى، و رفعوا لواء الفوضى بعملهم هذا.

2- أسلوب مواجهة شعار المتظاهرين بالثورة

القضية الثانية فى كلام الإمام علىّ عليه السّلام هى أسلوب مواجهة المتظاهرين بالثورة الذين يقولون الحقّ فى الظاهر و لكن هدفهم فى الحقيقة هو الباطل، على عكس الذين يهاجمون بسذاجة شعار الحقّ الذى يرفعه معارضوهم السياسيون، فالإمام عليه السّلام يواجه أصحاب الشعار لا الشعار ذاته، و هو فى موقفه لا يناقش شعار المارقين بل يناقش المارقين أنفسهم و دوافعهم على طرح ذلك الشعار، إنّه لا يقول لهم: لَمّا كان هدفكم من هذا الشعار هو الباطل فلا قيمة له حتّى يطرح فى المجتمع، بل هو نفسه يكرّر الشعار و يؤيّده، مشيرا إلى أنّنا ينبغى أن نقبل كلام الحقّ من أىّ شخص يقوله، و لكن لا نغفل عن هدف قائله و دافعه.

القضية الثالثة فى كلامه عليه السلام هى أنّ الحكمة من وراء الضرورة المطلقة للقيادة السياسية هى ضمان الحد الأدنى من حقوق الناس، و لبلوغ هذا الهدف غدت الحكومة بأى شكل كانت ضرورة لا مناص منها. إنّ الإسلام لا يلغى ضرورة القيادة السياسية مهما كانت الظروف، حتّى لو كان القائد فاجرا أثما. وفى توضيح هذا المعنى يؤكّد الإمام عليه السلام أنّ الحكومة الفاجرة أيضا تجمع العائدات الوطنية فى ظلّها و توزّع، و تؤمّن السبل؟؟؟؟ فى رى النشاطات الاقتصادية، بل إنّ الحكومة الفاجرة تجاهد عدوّ الشعب، و تأخذ للضعيف حقه من القوى. بعبارة اخرى: على الرغم من أنّ الشعب يفقد قسطا كبيرا من حقوقه فى ظلّ الحكومة الفاجرة بيد أنّ الفائدة من وجود تلك الحكومة هى أنّها تذلل مصاعب الحياة. و من جانب آخر، لا سبيل للحكومة الفاجرة إلاّ تحقيق الأمن الاجتماعى و الاقتصادى للمجتمع من أجل المحافظة على وجودها، و هذا الأمن يضمن ديمومة الحياة للأخيار و الفجار على حدّ سواء، من هنا فإنّ حكومة الأمير الفاجر أفضل من حكومة تسودها الفوضى و الفتنة و الشغب، كما قال النبىّ صلّى الله عليه و آله: «الإمام الجائر خير من الفتنة» (1). و أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «أسد حطوم خير من سلطان ظلوم، و سلطان ظلوم خير من فتن تدوم» (2).

ص: 43

1-1) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: 2/103.

2-2) كنز الفوائد: 1/136، [1] بحار الأنوار: 75/359/74. [2]

تبيّن لنا في ضوء الدراسات المنجزة أنّ الإسلام يؤيّد حاجة المجتمع إلى القيادة، على عكس مذهب الخوارج في الماضي والمذهب الديالكتيكيّ في عصرنا الحاضر، وهذا لا يعنى؟؟؟ أنّ القيادة مطلقاً تكفى لتكامل المجتمع، بل يعنى أنّه إذا عدّ الإمام الفاجر خيراً من الفتنة فإنّ هدفه إنقاذ المجتمع من حالة الشذوذ والفوضى لكن ينبغي الالتفات إلى أنّ تكامل المجتمع -من منظور إسلاميّ- لا يتيسّر إلاّ عن طريق تطبيق الدين في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وإلاّ عن طريق الرسالة المشتملة على منهج التكامل المادّي والمعنويّ للإنسان. من هذا المنطلق ليس لأحد أن يقود المجتمع نحو الكمال إلاّ الخبير في الدين. وهنا تكمن الحكمة من ولاية الفقيه. في ضوء هذا تقوم فلسفة ولاية الفقيه على دعامين: 1- التكامل المادّي والمعنويّ للإنسان، الذي يمثّل الهدف من خلقه، وهذا لا يتحقّق إلاّ عبر منهج يأتي به رسل خالق الوجود (1). 2- إنّ الأكفأ للقيادة هو الأعلم بمنهاج تكامل الإنسان والأقدر على تطبيقه في المجتمع. ونقرأ للإمام الرضا عليه السلام كلاماً في فلسفة الإمامة يمكن أن يبيّن فلسفة ولاية الفقيه أيضاً: «فإن قال: فلم جعل أولى الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعل كثيرة، منها: أنّ الخلق لمّا وقفوا على حدّ محدود وأمروا أن لا يتعدّوا ذلك الحدّ لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلاّ بأن يجعل عليهم فيه أمينا يمنعهم من التعدّي والدخول فيما حظر عليهم، لأنّه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذّته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيّما يمنعهم من الفساد، وقيّم فيهم الحدود

ص: 44

و الأحكام. و منها: أتا لا نجد فرقة من الفرق و لا ملة من الملل؟؟؟؟؟؟؟؟ إلا بقيم و رئيس، و لما لا بد لهم منه فى أمر الدين و الدنيا فلم يجز فى حكمة الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنه لا بد له منه، و لا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوهم و يقسمون به فيهم و يقيم لهم جمعهم و جماعتهم، و يمنع ظالمهم من مظلومهم» (1). أجل، هذه هى الأسباب التى تثبت الضرورة المطلقة للإمامة أو القيادة. و هكذا كان جواب أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج، و قد مر بنا آنفا، و يتلخص كلامه عليه السلام فى أن المجتمع يحتاج إلى القانون، و تطبيق القانون يحتاج إلى الحكومة أو القيادة. و على هذا الأساس لا يتيسر استمرار الحياة الدينية و الدنيوية لأى مجتمع و شعب بلا قيادة و حكومة. بيد أن الدليل الذى ذكره الإمام عليه السلام فى سياق كلامه يمكن أن يبين لنا الحكمة من ولاية الفقيه أيضا، و فيما يأتى نصّه: «و منها: أنه لو لم يجعل لهم إماما قيما أميننا حافظا مستودعا لدرست الملة و ذهب الدين و غيرت السنن و الأحكام و لزاد فيه المبتدعون و نقص منه الملحدون و شبّهوا ذلك على المسلمين» (2). و يمكن أن نوجز فلسفة الإمامة فى هذا القسم من كلام الإمام الرضا عليه السلام بحراسة الدين و الحؤول دون تحريف الأحكام الإلهية. و لا يخالجا الشكّ فى أن القائد من أجل تحقيق الهدف المذكور يتحتّم أن يكون خبيرا متخصصا فى الشؤون الإسلامية أو فقيها، كما تصطلح عليه الحوزة العلمية

ص: 45

-
- 1-1) عيون أخبار الرضا عليه السلام: 2/100/1، [1] علل الشرائع: 253، [2] بحار الأنوار: 23/32/52. [3]
2-2) علل الشرائع: 253، [4] عيون أخبار الرضا عليه السلام: 2/101، و [5] ما يماثلهما.

وفى ضوء ما تقدّم يتسنّى لنا أن نلخّص ما جاء فى علل الشرائع حول فلسفة الإمامة والقيادة بما يأتى: أ- القيادة السياسيّة. ب- تنفيذ القانون الإلهي. ج- صيانة الدين من التحريف. و أكّدت أحاديث وروايات اخرى هذه الاستنتاجات أيضا بتعابير متنوّعة ستأتينا، وهى تذكر على أنّها فلسفة الإمامة، ومن هذه التعابير: نظام الإسلام، نظام المسلمين، ونظام الامّة. وهى عناوين وردت فى توجيهات النّبى الأكرم صلّى الله عليه وآله وأنمّة الهدى عليهم السّلام فى تبين؟؟؟ قال النّبى صلّى الله عليه وآله فى وجوب طاعة وليّ أمر المسلمين: «إسمعوا و أطيعوا لمن ولّاه الله الأمر، فإنّه نظام الإسلام» (1). وقال الإمام الرضا عليه السّلام فى ذلك: «الإمام زمام الدين، ونظام امور المسلمين» (2). وقال أمير المؤمنين عليه السّلام أيضا: «فرض الله الإيمان تطهيرا من الشرك. . . والإمامة نظاما للامّة» (3). والنظام فى اللغة العربيّة الخيط الذى يمرّ من وسط خرز السبحة أو حبات القلادة وينظمها (4).

ص: 46

1-1) أمالى المفيد: 14/2.

2-2) مناقب آل أبى طالب: 1/246. [1]

3-3) نهج البلاغة: الحكمة 252، [2] نزهة الناظر: 46/14، غرر الحكم: 6608. [3]

4-4) نظام العقد هو الخيط الجامع له. (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: 9/96). و [4] النظام: الخيط الذى ينظم فيه اللؤلؤ و تاج العروس: 17/689).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلام يمكن أن نعدّه تفسيراً للروايات السابقة: «مكان القِيم بالأمر مكان النظام من الخرز (1)، يجمعه ويضمّه، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً» (2). من هنا نفهم أنّ فلسفة الإمامة-حسب هذه الروايات-هي المحافظة على النظام الإسلاميّ، وأنّ الإمام كالخيوط الذي يرتبط به شمل الأمة من أجل تنفيذ المناهج الإسلاميّة الصانعة للإنسان، وتطبيق القوانين الإلهيّة، وهذا كلّهُ ضامن لتكامل المجتمع البشريّ مادّيّاً ومعنويّاً. قال الإمام الصادق عليه السلام مبيّناً الحكمة من وجود الإمام: «إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام، كي ما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم» (3). وهذه الرواية أيضاً-كذيل الرواية الواردة في علل الشرائع-تري أنّ فلسفة الإمامة حراسة الإسلام القويم وصيانته من التحريف. ومع أنّ الروايات المذكورة تدور حول فلسفة ولاية المعصوم كما سنوضّح، لكن لا شك أنّ ما ورد فيها-دليل على ضرورة القيادة الربّانيّة-يمكن أن يكون دليلاً على لزوم ولاية الفقيه في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام أيضاً. إنّ الفقيه الحائز على شروط القيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام يضطلع بنفس المسؤوليّة التي يضطلع بها الأئمّة المعصومون عليهم السّلام في حياتهم، من أجل إقامة الحكومة و تطبيق القوانين الإلهيّة وصيانة الإسلام الأصيل من التحريف. وإنّ نجاحه

ص: 47

1-1) الخرز ما ينظم في السلك كالجزع، و الخرزة المصنوعة من الزجاج و الطين و الصدف و غيرها. (فرهنگ معین: 1/1410).

2-2) نهج البلاغة: الخطبة 146. [1]

3-3) الكافي: 1/178/2. [2]

في تحقيق الأهداف الحكومية للإسلام أو إخفاقه في ذلك منوطان بالظروف الزمانية والمكانية، مثله في ذلك مثل الإمام المعصوم عليه السلام. وبيّن القائد الكبير للثورة الإسلامية الإيرانية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه-و كان أعظم فقيه جامع لشروط القيادة- الفلسفة العملية للفقهاء في نداءه التاريخي الذي وجهه إلى علماء البلاد سنة 1409 هـ فقال: «الحكومة من منظور المجتهد الحقيقي هي الفلسفة العملية للفقهاء التام في ميادين الحياة البشرية جميعها، وهي تعبر عن الجانب العملي للفقهاء في مواجهة المشاكل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية كلها. والفقهاء هو النظرية الحقيقية التامة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد. والهدف الأساس هو أننا كيف نريد أن نطبق المبادئ الرصينة للفقهاء في عمل الفرد والمجتمع، فنستطيع أن نجد علاجاً للمشاكل القائمة. ولا يخاف الاستكبار إلا إذا اتخذ الفقهاء طابعاً عملياً ومكّن المسلمين من المواجهة» (1). إن الثورة الإسلامية العظيمة في إيران تجربة ثمينة لتحقيق الفلسفة العملية للفقهاء وولاية الفقيه، من أجل القيادة السياسية وتنفيذ القوانين الإلهية، ومقارعة المحاولات الرامية إلى تشويه الإسلام الأصيل. إن أهم سر في انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية وديمومتها هو ما كان يتمتع به مؤسس الجمهورية الإسلامية من قدرة وصلابة، هذا الولي الفقيه فريد عصره ونسيج وحده في عرض الإسلام الأصيل، ومكافحة تشويهِه مكافحة جادة، وهذا من أهم الأركان الأصلية في فلسفة ولاية الفقيه. وكان قصارى جهده أن يعرض للمجتمع ما يراه إسلاماً أصيلاً من منظاره الفقهي والتخصصي، ولم يخش لوم اللائمين وضجيج المناوئين في هذا الطريق.

ص: 48

1-1) من نداء الإمام رضوان الله عليه إلى علماء البلاد بتاريخ 15 رجب 1409 هـ.

وعندما كتب إليه أحد علماء قم رسالة، قبل أن تعرج روحه الطاهرة إلى الملكوت الأعلى بشهور، واستفتاه عن الشطرنج وآلات الموسيقى رغبة منه في النصيح و مبادرة منه في الحؤول دون ضوضاء المناوئين، واقترح عليه قائلا: «افضّل أن ترتفع ساحتكم المقدّسة عن مثل هذه المسائل، ولا أرى ضرورة لنشرها». أجابه ذلك الفقيه العظيم الذي لم يخش إلا الله فقال: «أنت تعلم أنّي أحبّك وأراك نافعا، ولكنّي أنصحك نصيحة أبويّة أن تجعل الله تعالى وحده نصب عينيك، ولا تبال بما يقوله المنافقون المتظاهرون بالتقوى والهمج الرعاع من المعمّمين، إذ لو قدر أن تتزعزع مكانتنا عند هؤلاء الحمقى الرعاع بسبب نشر حكم الله تعالى فلتتزعزع أكثر فأكثر» (1). إنّ أخطر تشويه يهدّد كيان الإسلام العظيم في واقعنا المعاصر هو شعار «فصل الدين عن السياسة» الذي واجهه الإمام الراحل رضوان الله عليه بكلّ اقتدار، وعانى كثيرا في هذا المجال، وقال رحمة الله في ندائه المهمّ الذي وجّهه إلى المراجع والمدرّسين وطلاب الحوزات العلميّة وأنّمة الجمعة والجماعة: «عندما يؤس الاستكبار العالميّ من إبادة العلماء والحوزات الدينيّة اختار اسلوبيّن لإنزال ضربته، الأوّل: اسلوب القوّة و الترهيب، و الآخر: اسلوب الخداع والتغلغل. ولما فقد الاسلوب الأوّل بريقه في عصرنا هذا نشط الاسلوب الثاني، و إنّ أوّل خطوة خطاها على هذا الطريق وأهمّها هي المناداة بفصل الدين عن السياسة. و من المؤسف أنّ هذا التوجّه قد فعل فعله في الوسط العلمائيّ إلى حدّ ما، حتّى خيّل أنّ التدخّل في السياسة دون شأن الفقيه، وأنّ ممارسة النشاط السياسيّ

ص: 49

1-1) رسالة الإمام رحمة الله إلى حجّة الإسلام والمسلمين قديري بتاريخ 12 صفر 1409 هـ.

يعنى العمالة للأجانب. لا جرم أنّ العلماء المجاهدين قد اكتوتوا بنار هذا التوجّه أكثر من غيرهم، و لا تحسبوا أنّ الأعداء وحدهم هم الذين ألصقوا بنا تهمة العمالة و المروق من الدين، فالعلماء غير الواعين و وعّاظ السلاطين قد فعلوا ذلك أيضا، و تلقّينا منهم ضربات أشدّ من ضربات الأعداء. . . و اعلموا أنّ معاناة أيكم الشيخ الكبير من هؤلاء المتحجّرين تفوق كلّ معاناة. و حينما رسخ شعار «فصل الدين عن السياسة» و أصبح الفقه فى منطق غير الواعين هو الانهماك فى الأحكام الفرديّة و العباديّة و ارغم الفقيه على أن لا يتجاوز هذا النطاق و لا يتدخّل فى السياسة و شؤون الحكومة. . . عدّ تعلّم اللغة الأجنبيّة كفرا، و مزاوله الفلسفة و العرفان ذنبا و شركا. و صادف ذات يوم أن شرب ولدى المرحوم مصطفى-و كان صغيرا-ماء من كوز فى المدرسة الفيضيّة، فطهّروه لأنّى كنت أدّرس الفلسفة. و لا يداخلى الشكّ أنّ هذا التوجّه لو استمرّ على هذه الحالة لأصبح وضع حوزاتنا العلميّة كوضع الكنائس فى القرون الوسطى. لكنّ الله منّ على المسلمين و علمائهم بحفظ كياناتهم و مجدهم الحقيقى» (1).

فلسفة إمامة المعصوم

إنّ أهمّ مسألة فى الفصل المرتبط بفلسفة القيادة السياسيّة هى ضرورة إمامة المعصوم، و فى ضوء عقيدة أتباع أهل البيت يحتاج الإنسان إلى قيادة المعصوم كى يطوى الطريق إلى تكامله، و يتعدّد تحقّق المجتمع الإلهيّ الإنسانى المثالى بدون إمامته و قيادته. و إذا أردنا أن نثبت ذلك فعلينا أن نتعرّف على معنى المعصوم فى البداية، ثمّ نجيب

ص: 50

1-1) نداء الإمام الخميني رحمة الله إلى علماء البلاد بتاريخ 15 رجب 1409 هـ.

عن السؤال الآتى: لماذا لا تغنى قيادة الفقيه (الجامع لشروط القيادة) عن قيادة الإمام المعصوم؟

تعريف المعصوم

«المعصوم» و«العصمة» من مادة «عصم» بمعنى الإمساك، والمنع، والاستمساك (1). وفي ضوء هذا المعنى نلاحظ أنّ المعصوم هو المصون من الذنب والمعصية، والعصمة ملكة اجتناب الذنوب، فالمعصوم والعصمة من جذر واحد، وهو المصونية. والمعصوم-في مباحث اصول العقائد-هو المنزه من الخطأ والذنب. وبعبارة اخرى: هو الذى لا يذنب، ولا يرتكب خطأ فى الآراء والعقائد والأعمال، بل هو المصون من الذنب والخطأ دائما.

الفرق بين المعصوم والمجتهد

يختلف المعصوم عن المجتهد اختلافا مبدئيا، بحيث لا يمكن المقايسة بينهما، وإن كان كل واحد منهما خبيرا فى الدين حارسا له. و الفرق بينهما أنّ المعصوم هو الذى ضمن الله تعالى معرفته بالدين، وصحة آرائه وأعماله، وكل ما قاله هو فى الحقيقة قول الله سبحانه، و تصرفاته و ممارساته الفردية و الاجتماعية هى التى يريدّها الله تعالى. أمّا المجتهد فقد يخطئ فى بعض آرائه و قراراته لافتقاده صفة العصمة و المصونية من الخطأ، ذلك أنّ مدارك استنباط الأحكام فى طائفة من المسائل ليست بنحو يستطيع الفقيه فيه معرفة الواقع كما هو أهله، فيتخذ قرارا بشأنه، و من هنا ينشأ اختلاف الآراء بين الفقهاء.

ص: 51

ذكرنا سابقاً أنّ القائد فى النظام الإسلامى يضطلع بثلاث مهمّات أساسية هى: 1- المحافظة على نظم المجتمع عبر القيادة السياسية. 2- تطبيق القوانين الإلهية. 3- صيانة الدين من التحريف. ولا ريب أنّ الشخص الوحيد القادر على القيام بهذه المهامّ- بنحو دقيق كامل مجرد عن كلّ نقص وخطأ- هو المعصوم من الخطأ فى معرفة الأحكام والقوانين الإلهية وفى تطبيقها. من هنا فإنّ أرفع القيادات درجة هى قيادة المعصوم. وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يحظى الناس عند الإمكان بأرفع درجات القيادة السياسية المنزهة عن كلّ نقص وخطأ. ويعتقد أتباع أهل البيت عليهم السلام- استناداً إلى الأدلة القاطعة- أنّ الأنبياء و من يصطفئهم الله تعالى بنحو خاصّ ويعيّنهم للناس أئمة وقادة بواسطة أنبيائه هم الحائزون على أرفع درجات القيادة. وقد تكفّل الله تعالى تنزيههم عن الذنب والخطأ (1). من هنا عندما يفوز المجتمع الإسلامى بوجود الإمام المعصوم فإنّه لا يرى شرعية لقيادة سواه.

ص: 52

1- 1) انظر كتابنا فلسفه وحى و نبوت (فلسفة الوحي و النبوة): القسم الخامس «دراسة تحليلية لعصمة الأنبياء» .

حاجة المجتمع إلى القيادة السياسيّة حاجة فطريّة، ولذلك؟؟؟؟؟ لجميع الامم والشعوب قيادة سياسيّة على مرّ التاريخ. تعتقد عامّة الفرق الإسلاميّة-الإفئنة من الخوارج وجماعة من المعتزلة-بوجوب القيادة السياسيّة للمجتمع. يعدّ المنطق المادّي الديالكتيكيّ حركة المجتمع حتميّة، فهو يطوى طريق تكامله تلقائيّاً، ولا حاجة به إلى القيادة، وقد أثبت أنصار هذه النظريّة بطلانها عمليّاً. نظريّة تعميم الإمامة محاولة ساذجة جدّاً لفرض المنطق المادّي على اسس القيادة في الإسلام. في الوقت الذي يرى فيه الإسلام أنّ أرفع درجات القيادة ضروريّة للمجتمع يؤكّد ضرورة القيادة السياسيّة على نحو مطلق عندما لا تنهياً الأرضيّة للقيادة السياسيّة المطلوبة.

فلسفة ولاية الفقيه

تقوم فلسفة ولاية الفقيه على قاعدتين: 1- أنّ تكامل الإنسن مادّيّاً ومعنويّاً-وهو الذي يمثّل الحكمة ممّن خلقه-لا يمكن أن يتحقّق إلاّ عبر منهاج يضعه الله سبحانه و تعالى. 2- أنّ الشخص الأكفأ لقيادة المجتمع هو الأعراف بالمنهاج الربانيّ لتكامل الإنسان والأقدر على تطبيقه.

تدلّ الروايات الإسلاميّة على أنّ فلسفة القيادة السياسيّة في الإسلام-الرامية إلى المحافظة على النظام الإسلاميّ، و تطبيق القوانين الإلهيّة، و صيانة الدين من التحريف-لا يمكن أن تحقّق في غيبة الإمام المعصوم إلاّ بقيادة الفقيه الحائز على شروط القيادة. يضطلع الفقيه الحائز على شروط القيادة-من أجل إقامة الحكومة، و تطبيق القوانين الإلهيّة، و صيانة الإسلام الأصيل من التحريف في عصر غيبة الإمام المعصوم-بنفس المسؤوليّة التي يضطلع بها الإمام المعصوم عند حضوره. تتمثّل فلسفة الفقه العمليّة بقيادة الفقيه السياسيّ لعلاج جميع مشاكل المجتمع على أساس المبادئ الإسلاميّة. إنّ أخطر تشويه يهدّد الإسلام في واقعنا المعاصر هو شعار «فصل الدين عن السياسة» الذي وقف الإمام الراحل رضوان الله عليه أمامه بكلّ صلابة، و عانى ما عانى بسببه.

فلسفة إمامة المعصوم

«العصمة» و «المعصوم» من جذر واحد، بمعنى المصونيّة، و المعصوم في المباحث العقديّة هو المصون من الخطأ و الذنب. شاءت حكمة الله تعالى أن يحظى الناس عند الإمكان بأرفع درجات القيادة السياسيّة المنتزّهة عن كلّ نقص و خطأ. يعتقد أتباع أهل البيت عليهم السّلام بعصمة الأنبياء و القادة الذين يصطفيهم الله و ينصبهم للناس. و على هذا عندما يفوز المجتمع بوجود الإمام المعصوم فإنّه لا يرى شرعيّة لقيادة سواه.

الأخلاق أساس السلوك الإنساني، والقيم الأخلاقية عماد المجتمع الإبراهيمي المثالي و الأمة المحمدية النموذجية. إن الحكمة و الهدف النهائي من الوحي و النبوة إحياء القيم الأخلاقية و إعداد الصالحين، و الارتفاع بهم نحو المقام الرفيع للإمامة الأخلاقية، كما قال نبينا الكريم محمد صلى الله عليه و آله: «بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» (1). و كان صلى الله عليه و آله نفسه نموذجا كاملا للقائد الأخلاقي، كما قال تعالى في كتابه الحكيم: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (2).

ص: 55

1 - 1) السنن الكبرى: 10/192، إتحاف السادة: 6/171، [1] المعجم الكبير: 20/66/120، و مثله في النهاية: 2/70، [2] مكارم الأخلاق: 1/36. [3]

2-2) الأحزاب: 21. [4]

من هنا فإنّ الصالحين يحاولون دائماً أن يقتربوا من هذه الاسوة الأخلاقية العظيمة و يقتدوا بها في حياتهم. ونقرأ في آخر سورة الفرقان اثنتي عشرة خصلة يتّسم بها اولئك الصالحون، منها الصفة الآتية: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (1). و تؤول فلسفة القيادة السياسيّة في الإسلام إلى فلسفة الوحي و النبوة في آخر المطاف، أي: ارتقاء الإنسان إلى القيادة الأخلاقية، بعبارة اخرى: فلسفة القيادة الأخلاقية انعكاس لفلسفة القيادة السياسيّة، وقد مرّ شرح ذلك في الفصل الأوّل. يضاف إلى ذلك، أنّ القيادة الأخلاقية شرط للقيادة السياسيّة، أي: ما لم يتمتّع الإنسان بالقيادة الأخلاقية فلا يصلح-في منظار الإسلام- للقيادة السياسيّة للمجتمع الإسلاميّ.

درجات القيادة الأخلاقية

يبدو في أوّل نظرة أنّ درجات القيادة الأخلاقية تبدأ من القيادة القولية بلا عمل، ثمّ بالقيادة العمليّة، و تنتهي بالقيادة القولية و العمليّة معا. و بقليل من التأمل نجد أنّنا لا نستطيع أن نعدّ القيادة القولية بلا عمل من درجات القيادة الأخلاقية المثالية، لأنّ الإمام و القائد الأخلاقيّ للمجتمع-من منظور إسلاميّ- ينبغي أن يكون قدوة للناس في سلوكه و عمله قبل أن يدعوهم إلى القيم بأقواله. قال أمير المؤمنين عليه السّلام في هذا المجال: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، و ليكن

ص: 56

تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، و معلّم نفسه و مؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس و مؤدّبهم» (1). القيادة الأخلاقية بلا عمل لا تمثّل قيمة معيّنة، بل هي منافية للقيم. و يتحدّث الشاعر حافظ الشيرازي عن القائلين الحقّ المنحرفين عنه في العمل فيقول ما ترجمته: -هؤلاء الوعّاظ الذين يتبدّون بمثل هذا القدر (من القداسة) فوق المنبر و أمام المحراب يفعلون الأفعال إذا ما انفردوا في خلوة. -إني لحائر! فسل عالم المجلس: ترى. . . ما بال الأمرين بالتوبة لا يتوبون هم أنفسهم إلاّ في الندرة؟! -كأنّما هم لا يؤمنون بيوم الحساب، فيرتكبون كلّ هذا الغشّ و التزوير مع الله المحاسب! و يوتّخ القرآن الكريم بشدّة الأشخاص الذين يدعون الناس إلى التحلّي بالفضائل، و هم لا يتحلّون بها. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (2). و لعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مثل هؤلاء القادة الأخلاقيين بقوله: «لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، و الناهين عن المنكر العاملين به» (3). و روى عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و آله أنّه قال:

ص: 57

1-1) نهج البلاغة: الحكمة 73. [1]

2-2) الصف: 2 و 3. [2]

3-3) نهج البلاغة: الخطبة 129. [3]

«أتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت (أى: تمت و طالت) فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون و يقرأون كتاب الله و لا يعملون به» (1). فى ضوء ذلك، تبدأ درجات القيادة الأخلاقية من القيادة القولية و العملية، و فى أعلى درجاتها يسبق عمل الإنسان قوله، و يصبح باطنه أفضل من ظاهره، أى: يقول قليلا و يعمل كثيرا، و هكذا يحظى بأجمل الفضائل الأخلاقية. يقول سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا المجال: «زيادة الفعل على القول أحسن فضيلة، و نقص الفعل عن القول أقبح رذيلة» (2).

ولاية القادة الأخلاقيين

يرى القرآن الكريم أنّ جميع المؤمنين يتسمون بالقدرة على القيادة الأخلاقية، و ما عليهم إلا أن يهيئوا أنفسهم لهذه القيادة. قال تعالى: وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (3). إنّ هذه الولاية التى منحها الله كافة المسلمين ليست قيادة سياسية، بل هى قيادة و ولاية أخلاقية، إذ من حقّ المسلم-بل من واجبه-فى نشر القيم الأخلاقية فى المجتمع الإسلامى و تطهيره من الرذائل، أن يخطو هو فى هذا السبيل، و أن يأمر به الآخرين.

ص: 58

1-1) شعب الإيمان: 2/283/1773، [1] كنز العمال: 11/398/31856.

2-2) غرر الحكم: 4459. [2]

3-3) التوبة: 71. [3]

يمكننا أن نجد أبرز نموذج للقيادة الأخلاقية في نهج البلاغة. حيث يصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحد إخوانه في الله، بدون أن يصرح باسمه، لما نال من أرفع درجات القيادة الأخلاقية، ويؤكد في آخر كلامه أن التحلى بهذه الصفات ضروري للجميع، وإذا تعذر على أحد أن يبلغ تلك الدرجة الرفيعة من الفضائل الأخلاقية فعليه أن يسعى بمقدار جهده ليحظى بقسم منها. قال عليه السلام: «كان لى فيما مضى أخ فى الله، و كان يعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه. و كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد، و لا يكثر اذا وجد. و كان أكثر دهره صامتا، فإن قال بَدَّ (1) القائلين، و تقع غليل (2) السائلين. و كان ضعيفا مستضعفا، فإن جاء الجَدَّ فهو ليث غاب وصلَّ (3) واد، لا يدلى بحجة حتى يأتي قاضيا. و كان لا يلوم أحدا على ما يجد العذر فى مثله حتى يسمع اعتذاره. و كان لا يشكو وجعا إلا عند برئه. و كان يقول ما يفعل و لا يقول ما لا يفعل. و كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت. و كان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم. و كان إذا بدده أمران ينظر أيهما أقرب الى الهوى فيخالفه. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها و تنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير» (4).

ص: 59

1- 1) أى سبقهم و غلبهم. (لسان العرب).

2- 2) أى أزال العطش.

3- 3) الصلّ-بالكسر-: الحيّة التى تقتل إذا نهشت من ساعتها. (لسان العرب).

4- 4) نهج البلاغة: الحكمة 289. و [1] روى هذا الكلام باختلاف يسير عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كما فى بحار الأنوار: 69/294/24. [2]

إنّ التعرّف على حقائق الوجود من أهمّ أسس تكامل الإنسان، وكلّما زاد وعى الإنسان زادت كرامته وزاد كماله الإنسانيّ. ولا ريب أنّنا لا يمكن أن نلّم بالحقائق التي تعرّف الإنسان على منهاج تكامله بدون قيادة علميّة، فالمجتمع إذن يحتاج إلى القيادة العلميّة لا محالة كحاجته إلى القيادة الأخلاقيّة والسياسيّة. والنقطة اللافتة للنظر - من منظار عام - هي أنّ العلوم التي يحتاج إليها الإنسان تنقسم إلى قسمين: الأوّل: العلوم التي يحصل عليها الإنسان بجهوده وتجاربه. الثاني: العلوم التي لا يمكن الحصول عليها إلاّ عن طريق الاتّصال بمبدأ الوحي وبارئ الوجود. ولا يحتاج المجتمع إلى قيادة إلهيّة من أجل الحصول على القسم الأوّل من العلوم المذكورة، لأنّه يستطيع أن يحصل عليها وحده، وما دور القيادة الإلهيّة هنا إلاّ

التخطيط لتسيير هذه العلوم باتجاه سعادة الإنسان الدائمة. أما القسم الثانى منها- كالحقائق المتعلقة بالمبدأ والمعاد مما لا يتسنى إحرازه بالدراسة والبحث والتجربة- فلا جرم أن المجتمع يحتاج إلى قيادة إلهية بغية كسبها. ولا تتحقق هذه الامور إلا عبر القيادة التى ينبغى أن تكون آراؤها مصونة من الخطأ، كى تحول دون بروز خلاف فى تحديد الحقائق التى عرضها الوحي.

قيادة القرآن العلمية

بعد رحيل الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله زعم البعض أن القرآن الكريم وحده يكفى لقيادة العالم علمياً، وطرح هؤلاء شعارهم المعروف «حسبنا كتاب الله» لإلغاء حاجة المجتمع الإسلامى إلى المرجعية العلمية لأهل بيت النبوة عليهم السلام، بيد أن التاريخ الإسلامى أثبت بوضوح أن هذا الشعار ليس سديداً، وأن القرآن الكريم وحده لا يلبى حاجة المجتمع الإسلامى بدون قيادة إلهية. وحينما أوفد أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس لمناظرة المتمردى فى النهروان، قال له: «لا تخصصهم بالقرآن، فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً» (1). القرآن دستور الإسلام، ولا شك أنه يحتاج إلى مفسرين مصونين من الخطأ، يستطيعون أن يهدوا المجتمع الإسلامى إلى حقائقه ومفاهيمه، وإلى ما يحتاجون إليه من برامج فى حياتهم. من هنا قرن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أهل بيته بالقرآن بوصفهم هداة الأمة الإسلامية وقادتها، وذلك فى حديث الثقلين المتواتر الذى اتفق عليه الفريقان (الشيعة والسنة). وعلى هذا الأساس أصبحت القيادة السياسية والقيادة العلمية فى

ص: 62

المجتمع الإسلاميّ جنباً إلى جنب، لتكون المرجعية العلميّة لأهل البيت تمهيدا لقيادة المسلمين السياسيّة، لكن واحسرتاه...!

قيادة المعصوم العلميّة

إنّ قيادة المعصوم العلميّة في علاج المشاكل العلميّة وتشخيص الحقائق التي جاء بها الوحي من المسائل التي استند إليها الأئمة المعصومون وأصحابهم في مناظراتهم مع مناوئهم لإثبات ضرورة قيادة المعصوم. وكان أمير المؤمنين عليه السّلام أوّل من تمسّك بهذا البرهان. فقد انتقد بعض العلماء المعاصرين له الذين كانوا يختلفون في استنباط الأحكام الإلهيّة، وأعلن مستنكراً: لماذا لا يريدون أن يقرّوا بهذه الحقيقة وهي أنّ الله تعالى عيّن لهم مرجعاً لعلاج الاختلاف في استنباط الأحكام؟! ثمّ قال: «ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثمّ ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوّب آراءهم جميعاً، وإلّهم واحد، ونبيّهم واحد، وكتابهم واحد!». وواصل الإمام عليه السّلام كلامه، فطرح أسئلة حول اختلافهم في تعيين الحكم الواقعيّ للإسلام، وترك جوابها للسامع كي يستنتج بشكل طبيعيّ أن لا سبيل لرفع الاختلاف في استنباط الأحكام إلّا الرجوع إلى المعصوم، وليس لأيّ فقيه وعالم أن يملأ الفراغ الناتج عن غياب القائد المعصوم، قال عليه السّلام: «أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟! أم نهاهم عنه فعصوه؟! أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟! أم كانوا شركاءه فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟! أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصر الرّسول صلّى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه، والله

سبحانه يقول: ما فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (1) وفيه تبيان لكلّ شيء، و ذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، وأنّه لا اختلاف فيه (2). في ضوء ذلك، إذا كان محالاً على الله أن يصدر تعاليم متناقضة، وهو كذلك حقاً، وإذا كان دين الله كاملاً، وهو كذلك لا محالة، وإذا كان الله تعالى لم يستعن بأحد لإكمال دينه، وهو كذلك قطعاً، وإذا كان الله لا كفوله فيحقّ له التشريع، وهو كذلك حتماً، وإذا كان النبي لم يقصّر في إبلاغ دين الله الكامل، وهو كذلك حقاً، وإذا كان الله تعالى قد بيّن كلّ شيء في القرآن الكريم، وهو كذلك قطعاً، إذا كان ذلك كلّه فمن أين نشأ الاختلاف؟ محصّلة ما ذكرناه هو أنّه لا بدّ أن يخلف النبي صلّى الله عليه وآله من له القدرة على استنباط الأحكام الإلهية جميعها من القرآن الكريم، ويكون مصوناً من الخطأ والطيش في تشخيصه، ويمثّل الملاذ الفكرى والمرجع العلمى للإمامة الإسلامية.

مناظرة عمر بن اذينة مع قاضى الكوفة

على أساس هذا البرهان المتين كانت هناك مناظرة رائعة حول مرجعية المعصوم العلمى فى الأحكام الإلهية، جرت بين عمر بن اذينة أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وعبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى الكوفة. يقول عمر: دخلت يوماً على عبد الرحمن بن أبى ليلى بالكوفة وهو قاض، فقلت: أردت-أصلحك الله- أن أسألك عن مسائل و كنت حديث السنّ. فقال: سل، يا بن أخى عمّا شئت! قلت: أخبرنى عنكم معاشر القضاة، ترد عليكم القضية فى المال و الفرج و الدم،

ص: 64

[1-1] الأنعام: 38. [1]

[2-2] نهج البلاغة: الخطبة 18. [2]

فتقضى أنت فيها برأيك، ثم ترد تلك القضية بعينها على قاضى مكة، فيقضى فيها بخلاف قضيتك، ثم ترد على قاضى البصرة، وقاضى اليمن، وقاضى المدينة، فيقضون فيها بخلاف ذلك، ثم تجتمعون عند خليفتم الذى استقضاكم فتخبرونه باختلاف قضايكم، فيصوب رأى كل واحد منكم، وإلهمك واحد، ونبئكم واحد، ودينكم واحد! أفأمركم الله عزّ وجلّ بالاختلاف فأطعتموه؟ أم نهاكم عنه فعصيتموه؟ أم كنتم شركاء الله فى حكمه فلكم أن تقولوا وعلية أن يرضى؟ أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بكم فى إتمامه؟ أم أنزله الله تاما فقصّر رسول الله صلّى الله عليه وآله عن أدائه؟ أم ماذا تقولون؟ (ولمّا كانت هذه الأسئلة جديدة على عبد الرحمن، فإنّه أراد أن يعرف السائل)، فقال: من أين أنت يا فتى؟ قلت: من أهل البصرة. قال: من أيّها؟ قلت: من عبد القيس. قال: من أيّهم؟ قلت: من بنى اذينة. قال: ما قرابتك من عبد الرحمن بن اذينة؟ قلت: هو جدّى. فرحب بى وقربنى، وقال: أى فتى، لقد سألت فغلطت، وانهمكت فتعوضت، وسأخبرك إن شاء الله، أمّا قولك فى اختلاف القضايا، فإنّه ما ورد علينا من أمر القضايا ممّا له فى كتاب الله أصل أو فى سنة نبيّه صلّى الله عليه وآله فليس لنا أن نعدو الكتاب والسنة، وأمّا ما ورد علينا ممّا ليس فى كتاب الله ولا فى سنة نبيّه فإنّا نأخذ فيه برأينا. قلت: ما صنعت شيئا! لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ما فرطنا فى الكتاب من

شَيْءٍ (1)، وقال فيه: تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ (2). . . . قال: . . . فتقول أنت: إنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قلت: اللَّهُ قَالَ ذَلِكَ، وَ مَا مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ إِلَّا وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ عَرَفِهِ، وَ جَهَلَهُ مِنْ جَهْلِهِ. وَ لَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِيهِ بِمَا لَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ بِمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قلت: قَوْلُهُ: فَاصِّبِحْ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا (3). قَالَ: فَعِنْدَ مَنْ يَوْجَدُ عِلْمَ ذَلِكَ (أَيَّ عِلْمٍ مَا فِي الْقُرْآنِ)؟ قلت: عِنْدَ مَنْ عَرَفْت! قَالَ: وَ دَدْتُ لَوْ أَنَّي عَرَفْتَهُ فَأَغْسِلَ قَدَمِيهِ وَ أَخْذَ عَنْهُ وَ أَتَعَلَّمَ مِنْهُ! قلت: أَنَا شَدَّكَ اللَّهُ، هَلْ تَعْلَمُ رِجَالًا كَانَ إِذَا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ شَيْئًا أَعْطَاهُ، وَ إِذَا سَكَتَ عَنْهُ ابْتَدَأَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَلِكَ عَلَيَّ بِنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قلت: فَهَلْ عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا سَأَلَ أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَنِ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ؟ قَالَ: لَا. قلت: هَلْ عَلِمْتَ أَنَّهُمْ (أَيَّ الصَّحَابَةِ) كَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَ يَأْخُذُونَ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قلت: فَذَلِكَ عِنْدَهُ. قَالَ: فَقَدْ مَضَى، فَأَيْنَ لَنَا بِهِ؟!

ص: 66

[1-1] الأنعام:38. [1]

[2-2] النحل:89. [2]

[3-3] الكهف:42. [3]

قلت: تسأل في ولده، فإن ذلك العلم عندهم. قال: وكيف لى بهم؟ قلت: رأيت قوما كانوا بمفازة من الأرض و معهم أدلاء، فوثبوا عليهم فقتلوا بعضهم و جافوا بعضهم، فهرب و استتر من بقى لخوفهم، فلم يجدوا من يدلهم، فتأهوا فى تلك المفازة حتى هلكوا؟ ما تقول فيهم؟ قال: إلى النار. و اصفر وجهه، و كانت فى يده سفر جلة، فضرب بها الأرض فتهشممت، و ضرب بين يديه، و قال: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**. (1)(2).

مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد

إن أروع مناظرة حول ضرورة قيادة الإمام المعصوم و مرجعيته العلميّة هي المناظرة التي دارت بين هشام بن الحكم و عمرو بن عبيد (3) رئيس فرقة من فرق المعتزلة. و صفوة القول فيها أن شابًا من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام البارزين غلب مناظره الذي كان عالما معروفًا و إماما لأهل البصرة، و تناقلت الأوساط العلميّة يومئذ خبر هذه المناظرة حتى رغب الإمام الصادق عليه السلام أن يسمعها على لسان تلميذه الفتى، و فيما يأتي نصّ ما جاء فيها: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم. . . هشام بن الحكم و هو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام، ألا تخبرنى كيف صنعت بعمر و بن عبيد؟ و كيف سألته؟

ص: 67

1-1 (1) البقرة: 156. [1]

2-2 (2) دعائم الإسلام: 1/92، [2] بحار الأنوار: 104/270 و [3] ما بين القوسين توضيح منّا أضفناه.

3-3 (3) و كان من شيوخ المعتزلة المعروفين بالتقشف و الزهد.

فقال هشام: يا بن رسول الله، أنى اجلك واستحييك، ولا يعمل لسانى بين يديك! فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشىء فافعلوا. قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه فى مسجد البصرة، فعظم ذلك علىّ، فخرجت إليه و دخلت البصرة يوم الجمعة. فأنتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد و عليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، و شملة مرتد بها، و الناس يسألونه. فاستفرجت الناس، فأفرجوا لى، ثمّ قعدت فى آخر القوم على ركبتى. ثمّ قلت: أيها العالم، إتى رجل غريب، تأذن لى فى مسألة؟ فقال لى: نعم. فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بنى، أى شىء هذا من السؤال؟! و شىء تراه كيف تسأل عنه؟! فقلت: هكذا مسألتى. فقال: يا بنى، سل و إن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها. قال لى: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان و الأشخاص. قلت: فلك أنف؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟

قال: أشمّ به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم. قلت: فلك اذن؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت: ألك قلب؟ (1) قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح و الحواس. قلت: أوليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا. قلت: وكيف ذلك و هى صحيحة سليمة؟ قال: يا بنى، إنّ الجوارح إذا شكّت فى شىء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين و يبطل الشكّ. قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم. قلت: لا بدّ من القلب و إلاّ لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.

ص: 69

1-1) المقصود من القلب هنا مركز التعقّل و الإدراك.

فقلت له: يا ابا مروان، فالله تبارك و تعالی لم یترک جوارحک حتّی جعل لها إماما یصحّح لها الصّحیح و یتیقّن به ما شکّ فيه، و یترک هذا الخلق کلّهم فی حیرتهم و شکّهم و اختلافهم، لا یقیم لهم إماما یردّون إلیه شکّهم و حیرتهم، و یقیم لک إماما لجوارحک تردّ إلیه حیرتک و شکّک؟! قال: فسکت، و لم یقل لی شیئا، ثمّ التفت إلیّ، فقال لی: أنت هشام بن الحکم؟ فقلت: لا. قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا. قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الکوفة. قال: فأنت إذا هو! ثمّ ضمّنی إلیه، و أقعدنی فی مجلسه و زال عن مجلسه (1)، و ما نطق حتّی قمت! قال: فضحک أبو عبد الله علیه السّلام و قال: یا هشام من علّمک هذا؟ قلت: شیء أخذته منك و ألّفته. فقال: هذا و الله مکتوب فی صحف إبراهیم و موسی (2).

ص: 70

-
- 1-1) أی: ترحّح عن مکانه الذی کان یجلس فیہ و أجلس هشاما تعظیما له.
2-2) الکافی: 1/169/3. [1]

إشارة

وهي أحد الأقسام الأربعة للقيادة وأكملها. ولا تعنى القيادة الباطنية سلطة سياسية أو هداية أخلاقية أو زعامة علمية، بل تعنى نوعاً من الهداية التكوينية بين القائد والمقود في مسار تكامل الإنسان. وفي ضوء ذلك، لا يتهيأ هذا اللون من العبادة إلا لمن له ولاية تكوينية.

تعريف الولاية التكوينية

وهي ضرب من القدرة المعنوية التي يتمتع بها الإنسان بإرادة الله ونتيجة العمل بتعاليم والأحكام الإلهية. قال العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه في تفسير كلمة «الولاية»، والفارق بينها وبين النبوة: «النبوة حقيقة حصلت على الأحكام الدينية والنواميس الإلهية المرتبطة بالحياة وأبلغتها الناس، والولاية حقيقة تظهر في الإنسان نتيجة العمل بتعاليم

النبوة والنواميس الإلهية» (1). بعبارة أوضح: النبوة تعرض منهاجا لتكامل الإنسان، و التكامل الذى يناله الإنسان بتطبيقه هذا المنهاج حقيقة تمنحه طاقة و قدرة معنوية يغدو معها قادرا على التصرف فى عالم الوجود، بما يناسب قدرته و طاقته. من هنا تسمى هذه الحقيقة و هذه القدرة «ولاية تكوينية» أو «ولاية معنوية». و كلما ازدادت فاعلية ثمرات النبوة فى حياة الإنسان ازدادت درجات ولايته التكوينية حتى يصل إلى درجة «الولاية الإلهية الكلية» أى: درجة الإنسان الكامل. و يمكننا أن نستنتج إذن أن الولاية كالإمامة لها مراتب و درجات.

درجات الولاية التكوينية

إشارة

ذكروا لها خمس درجات هي (2):

1- السيطرة على النفس

يكسب الإنسان فى هذه الدرجة من التكامل قوة أمام رغباته النفسانية و الحيوانية، فيتغلب على نفسه الأمارة، و يسخر ميوله النفسية، و يمسك بزمام حكومته على نفسه، و يصبح فى آخر المطاف قائدا كفوء فى نطاق وجوده. و آية الوصول إلى هذه الدرجة من التكامل هي البصيرة. أى: يصبح الإنسان ذا بصيرة نتيجة السيطرة على ميوله و رغباته النفسية، تلك السيطرة التى سماها القرآن الكريم: التقوى. و حينئذ يستطيع فى ضوئها أن يرى الحقائق العقلية كما هي عليه،

ص: 74

1-1) خلافت و ولايت: مجلة حسينية الإرشاد، سنة 1390 هـ نقلا عن مجلة «مكتب تشيع»، العدد 172/2-180 بقلم الاستاذ العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه.
2-2) نفسه: مقالة الاستاذ الشهيد مطهرى، ص 383-393.

وأن يميز الحق من الباطل. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّبِعُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (1). و وعد سبحانه عباده الذين يجاهدون في سبيله بقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (2).

2- التغلب على الخيال

قوة الوهم و الخيال من أعجب القوى البشرية الخارجة عن إرادة الإنسان، بل المسيطرة عليه من هنا، قلما يستطيع الإنسان أن يركّز على موضوع معين، مثلا عند الصلاة تتقاذفه هذه القوة و تميل به يمينا و شمالا، فلا يحضر قلبه فيها حضورا تاما. و يتغلب الإنسان على هذه القوة- فى الدرجة الثانية من تكامله- بواسطة الولاية التكوينية. بعد ذلك كلما اشتاقت الروح إلى العروج نحو معشوقها الحقيقي على أساس فطرتها الإلهية تفقد قوة الخيال قدرتها على العمل، فلا يسعها أن تحول دون عروج العاشق، قال الشاعر جلال الدين الرومى فى شرح الحديث النبوى القائل: «تنام عيناي و لا ينام قلبى» (3) ما ترجمته: قال النبى صلى الله عليه و آله: «تنام عيناي و لا ينام قلبى عن رب الأنام». عينك ساهرة و قلبك نائم، و عيني غافية و قلبى فى (مقام) فتح الباب (باب الرحمة و التقرب إلى الحق). أنا لست جليسك بل ظلّى هو من يجالسك، و إنّ مقامى يفوق الأفكار بل عبرت الأفكار، و أخرج باحثا فيما وراء الأفكار أنا حاكم على الفكر و لست محكوما، كما انّ البتاء حاكم على بنائه.

ص: 75

الناس جميعهم مسخّرون للأفكار، لذلك تراهم مرهقين مغمومين. أنا كالطائر المحلّق في أعالي الجوّ والفكر ذبابة، فمتى تستطيع الذبابة أن تدركنى؟

3- القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة مادّية

يتمتع الإنسان في الدرجة الثالثة من التكامل بقدرة تمكّنه من القيام بأعمال معيّنة دون الحاجة إلى الوسائل والآلات المادّية. أى: تستغنى الروح عن أجهزة الجسم في بعض نشاطاتها. على سبيل المثال، يستطيع الإنسان أن يرى الأشياء من غير استعانة بالعين، ويستطيع أن يسمع من غير استعانة بالأذن، أو من غير أن يكون حاضرا. حضورا مادّيا، ويتحقّق هذا الاستغناء لعدد من اللحظات حيناً، ولعدد من المرّات حيناً آخر، وعلى الدوام حيناً ثالثاً، وهو ما يعرف بالتجرّد.

4- السيطرة التامة على الجسم

يسيطر الإنسان على جسمه سيطرة تامّة في الدرجة الرابعة من تكامله. أى: يخضع الجسم لإرادة الإنسان من كلّ الجهات بحيث يفعل الإنسان الخوارق في حيّز جسمه.

5- السيطرة على الكون

في أعلى درجة من درجات التكامل وفي خامس مرتبة من مراتب الولاية التكوينية يتمتع الإنسان بقدرة تجعله يتصرّف في الكون و يفعل ما يشاء، مضافا إلى سيطرته التامة على نطاق وجوده الشخصى. جاء في الحديث النبوى الشريف أنّ أهل الجنّة عندما يدخلونها يؤمر ملك أن يناولهم كتابا من عند الله، فيدخل عليهم بعد أن يستأذن ويسلّم عليهم، فيناولهم الكتاب، وفيه: «من الحىّ القيوم الذى لا يموت إلى الحىّ القيوم الذى لا يموت. أمّا بعد، فإتى

أقول للشئىء: كن فيكون، وقد جعلتك اليوم تقول للشئىء: كن فيكون». قال صلّى الله عليه وآله: فلا يقول أحد من أهل الجنة للشئىء: كن إلا ويكون (1). والإنسان الكامل يتمتع بتلك القدرة فى هذا العالم، كما يتمتع أهل الجنة فى جنتهم. روى أنّ الله تعالى يخاطب الإنسان قائلاً: «يا بن آدم، أنا حيّ لا أموت، أطعنى فيما أمرتك حتّى أجعلك حيّاً لا تموت. يا بن آدم، أنا أقول للشئىء: كن فيكون، أطعنى فيما أمرتك أجعلك تقول للشئىء: كن فيكون» 1. ومن هذا السنخ معجزات الأنبياء والأولياء الصالحين وكراماتهم. فقد وهبهم الله قدرة وإرادة يستطيعون من خلالهما التصرف فى الكون بإذن الله، فيقلبون العصا حيّة تسعى، ويرثون الأكمه، ويحيون الميت، وهذه القدرة هى نتيجة الائتمار بأمر الله، وطى صراط التقرب بالحق، واقتراب الإنسان من مركز القدرة فى الكون.

بضع ملاحظات

ونظراً إلى ما عرضناه فى مفهوم الولاية التكوينية ودرجاتها، يبدو أنّ الاهتمام بعدد من الملاحظات ضرورى: 1- من الثابت أنّ نقطة البداية فى الولاية التكوينية هى سيطرة الإنسان على نفسه وتألّق بصيرته، وفى أعلى درجاتها تصبح له قدرة على التصرف فى الكون،

ص: 77

1-1) تفسير القرآن الكريم: 5/15 [1] للملاّ صدرنا نقلاً عن الفتوحات المكيّة لابن عربى: 3/295/الباب 361 [2] دار

ونيل الولاية المطلقة. لكن لو سألت عن المسافة بين البداية والنهاية، وهل تنحصر درجات الولاية التكوينية بما ذكرناه؟ فلا يتسنى لنا الجواب بدقّة ووضوح. بيد أنّا يمكن أن نقول مجملاً: إنّ عدد درجات الولاية الإلهية يساوى عدد منازل السلوك إلى الله و مراتب تكامل الإنسان. 2- إنّ مطلق القدرة الروحية للإنسان لا يدلّ على تكامله، لأنّ التمتع بهذه القدرة يمكن أن يحصل عبر الرياضة أيضاً، لكن من الواضح أنّ جميع درجات الولاية التكوينية- في ضوء التعريف المارّ ذكره- تترجم السير التكامليّ للإنسان و تقربه إلى الله تعالى. 3- إنّ أعلى درجات الولاية هي أعلى درجات الإمامة والقيادة في الإنسان الكامل، وقد عدّها الكلام الإلهيّ أعلى من النبوة أيضاً، إذ وصف القرآن الكريم السير التكامليّ لإبراهيم عليه السلام، فقال: **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (1)**. وقد بلغ إبراهيم الخليل عليه السلام مقام الولاية الإلهية المطلقة و الإمامة في شيخوخته بعد النبوة و اجتياز الاختبارات المصيرية الصعبة، و طوّى درجات التكامل. و وصف الإمام الباقر عليه السلام السير التكامليّ لذلك النبيّ العظيم، مستلهما من القرآن الكريم، فقال: **«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا. فَلَمَّا جُمِعَ لَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ- وَقَبِضَ يَدُهُ- قَالَ لَهُ: يَا**

ص: 78

إبراهيم إنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً (1).

فلسفة الولاية التكوينية

ينبغي لنا-بعد تبين مفهوم الولاية التكوينية ودرجاتها-أن نتعرف على فلسفتها، وكيف يحتاج المرء إلى الهداية المعنوية للإنسان الكامل، والقيادة الباطنية للإمام. إن دراسة دقيقة للروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام تدلّ على أن الإسلام يرى أن الإنسان والمجتمع البشري بحاجة إلى إشراف الإنسان الكامل وهدايته وقيادته الباطنية والارتباط التكويني به، من أجل نضجهما وبلوغهما الكمال المطلوب. وليس هذا فحسب، بل إن بقاء نظام العالم المادّي رهين بالبقاء العنصري للإنسان الكامل في جميع الآباد. وتنقسم الروايات الإسلامية في هذا المجال إلى ثلاثة أقسام: 1- الروايات التي ترى أن الإنسان يحتاج إلى القيادة الباطنية للإمام في مسار تكامله المعنوي. 2- الروايات التي تذهب إلى أن بقاء نظام الأرض بدون بقاء الإمام محال. 3- الروايات التي تبين دور الإمام الخاص في بقاء النظام الكوني.

دور الإمام في هداية الإنسان باطنياً

يرشدنا البحث في القرآن الكريم و الروايات الإسلامية في مجال الإمامة والقيادة إلى أن دور الإنسان الكامل أو الإمام في هداية الناس يتخطى إراءة الطريق. فالإمام-مضافاً إلى هدايته العامة-يعين المؤهلين والكفوئين على طيّ الطريق وبلوغ ما يطمحون إليه، وهو الكمال المطلق.

ص: 79

بعبارة اخرى: لا يقتصر دور الإمام في تكامل الإنسان على إراءة طريق التكامل، بل يربى الأرواح المؤهلة تكوينياً- في ظل أنواره الباطنية- و يقتادها نحو الكمال المطلق. ونقل الشيخ الكليني رضوان الله عليه في كتابه الثمين «الكافي» باب «أن الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ» ستّ روايات عن أئمة الهدى عليهم السلام فسّرت فيها كلمة «النور» الواردة في بعض الآيات القرآنية بالإمام، نكتفى بذكر اولها: عن أبي خالد الكابلي، قال: سألت أبا جعفر (أى الإمام الباقر) عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا (1)». فقال عليه السلام: يا أبا خالد، النور و الله نور الأئمة من آل محمّد صلّى الله عليه وآله إلى يوم القيامة. وهم و الله نور الله الذى انزل. وهم و الله نور الله فى السماوات و فى الأرض. و الله يا أبا خالد، لنور الإمام فى قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم و الله ينورون قلوب المؤمنين، و يحجب الله عزّ وجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم (2). نلاحظ من منظار هذه الرواية أنّ الإمام فى مقام الولاية التكوينية شمس متألقة أسطع من الشمس المحسوسة، تضىء باطن العالم اللامحسوس، و تنير ملكوت السماوات و الأرض و ضمائر المؤمنين الذين لا يشاهدون طريق الوصول إلى الهدف الأعلى للإنسانية فى ظلّ هذا النور فحسب، بل يظفرون بهذا الهدف أيضا. بعبارة اخرى: تؤثّر الشمس المعنوية للإمام فى تكامل الإنسان المعنويّ تكوينياً

ص: 80

[1-1] (التغابن: 8). [1]

[2-2] (الكافي: 1/194/1). [2]

-مضافا إلى إنارتها طريق هذا التكامل- كما تؤثر شمسنا المحسوسة في تكامله المادّي تكوينيّاً، مضافا إلى إضاءتها الظاهريّة. قال العلامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه في دور الإمام التكوينيّ في هداية الإنسان-بعد تعريف الولاية التكوينيّة بالتفصيل الذي ذكرناه-: «أطلق القرآن الكريم كلمة «الإمام» على من له درجات القرب، وكان أميراً لقافلة أهل الولاية، و حافظاً لارتباط الإنسانية بهذه الحقيقة. فالإمام هو الذي اصطفاه الله سبحانه للسير بصراط الولاية قدماً، وهو الذي أمسك بزمام الهداية المعنويّة، وعندما تشعّ الولاية في قلوب العباد فإنّها أشعة و خطوط ضوئيّة من منبع النور الذي عنده، و المواهب المتفرّقة روافد متّصلة ببحره اللامتناهي» (1). وقال رحمه الله في المفهوم القرآني للإمامة ما نصّه: «... فالإمام هادي يهدي بأمر ملكوتيّ بصاحبه. فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، و هدايتها إيصالها إليهم إلى المطلوب بأمر الله، دون مجرد إراءة الطريق الذي هو شأن النبيّ و الرسول و كلّ مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح و الموعدة الحسنة» (2). و قال في الفصل السادس من قسم معرفة الإمام، من كتاب «الشيعة في الإسلام»، تحت عنوان: «الإمامة في باطن الأعمال» و هو يثبت كلامه: «للإمام ملكة توجيهيّة قياديّة على باطن أعمال الناس، كما له تلك الملكة على ظهرها، و هو رأس القافلة، الذي يسير إلى الله عن طريق الباطن. و لا بدّ أن نلفت الأنظار إلى المقدمتين الآتيتين من أجل تبيان هذه الحقيقة: الأولى: لا ريب أنّ الوسيلة الوحيدة لسعادة الإنسان أو شقائه الأبدى-من

ص: 81

1-1) خلافت و ولايت (الخلافة و الولاية): 380.

2-2) تفسير الميزان: 1/272. [1]

منظار الإسلام والأديان السماوية الأخرى- هي أعماله الصالحة أو السيئة، إذ يتكفل الدين السماوي بتعليمه، وهو أيضا يدرك صلاحها و سوءها عبر الفطرة المودعة فيه. . . ولا شك أن خالق الوجود-الذي يفوق تصوّرنا من كلّ الجهات-ليس له تفكير اجتماعي مثلنا: وهذا التنظيم العرفي للربوبية والعبودية وإصدار الأوامر وطاعتها والأمر والنهي والثواب والعقاب لا وجود له خارج حياتنا الاجتماعية. و النظام الإلهي هو النظام الكوني نفسه الذي يرتبط فيه وجود كل شيء وظهوره بصنع الله تعالى، حسب العلاقات الحقيقية وكفى. . . و ينبغي أن نستنتج من هذا أن علاقة حقيقية قائمة بين الأعمال الصالحة والسيئة وبين ما هو موجود في عالم الأبد من الحياة وخصائصها، فسعادة الحياة القادمة وشقاؤها وليدا ذلك بإذن الله. وبعبارة أبسط: تظهر في باطن الإنسان حقيقة في كلّ عمل من الأعمال الصالحة والسيئة، فتصبح حياته القادمة رهينة بها. . . وملخص الكلام أن للإنسان في باطن هذه الحياة الظاهرية حياة باطنية أخرى («حياة معنوية») تتبع من أعماله وتنمو فترتبط بها سعادته وشقاؤه في ذلك العالم ارتباطا تاما. . . الثانية: يحدث كثيرا أن أحدنا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو لا يعمل بما يأمر به أو ينهى عنه، بيد أننا لا نجد ذلك أبدا عند الأنبياء والأئمة الذين تتحقّق هدايتهم وقيادتهم بأمر الله. فهم يعملون بالدين الذي يهدون إليه ويضطلعون بقيادته، ويتمتعون بالحياة المعنوية التي يقودون الناس إليها. ذلك أن الله لا يخول أحدا هداية الآخرين ما لم يهد نفسه. وهداية الله الخاصة متحققة لا محالة. ويمكن أن نحصل من هذا البحث على النتائج الآتية: 1- النبي أو الإمام في كلّ أمة يحرز المقام الأول في كمال الحياة المعنوية

الدينيّة التي يدعو ويهدى إليها، لأنّه يعمل بدعوته، ويتمتع بحياتها المعنويّة كما ينبغي. 2- [النبيّ أو الإمام] هو أفضل من الآخرين لأنّه الأوّل و الرائد و القائد. 3- أنّ من يتولّى قيادة الامّة بأمر الله فهو قائد لها في مرحلة الحياة المعنويّة و تجري حقائق الأعمال بقيادته، كما هو قائد لها في مرحلة الأعمال الظاهريّة» 12. و لسنا هنا في صدد التحليل الموسّع لكلام الاستاذ، لكننا نستطيع أن نقول: إنّ ما جاء في كلامه تبويب للآيات و الروايات التي يستنبط منها دور الإمام في هداية الإنسان الباطنيّة. أجل، إنّ الولاية و الهداية الباطنيّة و النورانيّة التي تحصل للإنسان نتيجة قيامه بالواجبات الإلهيّة تقاض عليه عن طريق الإمام، فالإمام واسطة فيض الولاية حقًا، من هنا لا تتيسّر الولاية المعنويّة للإنسان دون الاعتقاد بالإمام و الاتّصال به. و هذه هي الحقيقة التي أكّدها الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السّلام من أنّه لا تقبل الأعمال إلّا بالولاية 3. و فيما يأتي نموذج منها: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «و الّذي بعثني بالحقّ نبيا، لو أنّ رجلا لقي الله بعمل سبعين نبيا ثمّ لم يأت

بولاية اولى الأمر منّا أهل ليست ما قبل الله منه صرفا ولا عدلا» (1).

عرض أعمال الأمة على الإمام

إذا أنعمنا النظر فيما ذكر حول ولاية الإمام على أعمال الأمة أمكننا الكشف عن سرّ العرض الملكوتى لأعمال الأمة على لإمام، كما جاء فى النصوص الإسلامية، وقد أبان القرآن الكريم هذه الحقيقة جليّة أيضا، فقال عزّ من قائل: وَقُلْ إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (2). و جاء فى الحديث النبوى الشريف: « . . . فإنّ أعمالكم تعرض علىّ كلّ يوم. فما كان من حسن استزدت الله لكم، و ما كان من قبيح استغفرت الله لكم» (3). و تدلّ دراسة الأحاديث المأثورة فى هذا المجال على أنّ أعمال الأمة الإسلامية تعرض على النبى الأكرم صلّى الله عليه وآله بمقتضى مقام إمامته لا بمقتضى مقام نبوته، و يجرى هذا فى الأئمة المعصومين أيضا. من هنا قال الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير كلمة «المؤمنون» فى الآية 105 من سورة التوبة-وقد مرّت بنا-: إيانا عنى (4). بعبارة اخرى: إنّ الإشراف على أعمال الأمة من شؤون القيادة الباطنية للأئمة المصطفين. و كان هذا من خصائص الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله فى عصره، ثمّ اختصّ به أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، ثمّ صار للأئمة المعصومين الذين أعقبوه، و ها هى أعمالنا و أعمال الناس جميعهم تعرض على سيّدنا و مولانا إمام العصر و الزمان أرواحنا لتراب

ص: 84

1-1) أمالى المفيد: 115/8.

2-2) التوبة: 105. [1]

3-3) من لا يحضره الفقيه: 1/191/582.

4-4) بصائر الدرجات: 427/1، [2] مناقب آل أبى طالب: 4/400، وسائل الشيعة: 11/391/20.

مقدمه الفداء. و من هذا المنطلق، ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه أن داود الرقيّ -أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام- قال: كنت جالسا عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال لي مبتدئا من قبل نفسه: «يا داود، لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس، فرأيت فيما عرض عليّ من عملك صلتك لابن عمّك فلان، فسرتني ذلك، إني علمت أن صلتك له أسرع لفناء عمره و قطع أجله». قال داود: و كان لي ابن عمّ معاندا ناصبا خبيثا بلغني عنه و عن عياله سوء حاله، فصككت له بنفقة قبل خروجي إلى مكة، فلما صرت بالمدينة أخبرني أبو عبد الله عليه السلام بذلك (1). و نقراً نموذجاً آخر عن عبد الله بن أبان، قال: قلت للرضا عليه السلام: إن قوما من مواليك سألوني أن تدعو الله لهم، فقال: «و الله إني لأعرض أعمالهم على الله في كل يوم» (2). نفهم من هذه الرواية أن الإمام -مضافاً إلى إشرافه على أعمال الأمة- له وساطته المؤثرة في الإفاضات التي يمنّ بها الله تعالى على عبده العامل بتكاليفه. و هكذا يمكن القول: إن القيادة الباطنية للإمام في الإشراف على أعمال الأمة أمر يتيسر استيعابه بوضوح في ضوء الرواية المذكورة.

ص: 85

-
- 1-1) أمالي الطوسي: 431/929، [1] الخرائج و الجرائح: 2/612/8، بحار الأنوار: 23/339/9. [2]
- 2-2) بحار الأنوار: 23/349/56 [3] نقلاً عن بصائر الدرجات: 430/11 و [4] فيه: «فقال عليه السلام: و الله إني لتعرض عليّ في كل يوم أعمالهم»، وسائل الشيعة: 11/392/25. [5]

ترى الروايات الإسلامية أنّ الولاية التكوينية للإنسان الكامل لا تقتصر على القيادة الباطنية لأعمال الإنسان، بل إنّ بقاء النظام الطبيعي للأرض رهين بوجود الإنسان الكامل، بحيث إنّ الأرض إذا خلت منه لحظة واحدة فإنّ نظمها الطبيعي يتخلخل. قال الإمام الباقر عليه السلام: «جعلهم الله عزّ وجلّ أركان الأرض أن تميد بأهلها» (1). وقال عليه السلام أيضا: «لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله» (2). وقال الحسن بن عليّ الوشاء: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: هل تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلت: إنّا نروى أنّها لا تبقى إلاّ أن يسخط الله عزّ وجلّ على العباد، قال: لا تبقى، إذا لساخت (3).

دور الإمام في النظام الكونيّ

تدلّ روايات متعدّدة على أنّ دور الولاية التكوينية للإمام أكبر من دوره في القيادة الباطنية لأعمال الإنسان، كما تدلّ على تأثيره في إقرار النظم الطبيعيّ للأرض، وتشير بصراحة إلى أنّ النظام الكونيّ رهين بوجود الإمام وحياته على الأرض، ونحن نخاطب الأئمة المعصومين عليهم السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام ونقول: «بكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض» (4).

ص: 86

[1-1] الكافي: 1/198/3. [1]

[2-2] الكافي: 1/179/12. [2]

[3-3] نفسه: ح 13. [3]

[4-4] من لا يحضره الفقيه: 2/615/3213، تهذيب الأحكام: 6/99/177، عيون أخبار الرضا عليه السلام: 2/276/1، [4]

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «... لو لم يكن من خلقى فى الأرض فيما بين المشرق و المغرب إلّا مؤمن واحد مع إمام عادل لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت فى أرضى و لقامت سبع سماوات و أرضين بهما. . .» (1). و هكذا يستبين أنّ فلسفة الإمامة من منظور أهل البيت عليهم السلام لا تنحصر بزمان حضور الإمام و قيادته العلميّة و الأخلاقيّة و السياسيّة، بل لها غايتان أخريان أيضا، الأولى: القيادة الباطنيّة، و الثانية: حفظ النظام الكونى. من هنا يعتقد أتباع أهل البيت عليهم السلام أنّ النظام الكونى فى عصرنا هذا رهين بحياة الإمام الثانى عشر من أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. و هو الآن حى يرزق، و يستمتع الناس المؤهلون ببركات قيادته الباطنيّة، عجل الله تعالى فرجه و جعلنا من أعوانه و أنصاره.

ص: 87

1-1) الكافي: 1/350/2، بحار الأنوار: 22/152/75، و: 9/149/67.

الخلاصة

☐ القيادة الباطنية أكمل أنواع القيادة، وهي لا تعني سلطة سياسية أو هداية أخلاقية وعلمية، بل تعني نوعاً من العلاقة التكوينية بين القائد والمقود باتجاه تكامل الإنسان.

☐ لا تنتهي القيادة الباطنية لأحد إلا إذا كانت له ولاية تكوينية.

☐ الولاية التكوينية قدرة معنوية ينالها الإنسان نتيجة عمل بالفرائض الإلهية.

☐ للولاية التكوينية خمس درجات:

١- السيطرة على النفس.

٢- التغلب على الخيال.

٣- القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة مادية.

٤- السيطرة التامة على الجسم.

٥- السيطرة على النظام الكوني.

☐ لم نجد دليلاً على حصر درجات الولاية التكوينية بهذه الدرجات الخمس المذكورة. بيد أن الثابت هو أن الولاية التكوينية تبدأ من السيطرة على النفس الأمانة وتنتهي بالولاية المطلقة.

☐ يتكافأ عدد درجات الولاية التكوينية مع عدد منازل سلوك الإنسان الكامل ومراتبه.

☐ مطلق القدرة الروحية للإنسان لا تكشف عن تكامله، لأن التمتع بهذه القدرة يتيسر عبر الرياضة أيضاً.

☐ أعلى درجات الولاية هي أعلى درجات الإمامة والقيادة للإنسان الكامل . وقد عدها القرآن الكريم أعلى من درجة النبوة .

☐ للإمام أو الإنسان الكامل دوران أساسيان آخران في باطن النظام الكوني ، مضافاً إلى قيادته السياسية والأخلاقية والعلمية للمجتمع :
الأول : قيادته الباطنية للناس الموهلين .

☐ الإمام في موقع الولاية التكوينية شمسٌ أسطع من الشمس المحسوسة في سمائنا ، وهي تشع على باطن العالم اللامحسوس ، وتضيء ملكوت السماوات والأرض وضمان المؤمنين ، والمؤمنون الأبرار لا يشاهدون طريق الوصول إلى الهدف الأعلى للإنسانية في ظل نور الإمام فحسب ، بل يبلغون هذا الهدف أيضاً .

☐ إن الولاية والهداية الباطنية والنورانية التي تتهيأ للإنسان بفعل قيامه بالفرائض الإلهية تُفاض عليه عن طريق الإمام ، فالإمام واسطة فيض الولاية .

ولا يمكن أن تؤدي الأعمال الصالحة دورها في تكامل الإنسان دون الارتباط المعنوي به ، وما عرض أعمال الأمة على إمام كل زمان إلا من هذا القبيل .
الثاني : الركن المعنوي للنظام الكوني .

☐ الإمام في موضع الولاية التكوينية هو الركن الباطني للنظام الكوني . وبقاء نظام الطبيعة رهينٌ بالوجود المادي للإنسان الكامل ، وبدونه ينهار نظام السماء والأرض .

☐ للإمامة - من منظار أهل البيت (عليهم السلام) - أربع غايات :

١- القيادة السياسية .

٢- القيادة الأخلاقية .

٣- القيادة العلمية .

٤- الولاية التكوينية (المتضمنة للقيادة الباطنية وحفظ نظام الطبيعة) . والغاية

الرابعة هي وحدها الباقية في عصر الغيبة .

تمهيد

سنتوفّر على دراسة موقع الإمامة من منظار القرآن الكريم، والنبّي الأعظم ﷺ وأهل بيته ﷺ في ثلاثة فصول، من أجل أن ندلّ على مكانة الإمامة والقيادة في الإسلام.

وسنوضّح في الفصل الرابع تحت عنوان «القيادة من منظار أتباع أهل البيت» أنّ الإمامة والقيادة من أصول الدين الإسلاميّ.

اشارة

عرض القرآن الكريم تعبيرين دقيقين حول الإمامة، إذا أمعنا؟ ؟؟ الفكر؟ ؟؟ فيهما عرفنا الدور الحساس الذى تقوم به القيادة فى تطبيق الأهداف الإسلامية، وأدركنا مكانتها من منظور قرآنى.

أ: عهد الله

عبر القرآن الكريم عن هداية الإنسان الكامل للإمامة وقيادته لها بعهد الله، نقرأ ذلك فى سورة البقرة، قال تعالى: **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (1)**. نلاحظ فى هذه الآية الشريفة أن الله تعالى جعل الإمامة أعلى من النبوة، وعرضها على أنها عهد الله، وأكد أن من لم يتدسّ طول حياته بأى لون من ألوان

ص: 93

الظلم هو وحده من يمكن أن يكون أمينا على هذا العهد (1). وعلينا أن نعرف: ما هو الهدف من تسمية قيادة الإنسان الكامل في القرآن الكريم بـ «العهد»؟ وكيف يتحقق عهد الله الذي جعل الإنسان الكامل إماما؟ ومع من؟ يمكن أن يكون طرف العهد الإمام أو الأمة أو كلاهما، ولعلّ الاحتمال الثالث هو الأنسب، فالإمامة من جانب هي عهد الله مع الإمام، إذ يحقق غاية النبوة في المجتمع، وهي عهد الله مع الأمة من جانب آخر، للاستمداد من نير الوحي أكثر، وإن تكامل الإنسان ماديا ومعنويا- وهو يمثل فلسفة النبوة أيضا- رهين بوفاء الأمة بهذا العهد الإلهي. أي: إذا أوفى الناس بالعهد الإلهي و سلموا للإمام المؤيّد إمامته من الله فإن الله تعالى يوفى بعهدة أيضا، و يتفضّل عليهم بنعمة السعادة والهناء، والرفاهية والرخاء دنيا و آخرة (2).

ب: سبيل الله

لم يسأل الأنبياء أجرا على ما كانوا يقومون به من أعمال لهداية المجتمع البشريّ و صلاحه و انعتاقه. إنهم خدمة بلا أجر و لا منة، و هذه نقطة شديدة الأهميّة في قيادة القادة الربّانيين، و طالما أكّدها القرآن الكريم في آيه. نقرأ فيه أنّ أوّل الأنبياء من اولى العزم- و هو نوح عليه السلام- كان يقول بصراحة إنّه يقدّم خدماته للمجتمع بلا عوض و لا أجر، و هكذا اقتدى به من جاء بعده منهم كهود و صالح و لوط و شعيب و غيرهم عليهم السلام جميعا (3).

ص: 94

1-1) انظر الفصل الثاني من القسم الرابع في هذا الكتاب: «العدالة و القيادة» .

2-2) اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ . البقرة:40. [1]

3-3) انظر سورة الشعراء: الآيات 109،127،145،164،180.

و النقطة الأهمّ اللافتة للنظر هي أنّ نبينا الكريم محمّدا صلّى الله عليه وآله تفرّد عن غيره من الأنبياء بأنّه طلب من الناس مودّة قرياه و محبّتهم أجزا على رسالته بأمر الله تعالى، مع ترفّعه عن أىّ مطلب مادّيّ في مقابل خدماته. قال جلّ اسمه: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (1). و يثار هنا عدد من الأسئلة، من بينها: 1- لماذا طلب نبينا الكريم صلّى الله عليه وآله المودّة في القربى أجزا على رسالته؟ 2- كيف تكون هذه المودّة أجزا على خدماته صلّى الله عليه وآله في نبوته و رسالته؟ 3- من هم هؤلاء القربى الذين جعل الله سبحانه مودّتهم أجزا على رسالة نبيّه العظيم صلّى الله عليه وآله؟ و يجيب القرآن الكريم عن هذه الأسئلة قائلا: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (2). يوضّح نبينا المصطفى صلّى الله عليه وآله للناس بأمر الله أنّه لم يرد و لن يريد منهم شيئا لمصلحته الخاصّة، فهو كغيره من الأنبياء لا يسأل أجزا ولا يطلب عوضا، فما أراد لم يرد له لنفسه، و هو ليس شيئا يضمن مصالحه الخاصّة، بل يضمن مصالح الناس الفرديّة و الاجتماعيّة، و هذا التعبير تأكيد على أهمّيّة الموضوع. و جاء في سورة الفرقان توضيح أكثر لهذا الموضوع. قال تعالى: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (3).

ص: 95

[1-1] الشورى: 23. [1]

[2-2] سبأ: 47. [2]

[3-3] الفرقان: 57. [3]

وإذا ضمنا هذه الآيات الثلاث النازلة في أجر الرسالة النبوية بعضها إلى بعض فإننا نستنتج بسهولة أنّ القرآن الكريم عزّف أفرادا معيّنين من قرابة النبيّ صلّى الله عليه وآله بوصفهم الأدلاء على طريق الله الذي هو طريق تكامل الإنسان، وأوصى المسلمين مؤكّداً أن يعتقدوا معهم عهد المودة، حفظاً لمصالحهم الفرديّة والاجتماعيّة. وهذا الموضوع يشبه أن يقال لأحد: إذا أردت أن تصل إلى مقصودك سالماً فاعرف أدلة الطريق وأحبّهم، فإنّ ذلك في مصلحتك، لأنّ هذه المعرفة سبب يجعلك لا تضلّ الطريق، فتتخلف عن مقصدك. نلاحظ في ضوء ذلك أنّ قصد القرآن الكريم ممّن أوجب مودّتهم هم قرابة النبيّ صلّى الله عليه وآله، أو كل الله تعالى إليهم هداية المجتمع الإسلاميّ وتوجيهه وقيادته. وينبغي أن لا نغفل عن هذه الحقيقة وهي أنّ القيادة الربانيّة وحدها هي التي تعرف صراط الله كما هو، و تستطيع أن تهدي المجتمع إليه، وهؤلاء الأدلاء الهادون هم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السّلام، كما يستشفّ من الأحاديث المتواترة الماثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله. روى المحدّثون من أهل السنّة (1) عن ابن عباس أنّ آية «مودّة القربى» حين نزلت قال الصحابة: «يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟» قال صلّى الله عليه وآله: «علّيّ وفاطمة وبناتها عليهم السّلام» (2).

ص: 96

1 - 1) انظر أهل البيت عليهم السّلام في الكتاب و السنّة: 363 الفصل الثالث من فصول القسم الثامن «المودة» من منشورات دار الحديث.

2 - 2) فضائل الصحابة: 2/669/1141، [1] تفسير ابن كثير: 4/136 و 137، [2] صحيح البخارى: 3/1289/3306، و مثله سنن الترمذى: 5/377/3251، و [3] مثله مسند أحمد بن حنبل: 1/493/2024، و مثله المعجم

و جاءت هذه الحقائق كلها بصراحة فى تعبير موجز من تعبير دعاء الندبة، إذ نناجى ربنا جل شأنه متضرعين إليه و نحن نقول: «ثم جعلت أجر محمد صلواتك عليه و آله مودتهم فى كتابك فقلت: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى و قلت: ما سألتكم من أجر فهو لكم و قلت قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا فكانوا هم السبيل إليك و المسلك إلى رضوانك» (1). إن النقطة الجديدة بالاهتمام هى أن القرآن الكريم لا يعد الأئمة من أهل بيت الرسالة أدلة على سبيل الله فحسب، بل يعدهم سبيل الله نفسه، فهو لا يقول: الإمام دليل موجه فقط، بل يقول: الإمام هو السبيل نفسه، و يؤكد أن لا طريق لتكامل الإنسان مادياً و معنوياً و بلوغه الغاية من خلقته إلا طريق إمامة القادة الربانيين و قيادتهم.

ص: 97

الخلاصة

☐ يرى القرآن الكريم أنّ الإمامة عهد لا يبلغ الإنسان - بدون الوفاء به - غاية التوحيد والنبوة، ومن ثمّ غاية خلقته التي تمثّل تكامله. وهي طريق لا يتسنى للإنسان أن يبلغ هذا الهدف إلّا بعد طيه.

☐ إنّ الشخص الوحيد الذي يمكن أن يكون أميناً على عهد القيادة الربّانية هو المصون من دنس الظلم طول حياته.

☐ لم يطلب الأنبياء من الناس أجراً على خدماتهم لهم. وطلب نبيّنا الكريم ﷺ من أمّته مودةً قرباه أجراً على رسالته بأمر الله تعالى، مع ترفّعه عن كلّ طلب مادّي.

☐ إنّ الآيات النازلة في أجر رسالة نبيّنا ﷺ تدلّ بوضوح على أنّ القرآن الكريم لا يرى القادة من بيت الرسالة أدلة على طريق الله فحسب، بل يراهم عين الطريق، وفي الحقيقة جعل نبيّنا ﷺ اختيار هذا الطريق واستمرار القيادة الربّانية أجراً على رسالته.

الفصل الثاني: القيادة من منظار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

إشارة

أثر عن النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كلام نفيس كثير حول القيادة، نشير فيما يأتي الى قسمين منه في مجال موقع القيادة:

أ- القيادة الربانية محور الثورة الإسلامية:

إشارة

إنّ الأحاديث التي ترى أنّ الحياة المقرونة بالالتزام باتباع القيادة وأنّ الموت بدون هذا الالتزام هو موت الجاهليّة. . . تعرض القيادة الربانية على أنّها محور ثورة الإسلام العالميّة، و ن نقل فيما يأتي عددا من تلك الأحاديث لإثبات هذه الرؤية: 1- قال الفضيل بن يسار: ابتدأنا أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام يوما وقال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: من مات وليس عليه إمام فميته ميتة جاهليّة». - هذه الكلمات التي وردت حول المكانة الرفيعة للإمامة في الإسلام قد أثارت دهشة الفضيل، لذلك سأل الإمام مستغريا-: قال ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟! - فأجابه الإمام عليه السلام-: إي والله قد قال، - فأعاد الفضيل سؤاله بشكل آخر وقال-: فكلّ من

ص: 99

مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ قال عليه السلام: نعم (1). 2- قال بشير الدهان: قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وهو جاهل بما عليه من مات ميتة جاهلية». ثم قال عليه السلام في توضيح هذا الكلام والهدف من نقل هذا الحديث: «فعلينا بالطاعة، قد رأيت أصحاب عليّ، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته» (2). 3- قال عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية» (3). ويتفق المسلمون على مضمون هذه الأحاديث، ولم يتردد أيّ محدث في محدث في صدورهما عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، بيد أنّ هناك رؤى متنوعة حيال القصد منها. واستغلّها الأمراء الذين تسلطوا على رقاب المسلمين باسم الإسلام استغلالاً سياسياً سيّئاً من خلال تحريفها. قال العلامة الأميني قدس سرّه - بعد نقل هذا الحديث من كتب أهل السنّة بألفاظ مختلفة -: «هذه حقيقة راهنة أثبتها الصحاح والمسانيد، فلا ندحة عن البخوع لمفادها. ولا يتمّ إسلام مسلم إلاّ بالنزول لمؤدّائها. ولم يختلف في ذلك اثنان، ولا أنّ أحداً خالجه في ذلك شكّ. وهذا التعبير ينمّ عن سوء عاقبة من يموت بلا إمام وأنّه في منتأى بعيد عن أيّ نجاح وفلاح، فإنّ ميتة الجاهلية إنّما هي شرّ ميتة، ميتة كفر وإلحاد» (4).

ص: 100

1- 1 الكافي: 1/376. [1]

2- 2 المحاسن: 1/251/474. [2]

3- 3 مسند الطيالسي: 259/1913، حلية الأولياء: 3/224.

4- 4 الغدير: 10/360. [3]

و من المناسب أن نتحدّث قليلا عن العصر الجاهليّ و القصد من الجاهليّة، من أجل تفسير هذا الحديث الشريف و تبين المقام الرفيع للإمامة و القيادة في الإسلام.

عصر العلم و عصر الجاهليّة

يرى القرآن الكريم و الأحاديث النبويّة أنّ عصر الرسالة هو عصر العلم، و العصر الذي سبق البعثة النبويّة الشريفة هو عصر الجاهليّة. و هذا يعني أنّ الناس-قبل المبعث النبويّ-لم يجدوا سبيلا لمعرفة حقائق الوجود بسبب التحريف الذي نال الأديان السماويّة. وإنّ ما كان يحكم المجتمعات البشريّة المختلفة باسم الدين لم يكن غير خرافات و أوهام. و الواقع أنّ الأديان المحرّفة و العقائد الوهميّة قد أمست وسيلة للتسلّط على الإنسان. و هذه حقيقة أيّدها تاريخ ما قبل الإسلام أيضا. و كان المبعث النبويّ المبارك بداية لعصر العلم. و كانت المسؤولية الأسلاسيّة التي اضطلع بها الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله هي مكافحة الخرافات و ضروب التحريف و كشف الحقائق للناس، و هو صلّى الله عليه و آله كان يرى نفسه كالأب للناس يريّهم و يعلمهم. قال صلّى الله عليه و آله: «إنّما أنا لكم مثل الوالد، اعلمكم» (1). و كان صلّى الله عليه و آله يعرض نبوّته على أنّها ظاهرة منطبقة مع الموازين العقليّة و العلميّة، و لو حاول العلماء معرفتها لأدركوا بسهولة صدقها في اتصالها بمبدأ الوجود. قال تعالى: وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ (2). و كان يحذّر الناس أيضا من اتّباع كلّ ما لا يقره العلم، و يتلو عليهم قوله

ص: 101

1-1) مسند ابن حنبل: 3/53/7413، [1] سنن النسائي: 1/38، سنن ابن ماجه: 1/114/313، الجامع الصغير: 1/394/2580.

2-2) سبأ: 6. [2]

سبحانه: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (1). الكلام فى هذا الموضوع كثير، ولا مجال لدينا للحديث أكثر (2)، ونهدف من وراء هذه الإشارة المقتضبة إلى أن نعرض المغزى من تسمية عصر ما قبل الإسلام بالعصر الجاهليّ، وعصر البعثة النبويّة بعصر العلم، ليتسنى لنا أن ندرك عمق هذه الكلمة: «الموت بلا اعتقاد وتمسك بالإمام موت جاهليّ» يستبين من هذه المقدمة أنّ المقصود من ضرورة معرفة الإمام فى كلّ عصر هو أكثر من مسألة فرديّة خاصّة. وهى لا تعنى فقط أنّ المسلم إذا لم يعرف إمامه فهو ليس مسلماً حقيقيّاً، ومن ثمّ يكون إسلامه مساوياً للكفر. بل المسألة الأهمّ التى ينبّه عليها الحديث هى أنّ عصر العلم الذى بدأ مع البعثة النبويّة يمكن أن يستمرّ فيما إذا عرف المسلمون فى كلّ عصر إمام زمانهم واتبعوه. وبعبارة واحدة: الإمامة رصيد لعصر العلم أو عصر الإسلام القويم وضامنة لديمومته، وبدون هذا الرصيد يعود المجتمع الإسلامى إلى الجاهليّة الاولى. وقد استوحى هذا الحديث مضمونه-فى الحقيقة-من استشراف الآية الكريمة الآتية للمستقبل. وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ (3) وبيّن النبىّ صلّى الله عليه وآله فى الحديث الذى يؤكّد ضرورة معرفة الإمام، كيف يمكن أن يرجع المجتمع الإسلامى القهقهرى و يعود إلى الجاهليّة الاولى، ويعبّر عن حقيقة

ص: 102

1-1) الإسراء:36. [1]

2-2) سننحدث عن هذا الموضوع بعون الله فى الكتاب الذى سنصدره عن النبىّ الأكرم صلّى الله عليه وآله.

3-3) آل عمران:144. [2]

تتمثل في أنّ هذه الظاهرة الخطرة متوقّعة إذا الغيت الإمامة والقيادة.

أى إمام تجب معرفته؟

إنّ يسيرا من التأمل في مضمون الحديث-خاصّة مع التوجّه إلى ما تقدّم من شرح-من شأنه أن يغنيننا عن الإجابة عن هذا السؤال: من هو الإمام الذى تضمن إمامته استمرار الإسلام الحقيقى؟ و من هو الإمام الذى إذا الغيت إمامته عاد الناس إلى جاهليّتهم؟ هل يمكن أن نخال أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله يريد أنّ معرفة كلّ من وليّ أمر الامّة واجبة على جميع المسلمين؟! وإذا لم يعرف أحد هذا القائد فهل يموت ميتة جاهليّة، دون الالتفات إلى أنّه يمكن أن يكون ظالما أو من «أئمّة النار» على حدّ تعبير القرآن الكريم (1)؟! و من البديهيّ أنّ كافّة الولاة المفسدين فى التاريخ الإسلامى قد تمسّكوا بهذا الحديث الثابت، بغية البرهنة على أحقيّتهم، ووجوب طاعة الناس لهم، و ترسيخ دعائم حكومتهم. من هنا نجد أنّ معاوية بن أبى سفيان كان فى عداد رواة أيضا (2)؛ و من الطبعيّ أنّ وعاظ السلاطين انطلقوا من هذا المنطلق نفسه فأؤلوه بما يخدم أئمّة الجور، بيد أنّ الواضح هو أنّ هذا استغلال للحديث، لا سوء فهم لمعناه. و لا يمكن أن نصدّق أبدا أنّ عبد الله بن عمر-على ما نقل ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة-لم يبايع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بسبب اعوجاج فكره و ضعف نظره، لكنّه يتمسّك بالحديث المذكور الذى نقله هو نفسه، فيذهب إلى الحجّاج بن يوسف ليلا ليبايع سلطان زمانه عبد الملك بن مروان! لأنّه لم يرد أن يبيت

ص: 103

[1-1] إشارة إلى قوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ . القصص: 41. [1]

[2-2] مسند ابن حنبل: 6/22/16876. [2]

ليلته تلك بلا إمام! قال ابن أبي الحديد: . . . فإنه (عبد الله بن عمر) امتنع من بيعته على السّلام، وطرق على الحجاج بابه ليلا ليبيع لعبد الملك، كى لا- يبيت تلك الليلة بلا- إمام! زعم لأنه روى عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «من مات ولا إمام له مات ميتة جاهليّة». وحتّى بلغ من احتقار الحجاج له واستر ذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش، فقال: «أصفق بيدك عليها» (1). أجل، إنّ من لا يرى أمير المؤمنين عليّاً عليه السّلام إماماً ولا يبايعه فإنه يرى في عبد الملك بن مروان إماماً يوجب ترك بيعته الكفر والعودة إلى الجاهليّة، وما عليه إلّا أن يطرق باب عامله السّفّاك ليلا ليبيع رجله صاغراً ذليلاً! وقد بلغ بعبد الله بن عمر الأمر أنّه عدّ يزيد بن معاوية مصداقاً للإمام الوارد في الحديث! وأنّ مخالفته كفر وارتداد، وهو الذي ارتكب من الجرائم بحقّ الإسلام وأهل البيت النبويّ الكريم. ذكر المؤرّخون أنّ أهل المدينة ثاروا سنة 63 هـ بعد واقعة الطفّ المفجعة، فكانت واقعة الحرّة (2). وذهب عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن المطيع الذي تولّى قيادة قريش في تلك الواقعة، فأمر ابن المطيع أن تطرح له وسادة ليجلس. فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتكم لأحدّثكم حديثاً سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُهُ، سمعت رسول الله يقول: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في

ص: 104

1-1 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 13/242. [1]

2-2 تولّى مسلم بن عقبة في تلك الواقعة الرهيبة قمع الثورة بأمر يزيد، وبعد أن تمّ له ما أراد أباح لأهل الشام دماء أهل المدينة وأموالهم وأعراضهم ثلاثة أيام. . . قال الطبري ما مضمونه: لقد أفسدوا ثلاثة أيّام بلباليها فساداً لم يعهد مثله في الجاهليّة والإسلام. (لغت نامه دهخدا «معجم دهخدا»). قال أنس بن مالك: قتل يوم الحرّة سبعمئة رجل من حملة القرآن، فيهم ثلاثة من أصحاب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. (إعلام الوري: 45، [2] بحار الأنوار: 18/125/36، و: 38/193/2، [3] سفينة البحار: 2/146). [4]

عنقه بيعة مات مية جاهلية» (1). أ رأيت كيف يؤولون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بما يخالف قصده، باسلوب ماكر؟! وهذه هي الظاهرة الخطرة التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث وعشرات الأحاديث الاخرى، ودعاء الامة إلى طاعة ائمة الحق للوقاية منها، وتجنّى أصحاب اللعب السياسيّة المتظاهرون بالإسلام وعملاؤهم فحرّفوا ذلك التحذير النبويّ، وهكذا يستغلّ الحديث أداة ضدّ الحديث، ويستخدم الإسلام وسيلة ضدّ الإسلام، وأخير اينقضى عصر العلم والإسلام في الامة الإسلاميّة، ويتحقّق الرجوع إلى الكفر والجاهليّة، من خلال تجاهل مكانة الإمامة في المجتمع الإسلاميّ و تناسي الوصايا النبويّة الحكيمّة.

ب- القيادة الربانيّة شرط لقبول الأعمال الصالحة:

القسم الثاني من الأحاديث النبويّة التي تحدّد موقع القيادة-من المنظار النبويّ-هي الأحاديث التي جعلت مودة أهل البيت عليهم السّلام والالتزام العمليّ بولايتهم وقيادتهم شرطاً في قبول الأعمال لصالحه. ترى هذه الأحاديث أنّ الالتزام بالقيادة الربانيّة شرط مضمون لقبول الأعمال الصالحة، ولا يقبل الله تعالى عملاً بدونه، أى: إنّ الأعمال الصالحة لا تؤثّر قيد أنملة في تكامل الإنسان والمجتمع البشريّ ما لم يكن هناك تمسّك بالقيادة الربانيّة، وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث: 1- روى الطبرانيّ في المعجم الأوسط عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «الزموا مودتنا أهل البيت فإنّه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسى بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقّنا» (2).

ص: 105

1-1) صحيح مسلم: 3/1478/1851.

2-2) المعجم الأوسط: 2/360/2230، أمالي الطوسي: 187/314، [1]بحار الأنوار: 27/170/10. [2]

ورواه علماء أهل السنة كالهيثمي في «مجمع الزوائد»، وابن حجر في «الصواعق المحرقة»، و محمد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت»، و النبهاني في «الشرف المؤبد»، و الحضرمي في «رشفة الصادي» (1). 2- وروى الخوارزمي في مناقبه عن نبينا صلى الله عليه و آله أنه خاطب أمير المؤمنين عليه السلام قائلا: «يا عليّ، لو أنّ عبدا عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه و كان له مثل احد ذهبا فأنفقه في سبيل الله و مدّ له في عمره حتّى حجّ ألف عام على قدميه ثمّ قتل بين الصّدفا و المروة مظلوما ثمّ لم يوالك يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة و لم يدخلها» (2). 3- و مرّ أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة و قنبر معه، فرأى رجلا قائما يصليّ فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت رجلا أحسن صلاة من هذا! فقال عليه السلام موضّحا و مؤكّدا أنّ كلّ عمل لا يقبل و ليس له أدنى دور في تكامل الإنسان دون الإقرار بأصل الولاية و القيادة الربّانيّة: «يا قنبر، فوالله لرجل على يقين من ولايتنا أهل البيت خير من عبادة ألف سنة، و لو أنّ عبدا عبد الله ألف سنة لا يقبل الله منه حتّى يعرف ولايتنا أهل البيت، و لو أنّ عبدا عبد الله ألف سنة و جاء بعمل اثنتين و سبعين نبيا ما يقبل الله منه حتّى يعرف ولايتنا أهل البيت. . .» (3). 4- و قال أبو سعيد الخدريّ: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «لو أنّ عبدا عبد الله ألف عام ما بين الركن و المقام ثمّ ذبح كما يذبح الكبش

ص: 106

1- 1) لمزيد الاطلاع على أحاديث الفريقين في هذا المجال انظر الغدير: 2/301-305، [1] بحار الأنوار: 27/166، [2] باب «أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية»، أهل البيت في الكتاب و السنة: 363 الفصل الثالث من فصول القسم الثامن «المودّة»، من منشورات دار الحديث.

2- 2) المناقب للخوارزمي: 67/40، الغدير: 2/302. [3]

3- 3) جامع الأخبار: 504/1393، [4] بحار الأنوار: 27/196/57. [5]

مظلوما لبعثه الله مع نفر الذين يقتدى بهم ويهتدى بهداهم ويسير بسيرتهم، إن جنة فجنة وإن ناراً فناراً» (1). هذه الأحاديث وأمثالها هي في الحقيقة بيان آخر لحديث الثقلين المتواتر من جانب، وتبيين وتفسير له من جانب آخر، فالعترة والقرآن لا يفترقان أبداً. وإن الشرط الأساس للاستهداء بالسيد بالقرآن الكريم وتوجيهاته وهو اتباع إمامة القادة الربانيين، وبدون هذا الشرط لا يمكن للعقائد والأخلاق والأعمال الصالحة التي يدعو القرآن الكريم الناس إليها أن تؤدي دورها في تكامل الإنسان. وعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة بنحو جميل وطريف. قال تعالى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (2) قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة: «ألا ترى كيف اشترط ولم ينفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل بعمل ما قبل منه حتى يهتدى». قال الحارث راوى الحديث: إلى من؟ جعلني الله فداك، قال عليه السلام: إلينا (3). قال الطبرسي في مجمع البيان: قال أبو جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة: «ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجئ بولايتنا لأكبته الله في النار». وأضاف المرحوم الطبرسي قائلاً: رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده، وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق (4).

ص: 107

1-1) المحاسن: 1/134/166، [1] بحار الأنوار: 27/180/29. [2]

2-2) طه: 82. [3]

3-3) تفسير القمي: 2/61، [4] بحار الأنوار: 27/169/7. [5]

4-4) تفسير مجمع البيان: 7/39.

وقال العلامة الطباطبائي قدس سرّه، بعد نقل هذا الرواية من تفسير مجمع البيان: «ورواه في الكافي بإسناده عن سدير عنه عليه السّلام. و في تفسير القميّ بإسناده عن الحارث بن عمر عنه عليه السّلام. و في مناقب ابن شهر آشوب عن أبي الجارود وأبي صباح الكناسيّ عن الصادق عليه السّلام، و عن أبي حمزة عن السّجّاد عليه السّلام مثله، و لفظه: إيلنا أهل البيت. و المراد بالولاية في الحديث ولاية أمر الناس في دينهم و دنياهم. و هي المرجعيّة في أخذ معارف الدين و شرائعه، و في إدارة امور المجتمع. و قد كانت للنبيّ صلّى الله عليه وآله كما ينصّ عليه الكتاب، في أمثال قوله: كَتَبْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (1). ثمّ جعلت لعترته أهل بيته بعده في الكتاب بمثل آية الولاية، و بما تواتر عنه صلّى الله عليه وآله من حديث الثقلين و حديث المنزلة و نظائرها» (2). و لعلّ هناك من يسأل: ما هو سبب هذا الاشتراط؟ و لماذا تكون الولاية شرطاً أصليّاً في تكامل الفرد و المجتمع؟ و كيف يتسنّى لنا أن نحلّل عدم فائدة العمل الصالح للإنسان بدون قبول القيادة الرّبانيّة؟ لقد مرّت بنا أجوبة هذه الأسئلة مفصّلاً في بيان فلسفة القيادة (3). و نشير هنا إلى ملاحظتين مقتضبتيّن: الأولى: إنّ القيادة الرّبانيّة للإنسان الكامل توجّه الأعمال الصالحة للإنسان، و تجعل أسباب الكمال في مسار تكامل الإنسان. و من البيديهيّ أنّ وسائل التكامل لا تكون عمليّة إلاّ إذا كانت سليمة. و يفاد منها

ص: 108

1-1) الأحزاب: 6. [1]

2-2) الميزان: 14/199. [2] ينظر هذا المصدر لمزيد الاطلاع.

3-3) انظر ص 79 من هذا الكتاب: «دور الإمام في هداية الإنسان باطنيّاً».

فى مسار التكامل، وإلا فلا تعطى الثمار المطلوبة. و من أجل ذلك تصبى قيادة الإنسان الكامل ضرورية لا مناص منها. ويتعدّر التكامل الفردى والاجتماعى للإنسان فى ظلّ العمل الصالح بلا قيادة كفوءة حائزة على الشروط المطلوبة لهداية الإنسان، كما أنّ حبة القمح لا تنمو ولا تبلغ نضجها اللازم إلا إذا كانت تتمتع برعاية المزارع الخبير وتوجيهه، مضافا إلى الإمكانيات الطبيعية، وربما تستغلّ الإمكانيات الموجودة التى يمكن أن تصبّ فى خدمة تكامل الإنسان باتجاه حاكمية القادة المفسدين، وانحطاط الإنسان، وإقصاء الإسلام والقرآن عن الحياة. قال الإمام الخمينى قدس سرّه فى هذا المجال: «قامت القوى الشيطانية الكبرى أخيرا بطبع القرآن طبعة جميلة وإرساله إلى شتى أرجاء العالم-بواسطة الحكومات المنحرفة البعيدة عن الإسلام التى لصقت نفسها بالإسلام زورا-من أجل القضاء على القرآن وتثبيت الأهداف الشيطانية للقوى الكبرى، وهى تنوى إقصاء القرآن عن ميدان الحياة بهذه المكيدة الشيطانية، وكلّنا رأينا القرآن الذى طبعه محمد رضا خان بهلوى فاستغفل به بعض الناس، وأثنى عليه عدد من المعمّمين غير الواعين» (1). وفى ضوء ذلك-كما قلنا-تتعدّر الإفادة من الأعمال الصالحة لتنضيج قابليات الإنسان ما لم نستضى بأنوار هداية القيادة الربانية. بعبارة أخرى: إنّ الاستهداء بقبس الوحي والبصيرة-بالتفصيل الذى مرّ فى مبحث شروط المعرفة (2)-مشروط بالاستضاءة بنور قيادة الإمام، وإلا ظلّ الإنسان فى ظلمة الضلال والغي والتهيه. قال تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًا فَآحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ

ص: 109

1-1) الوصية الإلهية السياسية للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

2-2) مباني شناخت «اسس المعرفة»: 401 و 420.

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا؟ (1) قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة: «ميت: لا يعرف شيئاً (ويجهل الحقائق التي يعدّ الاطلاع عليها أرضية لتكامل الإنسان). و نورا يمشى به في الناس: إماما يؤتمّ به (وقاندا ربّانياً يجب على الإنسان اتّباعه) . كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها: الذي لا يعرف الإمام» (2). الثانية: تؤثر قيادة الإنسان الكامل تكوينياً في توجيه المواهب الإنسانية و تنضيجها و تفتحها، مضافاً إلى أنّها تجعل الأعمال الصالحة في مسار تكامل الإنسان (3). وفي هذا المجال يرى المرحوم العلامة الطباطبائي أنّ فعالية الإيمان و العمل الصالح مشروعة بالاستهداء بالولاية، فقد قال في ذيل الحديث الذي نقله عن مجمع البيان و الوارد في تفسير الآية 82 من سورة طه (4): «و لولاية أهل البيت عليهم السلام معنى آخر ثالث، و هو أنّ يلي الله أمر عبده فيكون هو المدبّر لأموره و المتصرّف في شؤونه لإخلاصه في العبودية، و هذه الولاية هي لله بالأصالة، فهو الولي لا وليّ غيره، و إنّما تنسب إلى أهل البيت عليهم السلام لأنّهم السابقون الأوّلون من الأمة في فتح هذا الباب. . . فتلخص أنّ الولاية في حديث المجمع بمعنى ملك التدبير، و أنّ الآية الكريمة عامّة جارية في غير بني إسرائيل كما فيهم، و أنّه عليه السلام إنّما فسّر الاهتداء إلى الولاية من جهة الآية في هذه الأمة، و هو المعنى المتعيّن» (5).

ص: 110

1-1) الأنعام: 122. [1]

2-2) الكافي: 1/185/13، [2] ما بين القوسين ليس من الرواية.

3-3) مرّ توضيح هذا الموضوع في الفصل الرابع من القسم الأوّل.

4-4) و هي قوله سبحانه: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى .

5-5) الميزان: 14/200. [3]

الخلاصة

- ☐ القيادة - من منظار النبي الأكرم ﷺ - محور الثورة الإسلامية، وبدونها يؤول مصير الثورة إلى الرجعية.
- ☐ المبعث النبوي الشريف - من منظور إسلامي - بداية لعصر العلم وخاتمة لعصر الجاهلية.
- ☐ يواصل عصر العلم - الذي بدأ مع المبعث النبوي - مسيرته إذا عرف المجتمع الإسلامي إمام زمانه وأتبعه، من هنا فإن الموت بدون معرفة الإمام هو موت جاهلي.
- ☐ التمسك بالقيادة الربانية - من منظار الرسول الأعظم ﷺ - شرط ثابت لقبول الأعمال الصالحة، ولا يقبل الله تعالى عملاً بدونه.
- ☐ التمسك بالقيادة الربانية يجعل الأعمال الصالحة في مسار تكامل الإنسان، وبدون ذلك لا تؤثر الأعمال الصالحة في تكامل الإنسان والمجتمع البشري قيد أنملة، وربما يسفر عن ذلك انحطاط الإنسان ودمار الإسلام.
- ☐ تؤثر قيادة الإنسان الكامل في توجيه المجتمع وتنميته وتنضيج مواهبه تكوينياً.

إشارة

لقد عرض أهل البيت النبويّ الكريم عليهم السّلام نقاطا جديدة مشرقة حول مكانة القيادة القيميّة، و خطر القادة المناوئين للفضائل والقيم، مستلهمين ذلك من القرآن الكريم و تعاليم جدّهم المصطفى صلّى الله عليه وآله.

أ- موقع القيادة القيميّة

إشارة

من النقاط المهمّة في كلام أهل البيت عليهم السّلام حول القيادة القيميّة هي آصرة التوحيد و الإمامة، فمن منظارهم ترتبط معرفة الله بالقيادة الربانيّة ارتباطا وثيقا لا يتزعزع، و لا يتسنّى لأحد أن يكون موحدًا حقًا بدون معرفة إمام الحقّ و العدل.

1- آصرة التوحيد و الإمامة

روى سلمة بن عطا عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: خرج الحسين بن عليّ عليهما السّلام على أصحابه فقال: «أيّها النّاس، إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه،

فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه». فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمّي، فما معرفة الله (التي هي الغاية من خلق الإنسان)؟ قال: «معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته» (1). يكمن في هذا الكلام الموجز كنز من المعارف الربّانيّة الرفيعة. فالإمام عليه السّلام يؤكّد في مستهلّ كلامه أنّ فلسفة خلق الإنسان ليست إلاّ معرفة الله سبحانه، لأنّ الإنسان يستطيع في ظلّ المعرفة المذكورة أن يتحرّر من نير الرّقّ والعبوديّة، ويحظى بالحرّيّة الحقيقيّة التي هي عبادة الله، ويضمن حاجاته المادّيّة والمعنويّة من خلال عبادة الله. ونلاحظ في آخر كلام الإمام أنّ رجلا يسأله: فما معرفة الله التي تمثّل فلسفة خلق الإنسان؟ فيجيبه الإمام بصراحة تامّة: معرفة الله هي معرفة الإمام. أي: يتعرّف الناس في كلّ زمان على القائد الذي يجب عليهم أن يطيعوه، ليبلغوا معرفة الله الحقيقيّة. أشار الإمام الحسين عليه السّلام في هذا الكلام الموجز إلى عدد من النقاط الجوهريّة السامقة: استمرار القيادة الربّانيّة على مرّ التاريخ البشريّ. بعث الله تعالى في كلّ زمان رجلا لهداية الناس وقيادتهم، كما خاطب القرآن الكريم نبيّنا الأكرم صلّى الله عليه وآله قائلا: إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (2)

ص: 114

1-1) علل الشرائع: 1/باب 9/1، [1] بحار الأنوار: 23/83/22. [2]

2-2) الرعد: 7. [3]

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة: «كلّ إمام هاد لكلّ قوم في زمانهم» (1). وقال صلوات الله عليه أيضا: «. . . كلّ إمام هاد للقرن الذي هو فيهم» (2). وكذلك نقلت أحاديث نبويّة كثيرة في كتب الشيعة والسنة (3) تذهب إلى أنّ الهادي في الآية الكريمة المتقدّمة هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ب-وجوب معرفة الإمام في كلّ زمان. يجب على أتباع الإسلام الحقيقيّين في كلّ زمان أن يعرفوا إمامهم وهاديهم، ويطيعوه في أعمالهم الدينيّة والدينيّة، ويعتقدوا أنّه إمامهم وقائدهم، ويستهدوا به في حياتهم، وتستشفّ هذه النقطة من الآية الكريمة المذكورة والأحاديث المأثورة عن النبيّ وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم أجمعين. إنّ أدقّ نقطة في كلام الإمام عليه السلام هي أنّ الإنسان لا يستطيع أن يدرك فلسفة خلقه-و من ثمّ توحيد الله-بدون قيادة الإنسان الكامل. إنّ كلامه عليه السلام في الحقيقة عرض آخر لأوّل تعبير قرآنيّ في تبين مكانة القيادة فالقرآن يرى أنّ الإمام سبيل الله (4). ذلك السبيل الذي لا يمكن للإنسان أن يبلغ تكامله-الذي هو فلسفة خلقه-

ص: 115

1-1) كمال الدين: 667/9، [1] تفسير نور الثقلين: 2/483/19. [2]

2-2) الكافي: 1/191/1، [3] بصائر الدرجات: 30/6، [4] غيبة النعماني: 110/39. [5]

3-3) الكافي: 1/192/2-4، [6] بصائر الدرجات: 1-29/8، [7] غيبة النعماني: 111/40، [8] كمال الدين: 667/10، [9] بحار الأنوار: 23/3 و 5 و 54، [10] تفسير الطبري: 8/13/108، [11] المستدرک على الصحيحين: 3/140/4646، كنز العمال: 11/620/33012، الدرّ المثثور: 4/608.

4-4) انظر ص 97 من هذا الكتاب.

بدون طيّه. لقد فسّر الإمام عليه السّلام معرفة الله بمعرفة الإمام. أى: إنّ التوحيد و الإمامة متلازمان لا يقبلان الانفصال، و تتعدّد معرفة الله معرفة حقيقية بدون معرفة الإمام معرفة دقيقة. و نقرأ فى رواية اخرى أنّ من يجعل لإمام الحقّ شريكا فكأنّما جعل لله تعالى شريكا. قال الإمام الصادق عليه السّلام: «من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركا بالله» (1). أجل، إنّ التوحيد و الإمامة اللّذين كان يروّج لهما الأمويّون و العبّاسيّون بالأمس و يتحدّث بهما أنصار الإسلام الأميركيّ هذا اليوم هما ليسا التوحيد و الإمامة المنقذين اللّذين يقودان إلى الكمال. و على أساس القيادة الرّبانيّة للإنسان الكامل فحسب تستعيد معرفة الله مفهومها و مكانتها الحقيقيّة فى المجتمع، و يؤدّي التوحيد دوره فى تكامل الإنسان مادّيّا و معنويّا، ذلك التكمال الذى يمثّل الغاية من خلقتة.

2-مفتاح المبادئ الإسلاميّة

نقرأ للإمام الباقر عليه السّلام الوصيّ الخامس لرسول الله صلّى الله عليه وآله تعبيرا رائعا فى تبين أهميّة القيادة فى الإسلام، إذ عبّر عنها بمفتاح المبادئ و الاسس الإسلاميّة. روى زرارة أحد أصحابه حديثا عنه ذكر فيه تفصيل الاسس الإسلاميّة، فقال: «بنى الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة و الزكاة و الحجّ و الصوم و الولاية». فقال زرارة: و أىّ شىء من ذلك أفضل؟

ص: 116

1 - 1) الكافي: 1/373/6، [1] غيبة النعماني: 130/8، [2] الإمامة و التبصرة: 231/80 عن الإمام الباقر عليه السّلام، بحار الأنوار: 23/78/11. [3]

قال عليه السّلام: «الولاية أفضل، لأنّها مفتاحهنّ، والوالى هو الدليل عليهنّ» (1). نلاحظ هنا أنّ الإمام عليه السّلام لا ينظر إلى القيادة في الإسلام بوصفها أصلاً وقاعدة فحسب، بل يراها مفتاحاً للأسس الإسلاميّة، وبدونها لن يطبّق الإسلام الصحيح في أرجاء المعمورة. و ليس بمقدور الصلاة والزكاة والحجّ والصيام أن تبلغ غايتها الحقيقيّة من غير قيادة إمام الحقّ، ولا تتخذ الصلاة طابع الذكر الإلهيّ (2) ولا تلغى ما ينافى ذكره تعالى إلاّ على أساس ولاية الأولياء الرّبّانيّين (3). وكيف يدعى عبوديّة الله ويصدق في قوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وهو مطوّق بربقة عبادة الطاغوت؟! و أتى للمجتمع أن يكون جاداً في قوله: إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وهو أسير المفاسد والانحرافات المنبثقة عن إمامة الأئمّة الظالمين، ولم يبذل جهداً في مواجهة هذا الفساد المتأصّل؟! وعلى أساس الولاية أيضاً تصرف عائذات بيت المال في طريقها الصحيح، ويؤدّى الحجّ دوره في إقرار الوحدة بين الإمام والامّة باعتباره أعظم مؤتمر سنويّ للعالم الإسلاميّ (4)، ويظّهّر الصوم روح الإنسان والمجتمع البشريّ (5). فالولاية إذن مفتاح الأسس والمباني الإسلاميّة، والوالى هو الدليل عليهنّ، كما قال سيّدنا الإمام الباقر عليه السّلام.

ص: 117

1-1 الكافي: 2/18/5، [1] المحاسن: 1/446/1034. [2]

2-2 أقيم الصلّة لذكرى . طه: 14. [3]

3-3 إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . العنكبوت: 45. [4]

4-4 عيون أخبار الرضا عليه السّلام: 2/262/29 [5] عن الإمام الباقر عليه السّلام: «تمام الحجّ لقاء الإمام»، وانظر ميزان الحكمة: الباب 697: «ما به تمام الحجّ» .

5-5 انظر ميزان الحكمة: الباب 2352/ «علّة وجوب الصوم» .

نطالع للإمام الرضا عليه السلام تعبيراً رائعاً يدلّ فيه على سيماء الإمامة ودورها الحركي في تنامي المجتمع الإنساني. قال عليه السلام: «إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي» (1). إنّ وصف الإسلام بالنموّ والسموّ في كلام الإمام عليه السلام معلم على أنّ الإسلام قد يكون حيّاً حركيّاً في المجتمع الإسلاميّ حيناً، وقد يكون ميّناً جامداً حيناً آخر. وآية حياته و حركيته تأسيس الحكومة الإسلامية بإمامة و قيادة إمام الحقّ والعدل، كما أنّ علامة موته و جموده تسلّط حكام الباطل والجور. الإمامة قاعدة الحركة و أساس حركيّة الإسلام في المجتمع، وبدونها يصبح الإسلام ديناً واهياً جامداً لا أساس له و لا حركة فيه، و هو عندئذ لا يناقض الشرك و الكفر و مصالح المشركين و المستكبرين، بل يمسي أداة لتوجيهها و تسويقها. و بكلمة واحدة و بتعبير بليغ أدلى به مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة طاب ثراه: يصبح هذا الإسلام إسلاماً أميركيّاً. من هنا فإنّ الإسلام الذي لا أصل له و لا أساس هو أخطر من الكفر و الشرك بكثير. و لعلك تتساءل: كيف وصف الإمام الرضا عليه السلام الإمامة بأنّها أسّ الإسلام النامي و فرعه السامي؟ و الجواب هو أنّ الإمامة أصل الإسلام و جذره في معنى، و فرعه و غصنه في معنى آخر، و لنا أن نلاحظ كلا المعنيين في القرآن الكريم. قال تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (2)

ص: 118

[1-1] الكافي: 1/200/1. [1]

[2-2] إبراهيم: 24. [2]

و جاء فى تفسير العياشى عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآية الكريمة: «يعنى النبىّ صلّى الله عليه وآله و الأئمّة من بعده هم الأصل الثابت، و الفرع الولاية، لمن دخل فيها» (1). و يمكن أن تشمل الكلمة الطيبة كلّ شيء حسن صالح مبارك، سواء كان إنساناً أم عقائد و أخلاقاً و أعمالاً يمارسها (2). و نلاحظ أنّ الرواية المذكورة اعتنت بمصداق هو من أهمّ مصاديق الكلمة الطيبة. و فى ضوء هذا التفسير جاءت الإمامة بمعنى قيادة الأمة و هداية الناس إلى الكمال المطلوب، و أصل شجرة التوحيد الطيبة و الإسلام المحمّدى الأصل الذى يمثّل قاده الربّانيّون تجسيدا للإمامة بهذا المفهوم. و جاءت أيضاً بمعنى الولاية التى هى نتيجة لاتباع قيادة أئمة الحقّ، و فرع لتلك الشجرة الطيبة، و أطلق القرآن الكريم على هذا الفهم مصطلح الإمامة أيضاً. قال تعالى واصفاً «عباد الرحمن»: «و الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُوَّةً أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً» (3) و هكذا فإنّ الأمة الكائنة فى حصن الولاية و القيادة الربّانية تصبح إماماً و أسوة لقيادة الامم الاخرى، و تبلغ درجة قال عنها القرآن الكريم: «و كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» (4)

ص: 119

1-1) تفسير العياشى: 2/224/10، [1] بحار الأنوار: 24/141/8. [2]

2-2) انظر كتب التفسير.

3-3) الفرقان: 74. [3]

4-4) البقرة: 143. [4]

اشارة

إنّ الإمامة-في مفهومها الرفيع-أسّ الإسلام النامي و سرّ تألق المواهب الإنسانيّة في جميع المجالات، أمّا في مفهومها الممتدّني فهي جذر الكفر و بروز ضروب الفساد الفرديّ و الاجتماعيّ.

1-باطن الأدناس جميعها

يقول محمّد بن منصور-أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السّلام-: سألت عبدا صالحا (يريد الإمام الكاظم عليه السّلام) عن قول الله عزّ و جلّ: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ (1). فقال: «إنّ القرآن له ظهر و بطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر، و الباطن من ذلك أنمّة الجور. و جميع ما أحلّ الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، و الباطن من ذلك أنمّة الحقّ» (2). نلاحظ أنّ الإمام عليه السّلام أشار-في تبين الفواحش الظاهرة و الباطنة الواردة في الآية الكريمة-إلى مبدأ عامّ في تفسير القرآن. و هو أنّ الآيات القرآنيّة ذات بعدين: أحدهما يفهم من ظاهر القرآن، و الثاني يدرك من باطنه، فتفسير القرآن إذن على نحوين: ظاهريّ، و باطنيّ. التفسير الظاهريّ للآية المذكورة هو أنّ الله تعالى حرّم الأعمال القبيحة، سواء ارتكبت علنا أم خفاء. يؤكّد الإمام عليه السّلام أنّ هذه الآية-كغيرها من أخواتها، تحمل معنى يستنبط من

ص: 120

1-1)الأعراف:33. [1]

2-2) الكافي:10/374.1. [2]

ظواهر ألفاظها، و تستبطن مفهومها آخر يكمن في عمقها أيضا، وفي تفسيرها الباطن يعرض الإمام عليه السلام بنحو مجمل أساس الفساد الاجتماعي بأنواعه، وطريق الوصول إلى المجتمع الإنساني والإسلامي المطلوب. إذ أن الأساس في جميع ضروب فساد المجتمع البشري وظلمه وانحرافه وضلاله هو قيادة أئمة الجور والباطل، ولا رجاء في إصلاحه ما دامت أم الفساد هذه معشعشة في كيانه. بيد أننا ينبغي أن نلتفت إلى أن اجتثاث شجرة الفساد الخبيثة هو أول خطوة في تحقيق الأهداف الإسلامية لبناء الأمة النموذجية. و الخطوة التالية-على أساس المعايير الإسلامية-هي خلافة القائد الرباني وإمامة العدل، التي تمثل أسس الإسلام النامي و منهاج تكامل الإنسان. من هنا فإن أخرج اللحظات في تاريخ ثورة من الثورات هي عندما تريد الأمة أن تستبدل إمام الحق بإمام الباطل، فإذا تلكأت ولم تعمل بدقة تامة فإن مصير الثورة هو الرجوع إلى الماضي بفساده و ضياعه.

2-أساس الشرور جميعها

يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى منزلة القيادة المثالية بوصفها أصل كل خير، ثم يتطرق إلى إمامة أئمة الجور بوصفها أصل كل شر، فيقول: «نحن أصل كل خير، و من فروعنا كل برّ، فمن البرّ: التوحيد و الصلاة و الصيام و كظم الغيظ و العفو عن المسيء و رحمة الفقير و تعهد الجار و الإقرار بالفضل لأهله. و عدونا أصل كل شرّ، و من فروعهم كل قبيح و فاحشة فمنهم: الكذب و البخل و النميمة و القطيعة و أكل الربا و أكل مال اليتيم بغير حقّه . . . فكذب من زعم أنه معنا و هو متعلّق بفروع غيرنا» (1).

ص: 121

نلحظ فى ضوء هذه الرواية أنّ قيادة إمام الحقّ أهمّ الأركان السياسيّة الاجتماعيّة فى الإسلام، وأعظم البرامج فى تكامل الإنسان، وأنّ قيادة إمام الباطل هى أصل الكفر، وهى الأساس فى عوامل الانحطاط والسقوط. ونجد فى الرواية المذكورة أنّ جميع المحاسن والمناقب العقيدية والأخلاقيّة والعملية هى من فروع قيادة إمام الحقّ، وأنّ كافّة المساوئ والمثالب والشور و ضروب الفساد العقيدى والأخلاقيّ والعملية هى من فروع قيادة إمام الباطل. وأنّ الشخص الوحيد الذى يصدق فى ادّعائه اتّباع قيادة إمام الحقّ هو الذى لا علاقة له أبداً بفروع قيادة إمام الباطل.

ص: 122

الخلاصة

- يرتبط التوحيد والإمامة - من منظار أهل البيت عليهم السلام - بأصرة لا تقبل الانفصال ، ولا يتسنى لأحد أن يكون عارفاً بالله حقاً إلا بمعرفة إمام الحق والعدل .
- القيادة الربانية - من منظار أهل البيت عليهم السلام - مفتاح المبادئ والأسس الإسلامية ، وبدونها لن يطبق الإسلام الصحيح في العالم .
- الإمامة - من منظور أهل البيت عليهم السلام - رمز الحياة والحركة الإسلامية ، وبغيرها لا نرى الإسلام إلا ميتاً جامداً .
- الإسلام الذي لا أساس له ولا أصل لا يناقض الشرك والكفر ، بل يصبح أداةً لتوجيههما وتسويغهما ، وحينئذ يكون أخطر منهما .
- الأصل في ضروب فساد المجتمع البشري - من منظور أهل البيت عليهم السلام - هو قيادة أئمة الجور ، ولا تعالج أدواء المجتمع إلا باستئصال أم الفساد هذه . وإن استئصالها يمثل أول خطوة في تحقيق الأهداف الإسلامية . أما الخطوة التالية فهي خلافة القائد الرباني .

إذا نظرنا إلى ما مرّ بنا في الفصول المتقدّمة حول موقع الإمامة والقيادة عرفنا أنّ أتباع أهل البيت عليهم السّلام يعتقدون أنّ الإمامة أصل من اصول الدين، وبدونها يتعدّد تطبيق الإسلام الحقيقيّ في المجتمع، ولمزيد من الاطّلاع على اسس هذه العقيدة لا بدّ لنا في البداية أن نستعرض المعيار في اصول الدين، والحدّ الفاصل بين اصول الإسلام وفروعه.

المعيار في اصول الدين

الدين منهج لتكامل الإنسان، واصله هي الدعائم الأصليّة لذلك المنهاج، وفروعه هي الأغصان المتفرّعة له. ولم نجد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة دليلاً خاصاً أو معياراً صريحاً يبيّن لنا اصول الدين ويميّزها عن فروعه، والمعيار الوحيد الذي يمكن أن يعرض هنا هو المعيار العقليّ، ونريد به أنّ ما عرف على أنّه إسلام وله دور أساس في تحقيق الأهداف التوحيدية والقيم الإسلامية في المجتمع الإنسانيّ يمكن أن يكون من اصول

الدين الإسلامى. وإذا لم يكن له هذا الدور فهو من فروع الدين. بعبارة أخرى: إذا كان لعقيدة أو عمل دور أساس مهم في بثّ القيم الإسلامية في المجتمع-بحيث إنّ الإسلام يفقد مفهومه الحقيقي بدون ذلك-فإنّ تلك العقيدة أو العمل هما من الاصول الأساسية لهذا النظام الربانى، وإذا لم يكن لهما مثل هذا الدور فهما من فروع الدين (1).

الإمامة من اصول الدين

إذا أخذنا بعين الاعتبار هذا المعيار العقلى وما عرضناه حول مكانة القيادة من منظار القرآن الكريم والنبى العظيم صلى الله عليه وآله و أهل البيت عليهم السلام علمنا أنّ الإمامة من اصول الدين الإسلامى المقدّس لا من فروعها، وذلك للأسباب الآتية: 1-الإمامة عهد إلهى لا يدرك الإنسان-بدون الوفاء به-غاية التوحيد والنبوة، ومن ثمّ غاية خلقه التى تمثّل تكامله. 2-الإمامة محور الثورة الإسلامية، فإذا فقدت رجعت الثورة القهقهري وعادت إلى الجاهلية. 3-الإمامة شرط فى قبول الأعمال الصالحة، وبدونها لا يتسنّى لأى عمل أن يؤدّى دوره فى تكامل الإنسان. 4-الإمامة مفتاح المبادئ الإسلامية واس الإسلام النامى، وغايتها كغاية التوحيد. من هنا، إذا كان معيار اصول الدين هو الدور الأساس للاعتقاد أو العمل فإنّ

ص: 126

1-1) للوقوف على تفصيل أكثر انظر القسم الأول من كتابنا «العدل فى الرؤية التوحيدية للوجود» .

الإمامة لا تُعدّ من أصول الدين فحسب بل تُعدّ من أهمّ أصول الإسلام السياسيّة الاجتماعيّة .

الإمامة من منظار أهل السنة

يذهب معظم علماء السنّة إلى أنّ الإمامة ليست من أصول الدين، بل يزعمون أنّها من فروعها، وأنّها مرتبطة بأفعال المكلفين. قال الفضل بن روزهان في هذا المجال:

«إنّ مبحث الإمامة عند الأشاعرة ليست من أصول الديانات والعقائد بل هي عند الأشاعرة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين»^(١).

ومن الطبيعي أنّ شريحة من أهل السنّة يعتقدون - كأتباع أهل البيت عليهم السلام - أنّ الإمامة من أصول الدين، كما حكى المرحوم الشيخ محمّد حسن المظفر عنهم ذلك قائلاً:

«وقد وافقنا على أنّها أصل من أصول الدين جماعة من مخالفينا كالقاضي البيضاوي في مبحث الأخبار وجمع من شارحي كلامه كما حكاه عنهم السيد السعيد»^(٢).

وحاول ابن أبي الحديد المعتزلي أن يقرب وجهات النظر بين الشيعة والسنّة في ما يخصّ أصل الاعتقاد بالإمامة، فقال بعد كلامٍ لسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام هذا نصّه:

«عليكم بطاعة من لا تُعذرون بجهالته»^(٣).

«يعني نفسه عليه السلام، وهو حقّ على المذهبين جميعاً. أمّا نحن فعندنا أنّه إمامٌ

(١) دلائل الصدق للشيخ محمّد حسن المظفر: ٢ / ٤، انتشارات بصيرتي - قم.

(٢) نفسه: ٢ / ٨.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٦.

واجب الطاعة بالاختبار، فلا يُعذر أحدٌ من المكلفين في الجهل بوجوب طاعته. وأما على مذهب الشيعة فلأنه إمامٌ واجب الطاعة بالنص فلا يُعذر أحدٌ من المكلفين في جهالة إمامته، وعندهم أن معرفة إمامته تجري مجرى معرفة محمد ﷺ ومجرى معرفة الباري سبحانه. ويقولون: لا تصح لأحدٍ صلاة ولا صوم ولا عبادة إلا بمعرفة الله والنبى والإمام.

وعلى التحقيق، فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى؛ لأن من جهل إمامة عليٍّ ﷺ وأنكر صحتها ولزومها فهو عند أصحابنا مخلدٌ في النار، لا ينفعه صومٌ ولا صلاة، لأن المعرفة بذلك من الأصول الكلية التي هي أركان الدين. ولكننا لا نسمي منكر إمامته كافراً، بل نسميه فاسقاً وخارجياً ومارقاً ونحو ذلك. والشيعة تسميه كافراً. فهذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهو في اللفظ لا في المعنى^(١).

وعرض كاتب سنيٍّ معاصر في كتاب «الخلافة والإمامة» الاعتقاد بكون الإمامة أصلاً، ثم قدح في ذلك قائلاً:

«إن الشيعة الإمامية يزّون الإمامة من أصول الدين التي ينبغي الاعتقاد بها. والعمل على تحقيقها. إذ لا يتم الإيمان إلا إذا استقام عليها المسلم معتقداً وعملاً... كالصلاة والصوم والزكاة والحج».

وقال الشيخ محمد رضا المظفر في كتاب «عقائد الإمامية»:

«نعتقد أن الإمامة أصلٌ من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمريتين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة».

ثم قال صاحب كتاب «الخلافة والإمامة»:

«وأنت ترى أن مكانة الإمامة فوق مقام الصلاة وغيرها من أركان الدين، إذ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨ / ٣٧٣.

الصلاة وغيرها من أمور الدين يجوز التقليد فيها - حسب مذهب أهل السنة - وذلك رفعا للحرص عن العامة الذين ليس في إمكانهم النظر في حقائق الدين نظراً يستدل به على تلك الحقائق ومعرفة الأحكام المتعلقة بها من الكتاب والسنة. يقول صاحب كتاب «الملل والنحل»: (وأما العائني فيجب عليه تقليد المجتهد. وإنما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأل عنه).

والإمامة عند الشيعة لا ينبغي التقليد فيها، بل يجب على كل مسلم حسب هذا المعتقد أن يكون هو الذي ينظر في الإمامة ويطلب الدليل عليها ويقوم بالحجج لها، حتى تقع من قلبه وعقله موقع الإيمان...»^(١١).

نلاحظ أن الكاتب المذكور يسجل مؤاخذتين على المذهب الشيعي:

الأولى: لماذا يعتقد الشيعة أن الإمامة أصل من أصول الدين؟ والأخرى: لماذا لا يميزون التقليد في الإمامة؟

أما الأولى فقد أجبنا عنها.

وأما الثانية، فالدليل عليها واضح، إذ أن التقليد يعني الإقرار برأي الآخرين دون طلب الدليل والبرهان، والعقل يأبى أن يجري الإنسان وراء أي كان في قضية مهمة كالإمامة والقيادة. وهي القضية التي يرتبط بها تحقيق الأهداف الربانية والقيم الإسلامية ارتباطاً تاماً.

وأثبت التاريخ الإسلامي حرمة التقليد في الإمامة، ويدرك المسلمون الواعون هذا اليوم جيداً أن أهم عامل يقف وراء ضلال المسلمين وانحطاطهم وتخلّفهم هو التقليد في الإمامة، والخنوع لقيادة المفسدين الجائرين، ولو أراد المسلمون استعادة مجدهم وعظمتهم الحقيقية - التي توسمها لهم القرآن الكريم، ووعدهم بها نبيهم العظيم ﷺ - لكان عليهم لزاماً أن يكونوا من أولي النظر والرأي الحصيف في مسألة

(١١) الخلافة والإمامة لعبد الكريم الخطيب: ٤٢٧، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، طبعة دار المعرفة - بيروت.

الإمامة، ومعرفة إمامهم وقائدهم .

أجل، لو أخطأ المجتهد في المسائل المتعلقة بالصلاة والصيام وأمثالها وتبعه المقلد في خطئه فليس لذلك شأن يُذكر، بيد أنه لو أخطأ في مسألة الإمامة ومواصفات إمام الأمة الإسلامية وقائدها أو أنه أكره الناس على اتباع أئمة الجور بالترغيب والترهيب فسوف تُمنى الأمة الإسلامية بما مُنيت به اليوم من المصير المؤلم المؤسف .

الخلاصة

- ▣ المعيار في عدّ مسألة ما من أصول الدين هو دورها الأساس في تحقيق الأهداف التوحيدية والقيّم الإسلامية.
- ▣ إذا أخذنا بعين الاعتبار معيار أصول الدين وما ذكرناه حول مكانة القيادة - من منظار القرآن الكريم والنبي العظيم ﷺ وأهل بيته الميامين عليهم السلام - فإنّ الإمامة هي أصل من أصول الدين لا محالة.
- ▣ يرى معظم علماء السنّة أنّ الإمامة ليست من أصول الدين ، بل هي من فروعه المتعلقة بأفعال المكلفين.
- ▣ أثبت التاريخ الإسلاميّ حرمة التقليد في الإمامة ، ويدرك المسلمون الواعون هذا اليوم أنّ العامل الأساس في انحطاط المسلمين هو التقليد في الإمامة والانقياد إلى قيادة غير الصالحين.

ذكرنا في الفصل الماضي أنّ الإمامة من اصول الإسلام الجوهرية التي لا محيد عنها. وسنجيب في هذا الفصل عن السؤال الآتي: كيف فصلت الإمامة عن بنية الإسلام؟ ولماذا لم يشعر المجتمع الإسلاميّ بالمسؤولية حيال ذلك؟ بحق ينبغي أن نقول: إنّ مؤامرة فصل الإمامة عن بنية الإسلام كانت وما زالت من أمر الظواهر في التاريخ الإسلاميّ وآمها وأخطرها. وفعلت هذه الكارثة الممضّة فعلتها فمزّقت كيان المجتمع الإسلاميّ وأفرغت الإسلام من محتواه، وهبطت بالمسلمين إلى حضيض الضياع، حتّى عادوا غير قادرين على النهوض واستعادة المجد والافتدار الذي كان لهم في صدر الإسلام بعد مضيّ أكثر من ثلاثة عشر قرناً. وهذه الحقيقة من أمّهات الموضوعات التي وردت في الوصية السياسية الإلهية التي تركها القائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه، إذ تتحرّى في الأسباب التي تقف وراء انحطاط المسلمين، فهو رحمه الله قد بدأ وصيته ببيان هذه الكارثة، وأراد أن يطلق صرخة في اذن التاريخ البشريّ، معلناً فيها أنّ المسلمين

لا يسعهم أن يسترجعوا هويّتهم الإسلاميّة ما داموا لا يدركون خطر انفصال القيادة الرّبانيّة عن الإسلام. ذلك الخطر الذي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله قد توقّعه من قبل، وهو كالقرحة المزمنة، أصل جميع الآلام التي عانت منها البشريّة. والواقع أنّ أساس وصيّة الإمام السياسيّة الإلهيّة هو وصيّة النبيّ السياسيّة الإلهيّة التاريخيّة إذ أنذر بخطر فصل الدين عن الإمامة والسياسة، فقال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». يؤكّد الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله في هذا الحديث- المتواتر المعتر عند كافّة المسلمين- أنّ الإمامة أو القيادة لا تنفصل عن القرآن والإسلام أبدا. وقال الإمام الراحل رحمه الله في تبيان هذه النقطة أيضا: «لعلّ قوله: (لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض) إشارة إلى أنّ كلّ ما يجري بعده صلّى الله عليه وآله على أحدهما يجري على الآخر، وأنّ هجر أحدهما هجر للآخر إلى أن يرد هذان المهجوران على رسول الله الحوض معا، وهل هذا الحوض هو مقام اتّصال الكثرة بالوحدة وضمحلل القطرات في البحر؟ أو أنّه شيء آخر ليس إلى عقل البشر وعرفانه إليه من سبيل؟!». لقد امتزج القرآن والعترّة، والإسلام والإمامة، والدين والسياسة امتزاجا لا يمكن معه أن ينفصل أحدهما عن الآخر أو يفترق عنه، وإذا انفصل القرآن عن العترّة فإنّه يفقد مفهومه الحقيقيّ. وإن افترق الإسلام عن الإمامة فكأنّه قد افترق عن نفسه. وبعبارة أخرى: إنّ الدين بلا سياسة هو الدين بلا دين.

المؤامرة الكبرى

إنّ أكبر مؤامرة حدثت-في تاريخ الإسلام-على الإسلام والمسلمين بل على البشريّة جميعها هي مؤامرة فصل القيادة الرّبانيّة عن الإسلام والقرآن. قال الإمام

«لقد جعل الأنانيون والطواغيت القرآن الكريم أداة للحكومات المعادية للقرآن، وبشتى الذرائع والدسائس المدبّرة أقصوا مفسّريه الحقيقيين العارفين بكلّ حقائقه التي كانوا قد تلقّوها من النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله. وبالقرآن نفسه أخرجوا القرآن عن الساحة، وهو أعظم دستور للحياة الماديّة والمعنويّة للبشريّة حتّى ورود الحوض، وشطبوا على حكومة العدل الإلهي-التي كانت وما تزال أحد أهداف هذا الكتاب المقدّس- ورسّخوا أساس الانحراف عن دين الله والكتاب والسنة، حتّى بلغ الأمر مبلغاً يستحقّ القلم من بيانه» (1). ومن خلال تلك المؤامرة الخطرة المعقّدة أفرغوا الإسلام من محتواه، وأفقدوا الصلاة والصيام والحجّ والجهد في سبيل الله آثارها وعطاءاتها، بدون أن يدرك المسلمون كنهها. وخلصتها أنّهم أعمقوا قوانين القرآن جميعها، فحبطت كافّة البرامج المرسومة لتكامل الإنسان و تنميته و تنضيجه. وفعلت هذه المؤامرة المدروسة فعلتها بدون أن يتغيّر ظاهر الإسلام فيعترض المسلمون على المغيّرين، وفقد الإسلام روحه بسببها وأصبح كيانه الخاوي أفضل وسيلة لتوجيه واستمرار الحكومات الطاغوتيّة التي مسكت بزمام الامور باسم التوحيد. وعلى حدّ تعبير الإمام الراحل رضوان الله عليه: «بلغ الأمر أن أصبح القرآن الكريم وسيلة بيد الحكومات الجائرة و علماء الدين الخبيثاء-الذين كانوا أسوأ من الطواغيت- من أجل إقامة الجور ونشر الفساد و توجيه عمل الظالمين و المعاندين» (2).

ص: 137

1-1) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخميني رضوان الله عليه.

2-2) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخميني رضوان الله عليه.

إنّ قرونًا عديدة قد مرّت على انفصال إمامة إمام الحقّ و العدل عن كيان الإسلام، بيد أنّ الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة أفاضت بركاتها على المسلمين الواعين في العالم فأدركوا جيّدًا أنّ هذا الانفصال هو سبب جميع المفاسد الاجتماعيّة، وهو الباعث على انحطاطهم. و الأمر البالغ الأهميّة في هذه المرحلة الحسّاسة من تاريخ الإسلام هو تقصّي جذور هذا الانفصال و الانفصام، أي أن ندرك كيف انفصل مبدأ الإمامة عن الإسلام؟ و من هم الذين فصلوا الدين عن السياسة، و القرآن عن العترة، و الإسلام عن الإمامة؟

كيفية فصل الدين عن السياسة

ينبغي أن نتلمّس جواب ذلك في كتابات القرون الإسلاميّة الأولى، و في تضاعيف كتب التاريخ و الحديث و التفسير المدوّنة آنذاك. و تدلّنا دراسة دقيقة لهذه الكتب على أنّ فصل الدين عن السياسة قد تحقّق باسم الدين، و انتهى بتدميره و هجر القرآن و العترة. و قام الساسة المحترفون المتسلّطون على العالم الإسلاميّ يومئذ باجتثاث جذر الإسلام الأصيل بمعول يسمّى «الإسلام» و أبادوا أنصاره الحقيقيين. و في هذا المجال قدّم المتولّون الرسميون للشؤون الدينيّة و وعّاظ السلاطين أكبر خدمة للطواغيت المتسلّطين على البلاد الإسلاميّة. و ليس هناك أفضل من أولئك الجهلة «المتنسّكين» الذين باعوا دينهم بدنياهم من يستطيع أن يقنع الناس بأنّ السياسة مفصولة عن الإسلام، و أنّ عليهم-بحكم القرآن و أمر النبيّ صلّى الله عليه و آله-أن يطيعوا كلّ مجرم يمسك زمام المجتمع الإسلاميّ بأيّ شكل كان. كتب الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السّلام رسالة إلى أحد وعّاظ السلاطين في عصره، و هو محمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، قال له فيها: «فلم يبلغ أخصّ وزرائهم و لا أقوى أعوانهم إلّا دون ما بلغت من إصلاح

فسادهم واختلاف الخاصّة و العامّة إليهم، فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك» (1). وهنا أدعو جميع القراء الكرام من أيّ مذهب كانوا أن يدعوا العناد والتعصّب جانبا و يدرسوا هذه الامور بنظرة علميّة فاحصة، فهل يحصلون على نتيجة غير التي ذكرناها؟ و ادعواهم أن يحكموا بإنصاف و ينظروا هل كان لفصل الدين عن السياسة جذر سياسيّ أم جذر دينيّ؟ و ما ذا فعل الساسة المتسلّطون على البلاد الإسلاميّة باسم الدين؟ ألم يتركوا المسلمين سادرين في غفلتهم إلى الآن؟ ألم يحولوا دون تحكيم الإسلام الأصيل على المجتمعات الإسلاميّة؟ و هل هناك طريق لإحياء القيم الإسلاميّة في كافّة الأبعاد الماديّة و المعنويّة إلاّ إعادة السياسة إلى الدين، و الإقرار بقيادة رجل عادل عارف بالإسلام، و تشكيل حكومة صالحة؟ و إذا أردنا أن ندرس-كباحثين- «صحيح مسلم» (2)، و هو أحد كتب الحديث المهمّة عند أهل السنّة، فإنّنا نصل في الجزء الثالث منه إلى «كتاب الإمارة». و يدور هذا الكتاب حول موضوع بحثنا «القيادة من منظار الإسلام». و تمثّل عناوين كلّ باب في هذا الكتاب استنباطات المؤلّف من الأحاديث المطروحة في ذلك الباب. على سبيل المثال، نقل في «باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة و استئثارهم» ثلاثة أحاديث منسوبة إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله، نقرأ فيها: «إنّكم ستلقون بعدى أثره، فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض» (3). و إذا تأملنا هذا الحديث قليلا و قايسناه بحديث الثقلين المتواتر-الذي يرى أنّ قيادة إمام الحقّ و العدل لا تقبل الانفصال عن القرآن و الإسلام حتّى يوم القيامة-

ص: 139

1-1) تحف العقول: 276، بحار الأنوار: 78/132/2. [1]

2-2) تأليف محمّد بن مسلم النيسابوريّ المتوفّي سنة 261 هـ.

3-3) صحيح مسلم: 3/1474/1845، مسند ابن حنبل: 7/44/19114 و 19116. [2]

أمكنا أن نستنتج بيسر كيف وضع هذا الحديث بأسلوب ماكر ليلزم المسلمين بالسكوت والصبر على ظلم حكّامهم. وجاء في «باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق» من هذا الكتاب أيضا: «إن سلمة بن يزيد سأل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فقال: يا نبيّ الله، أ رأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقّهم ويمنعونا حقّنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه! ثمّ سأله، فأعرض عنه! ثمّ سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتهم!» (1). وقال في حديث بعده: فجذبه الأشعث، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتهم»! نلاحظ أنّ هذا الحديث الموضوع يحاول أن يملئ على الناس مطلبين: 1- أن الجواب عن المسائل السياسيّة ليس من شأن النبيّ صَلَّى الله عليه وآله! فلا يسأل إلاّ المسائل الشرعيّة كالصلاة والصيام وأمثالهما. من هنا نجد أنّ السائل حين يكرّر سؤاله يعرض عنه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، معبّرا عن كرهه لطرح مثل هذه المسائل. 2- أنّ النبيّ صَلَّى الله عليه وآله نصّ أو أيّد حرمة النهي عن المنكر ومكافحة الفساد والظلم الذي كان يمارسه الحكّام! ويريد أن يقول-في الحقيقة-: إنّ شأن نزول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظالم والفساد هو لغير الطبقة الحاكمة على المجتمع! من هنا فإنّ سحق الامراء حقوق الناس لا ينبغي أن يفضى إلى معارضتهم، بل عليهم أن يطيعوا هؤلاء المفسدين و يسمعوا كلامهم، لأنّ ذلك الحديث الموضوع جعل الحكّام مسؤولين عن أعمالهم، والناس مسؤولين عن أعمالهم أيضا! و هنا يستبين لنا مصدر

ص: 140

1-1) صحيح مسلم: 3/1474/1846.

الأمثال التي تنزع هذا المنزع، كقولهم: «كلّ شاة برجلها ستناط». وورد أيضا في كتاب الإمارة «باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال و تحريم الخروج عن الطاعة. . .» ما مضمونه: روى عن حذيفة أنه قال: «قلت للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّا كُنَّا بَشَرًا، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتَ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتَ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتَ: كَيْفَ؟ قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ وَلَا يَسْتَوْنَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُم لِقُلُوبِ الشَّيَاطِينِ فِي جِثْمَانِ إِنْسٍ. قُلْتَ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكَتْ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتَطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِع!» (1). وروى عوف بن مالك في الباب السابع عشر من هذا الكتاب أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَحَبَّوْنَهُمْ وَيَحَبُّوْنَكُمْ، وَيَصَلُّوْنَ عَلَيْكُمْ وَتَصَلُّوْنَ عَلَيْهِمْ. وَشَرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغُضُونَهُمْ وَيَبْغُضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ! قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا. مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَلَا تَكُمُ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَارْكُوهَا

ص: 141

عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة!« (1). إن هذا الحديث الذى وضع فى عصر حكومة الأئمة الظالمين بدهاء خاص- نظرا إلى الحقائق السائدة فى البلاد الإسلامية يومئذ- يرفض بشدة منطق الكفاح المسلح ضد الحكام المفسدين، ثم يؤكد أن الصلاة وحدها تكفى لحكام المجتمع الإسلامى. وبعد ذلك يضع قانونا عاما للناس يعلمهم كيف يتعاملون مع الحكام الظالمين. وفى ضوء القانون المذكور لا يحق للمسلمين أن يناهضوا الحكام المفسدين مهما كانت ظروفهم، بل عليهم أن يعرضوا عن أعمالهم المشينة فحسب! وهكذا يحرم الناس من حق التدخل فى الشؤون السياسية، ويفصل الدين عن السياسة. ونقرأ فى حديث آخر روته عائشة عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا تكفروا أحدا من أهل قبلتكم بذنوبهم وإن عملوا بالكبائر، وصلّوا مع كلّ إمام وجاهدوا مع كلّ أمير» (2). ومفهوم هذا الحديث هو أنه ما من ذنب يتنافى مع الإسلام، وأنّ الإنسان يمكن أن يكون مسلما ويرتكب ضروب الفساد والذنوب. وعلى المسلمين أن يصلّوا خلف كلّ إمام ولو كان من أكبر مجرمى التاريخ، وعليهم أن يجاهدوا عدو كلّ حاكم حتى لو كان هذا الحاكم مخالفا للإسلام! نقل عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: «سيليكم امراء يفسدون، وما يصلح الله بهم أكثر، فمن عمل منهم بطاعة الله لهم؟ الأجر وعليكم الشكر، ومن عمل منهم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر» (3).

ص: 142

1-1) صحيح مسلم: 3/1481/1855، مسند ابن حنبل: 9/256/24036. [1]

2-2) المعجم الأوسط: 3/175/2844، مجمع الزوائد: 1/298/406، كنز العمال: 1/215/1078.

3-3) مسند ابن حنبل: 1/428. و [2]نسب مثل هذا الحديث فى تحف العقول: 411 إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وفيه:

يريد هذا الحديث من الناس أن يساوموا الحكّام المفسدين من خلال مغالطتين، الأولى: أن صلاحهم أكثر من فسادهم. و الثانية: أنّهم سيلاقون جزاء آثامهم، و لا علاقة لذنوبهم بالناس. و مآل هذا أن ينفصل الدين عن السياسة، و ما على المسلمين إلا الصبر و السكوت أمام ظلم الحكّام المفسدين! و يبدو أنّ هذه الأحاديث الموضوعية كلّها و أمثالها (1) تمهيد لوضع الحديثين الآتين اللذين نسبوهما إلى صحابيين كبيرين معروفين: 1- قال عبد الله بن مسعود: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «من فارق الجماعة فاقتلوه» (2). 2- قال أبو ذرّ: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «من قاتل على الخلافة فاقتلوه، كائنا من كان» (3). و هكذا يستبين أنّ كلّ من لا يصغى إلى هذه الأحاديث الممّوهة بالنصح و ينهض لمعارضة الحكّام الجائرين المفسدين فما جزاؤه إلا الإبادّة و الإعدام! و كانت هذه الأحاديث- التي نقلت مشافهة كأحاديث نبويّة- أفضل وسيلة دعائيّة لبقاء الحكومات الجائرة و استمرارها، و لم يتّسم جمهور الأمة يومئذ بوعى ديني و سياسيّ كاف، كما لم يصدّقوا أنّ صحابيّا يفتري على النبيّ صلّى الله عليه و آله، أو أنّ الشخص الذي نسب هذه الأحاديث إلى الصحابي يكذب عليه. و فعلت تلك الدعايات المسمومة فعلتها فلم يجرؤ أحد على معارضة الحكّام الفاسدين.

ص: 143

-
- 1-1) انظر مسند ابن حنبل [1]: 6/275 و 295 و 297 و 302 و 305 و 321 و 384 و 387، و صحيح البخاريّ: 5/113 و 281، و سنن الدارميّ: 2/41، سنن أبي داود: 4/242 و... .
- 2-2) تاريخ بغداد: 7/131، كنز العمّال: 1/208/1044.
- 3-3) كنز العمّال: 1/209/1046.

الأحاديث الموضوعة والحكومات الفاسدة

تحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن أصل الأحاديث الموضوعة والأخبار المختلقة المتضاربة التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وآله بشأن الأحكام الإلهية والمسائل الإسلامية، وحللها تحليلا شاملا، وبيّن بصراحة تامّة دورها في توطيد دعائم الحكومات الفاسدة واستمرارها. سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر. فقال عليه السلام: «إنّ في أيدي الناس حقّا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاقا و خاصّا، ومحكما ومتشابهها، وحفظا وهما (1). ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قام خطيبا، فقال: من كذب علىّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار». ويواصل الإمام عليه السلام كلامه -فيصف الذين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدين وينسبون إليه ما لم ينطق به- قائلا: . . . رجل منافق مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرّج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّدا. فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، رآه وسمع منه ولقّف عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم

ص: 144

1-1) النسخ هو الحديث الذي يلغى حكم حديث آخر وينسخه. والخاص هو الحديث الذي يحدّد حكم العام. والمحكم هو الحديث الواضح مفاده، والمتشابه هو الذي يكتنفه الغموض. والحفظ هو الذي حفظه الراوي بصورة صحيحة، والوهم هو الذي حفظه بصورة غالطة.

به لك (1)، ثم بقوا بعده-عليه وآله السلام-فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم حكّاما على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإثما الناس مع الملوک والدنيا، إلا من عصم الله» (2). إن النقطة اللافتة للنظر هنا هي أننا نلاحظ بعد وفاة الرواة المنافقين الذين كانوا قد أدركوا رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أحاديثهم الموضوعية لما كانت لا تلبّي حاجة الحكّام الجائرين، فقد أضيف إليها نوعان آخران من الأحاديث المختلفة: 1- أحاديث مكذوبة اختلقها الوضّاعون على لسان بعض الصحابة المؤمنين المجاهدين، مثل أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يكافح الأحاديث الموضوعية ويناهضها! 2- أحاديث مفتراة نسبت إلى صحابة وهميين مختلقين لا وجود لهم أساسا! (3). وليس هنا موضع الحديث عن هذا الأمر المؤلم الممضّ، بيد أن الأمضّ هو أن كثيرا من الفقهاء في العالم الإسلامي قد استندوا في فتواهم إلى الأحاديث المذكورة الواهية، وما يزالون يفتنون، ويجزّون المسلمين وراءهم إلى جحيم الضلال. فأفتى الشافعيّ و مالك و أحمد بن حنبل بوجوب الصبر على جور الحاكم و حرمة الخروج عليه (4). قال أحمد بن حنبل: «لا يخرج على الامراء بالسيف وإن جاروا» (5).

ص: 145

-
- 1-1) بين القرآن الكريم في آيات كثيرة مواصفات المنافقين المتظاهرين بالإسلام، و حذر من خطرهم على الدين. و من هذه الآيات قوله تعالى: وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ، التوبة: 101. [1]
- 2-2) نهج البلاغة: الخطبة 210. [2]
- 3-3) عرف منهم لحدّ الآن مائة و خمسون صحابيا. انظر كتاب «خمسون و مائة صحابيّ مختلق» للعلامة السيّد مرتضى العسكريّ.
- 4-4) المذاهب الإسلاميّة: 90.
- 5-5) المذاهب الإسلاميّة: 90، المناقب لابن الجوزي: 1402/2/176 دار الآفاق الجديدة-بيروت.

و جاء فى شرح الموطأ بأن رأى مالك و جمهور أهل السنة هو: «إذا ظلم الإمام فالطاعة أولى من الخروج» (1). و أخيراً قال المحدث السنّي المعروف الحافظ محيي الدين النووي الشافعي (المتوفى 676 هـ) فى شرح صحيح مسلم: «قال جماهير أهل السنة من الفقهاء و المحدثين و المتكلمين: لا- ينعزل بالفسق و؟؟؟ الظلم و تعطيل الحقوق، و لا- يخلع، و لا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه و تخويفه» (2). و كان أحد الأنصار المتحمسين لهذا المنحى الخطر-الذى يعدّ أهمّ عوامل انحطاط المسلمين و تأخرهم- هو الحسن البصرى. و الحسن هذا كان شاباً يافعا فى أيام حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. و لما افتتح الإمام عليه السلام البصرة بعد حرب الجمل اجتمع الناس عليه، و فيهم الحسن البصرى و معه الألواح. فكان كلما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام كلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته: ما تصنع؟ قال: نكتب آثاركم لنحدث بها بعدكم. و كان الإمام عليه السلام بما اوتى من بصيرة إلهية يعرفه جيّدا و يخبر مستقبله، فالتفت إلى الحاضرين، قال كلمته التاريخية بشأنه: «أما إن لكلّ سامريّا (3)، و هذا سامريّ هذه الأمة، أمّا أنّه لا يقول: «لا»

ص: 146

1-1) المذاهب الإسلامية: 89.

2-2) صحيح مسلم بشرح النووي للإمام النووي: 12/470. انظر الغدير: 152-7/136. [1]

3-3) دعا السامريّ أتباع موسى عليه السلام إلى عبادة العجل، فصار سببا فى ضلالهم، و نقل القرآن الكريم قصّته فى سورة طه: 95-98. و جاء فى الروايات أنّه ابتلى بمرض بعد عمله هذا، حتّى أنّ الناس كانوا يفرعون منه. و كان يفرّ من كلّ من يقترب منه و يصيح: «لا مساس» أى لا تقتربوا منّى و لا تمسّونى.

مساس» و لكن يقول: «لا- قتال»! (1). وقد تحقّق ما نطق به الإمام عليه السّلام، فأفتى هذا المحدث الشهير بوجوب طاعة الملوک الامويّين، وقال فى توجيه فتواه: «لا يستقيم الدين إلاّ بهم وإن جاروا وإن ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر ممّا يفسدون» (2). و كانت هذه الفتوى خدمة عظيمة قدّمها الحسن البصرىّ للحكّام الامويّين الفاسدين الجائرين. وللحسن البصرى موقف ينبغى أن نلقى عليه قليلا من الضوء؟ بخطورة؟ دلالتة. فقد قال الشيخ على محفوظ: لو لا لسان «الحسن» و سيف «الحجاج» لوئدت الدولة المروانية فى مهدها. . . ألم تر إلى الحسن و قد جلست بين يديه صفوف من الناس يصغون إليه و هو يخرج بهم فى أساليب الكلام من باب إلى باب ثمّ يقول لهم فيما يحدثهم به: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «لا تسبوا الولاة فإنّهم إن أحسنوا كان لهم الأجر و عليكم الشكر، و إن أسأؤوا فعليهم الوزر و عليكم الصبر، و إنّما هم نقمة ينتقم الله بهم ممّن يشاء فلا تستقبلوا نقمة الله بالحميّة و الغضب، و استقبلوها بالاستكانة و التضرّع». و فى أزمة مالية اشتدّ كرب الناس لها و ذهبوا يستفتونه فى حلّها، فقال لهم:- غلا السعر على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله، فقال الناس: يا رسول الله ألا- تسعر لنا؟ فقال: إنّ الله هو المسعر، إنّ الله هو القابض، إنّ الله هو الباسط، و إنّى و الله ما أعطىكم شيئا و لا أمنعكموه (3).

ص: 147

1 - 1) الاحتجاج: 1/404/87، [1] بحار الأنوار: 42/141/2، [2] سفينة البحار: 2/210، [3] تفسير نمونه؟ ؟ ؟ ؟ [4] فى كتاب الله المنزل: 13/286.

2- 2) المذاهب الإسلامية: 89.

3- 3) مع الله لمحمد الغزالي: 171.

هذا بيان المؤامرة خطيرة فصلت العترة عن القرآن، والسياسة عن الدين، والإمامة التي هي أس الإسلام النامي عن الإسلام، وبقطع هذا الجذر يبست شجرة التوحيد الطيبة، وتوقفت عن النمو، وأصبحت أغصانها الدأوية حطبا للحكام الامويين والعباسيين الجائرين الفاسدين، ولكل الظالمين الذين حكموا المسلمين ويحكمونهم، ليحرقوا بيت الإيمان وينهبوا أمانة الإمامة! وظل القرآن مهجورا، وأصبح أداة لتسوية جور الظالمين وفسادهم. من هنا أعلن الإمام الراحل رحمه الله صرخته فقال: بلغ الأمر أن القرآن الكريم أصبح وسيلة بيد الحكومات الجائرة وعلماء الدين الخبيثاء الذين كانوا أسوأ من الطواغيت، من أجل إقامة الجور ونشر الفساد وتوجيه عمل الظالمين والمعاندين. ومن المؤسف أن الأعداء المتآمريين والأصدقاء الجاهلين أرادوا له أن يتلى في المقابر ومجالس الموتى فحسب. وهو الذي قدر له أن يكون وسيلة للمسلمين والبشرية، ومنهاجا لحياتهم، بيد؟؟؟؟؟ صار وسيلة للتفرقة والخلاف، أو أنه أقصى عن ميدان الحياة تماما، بحيث رأينا أنه إذا تحدث أحد عن الحكومة الإسلامية وتكلم في السياسة التي تمثل الدور الكبير للإسلام والرسول الأعظم صلى الله عليه واله ويزخر بها القرآن والسنة فكأنه قد ارتكب أكبر معصية. وكانت وما زالت كلمة «عالم الدين السياسي» مساوية لكلمة «عالم الدين الذي لا دين له» (1).

ص: 148

1-1) الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

الخلاصة

▣ تُعدّ فاجعة فصل الإمامة عن الإسلام أمرَ الحوادث وأخطرها في التاريخ الإسلامي، فقد مزقت هذه الكارثة أوصال المجتمع الإسلامي، وأفرغت الإسلام من محتواه، ودمّرت المسلمين حتّى أنّهم ما زالوا عاجزين عن النهوض بعد مضيّ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

▣ إنّ أهمّ مسألة نطالعها في الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني طاب ثراه هي تقصي الأسباب التي تقف وراء انحطاط المسلمين، ومسألة فصل الإمامة عن الإسلام. وكأنّها تكرر للوصية النبوية التاريخية التي أكّدت اقتران الإمامة والقيادة بالقرآن والإسلام وعدم افتراقهما أبداً.

▣ يتلازم القرآن والعترة، والإسلام والإمامة، والدين والسياسة تلازماً وثيقاً بحيث يتعدّر انفصالهما. ومتى انفصل القرآن عن العترة فقد تجرّد عن مفهومه الحقيقي. ومتى انفصل الإسلام عن الإمامة فكأنّه انفصل عن نفسه، والدين بلا سياسة كالدين بلا دين.

▣ إنّ أخطر مؤامرة في التاريخ الإسلامي استهدفت الإسلام والمسلمين - بل استهدفت البشرية كلّها - هي مؤامرة فصل القيادة الربانية عن الإسلام والقرآن. وبفعل هذه المؤامرة أفرغ الإسلام من محتواه وأصيب هذا النظام الإلهي الذي يمثل منهاجاً لتكامل الإنسان بالعقم.

▣ تدلّ دراسة دقيقة لكتب الحديث التي دُوّنت في القرون الإسلامية الأولى على أنّ فصل الدين عن السياسة قد تحقّق باسم الدين، وقام الساسة المحترفون باجتثاث

جذر الإسلام الحقيقي بمعول اسمه «الإسلام». يؤازرهم على ذلك وعَاظ السلاطين الذين كانوا أكبر خَدَمهم في هذا المجال.

☐ إنَّ الأحاديث التي تدعو الناس إلى الصبر والسكوت حيال ظلم الحكّام الفاسدين المتسلّطين على البلاد الإسلاميّة، وتوجب طاعتهم حتّى إذا اعتدوا على حقوق الناس، وتحزّم الخروج عليهم بالسيف، وتفتي بقتل الخارجين عليهم، كلّها من وضع وعَاظ السلاطين، وتصبّ في مجرى فصل الدين عن السياسة، والقيادة عن الإسلام، والقرآن عن العترة.

☐ تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مفصلاً - في الخطبة ٢١٠ من نهج البلاغة - عن دور الأحاديث الموضوعية في توطيد حكومة الجائرين الفاسدين المتسلّطين على العالم الإسلاميّ.

☐ تأسيساً على الأحاديث التي أشير إليها أفتى كثير من علماء العالم الإسلاميّ بأنّ الحاكم لا يُعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، وإنّما يُكتفى بوعظه وتخويفه. وكانت هذه الفتوى تسائر مؤامرة فصل الدين عن السياسة. وهي أكبر خدمة للحكّام الجائرين.

الفصل الثاني: تحريف القيادة

إشارة

لا يقلّ خطر تحريف القيادة على الثورة الإسلاميّة عن خطر فصلها. وهو خطر يهدّد المجتمع الشيعي. ولم تنفصل الإمامة عن الإسلام في هذا المجتمع، بيد أنّها لم تسلم من التحريف أيضا. ويعدّ هذا الموضوع من العقبات الكؤودة في طريق إقامة الحكومة الإسلاميّة العالميّة.

أقسام التحريف

إشارة

تمنى القيادة في الإسلام بالتحريف عبر طريقين، الأول: التفسير الغالط للاعتقاد بالإمامة. الثاني: انضمام عقائد خاطئة تجعل الاعتقاد بالإمامة عقيما. ونسّمى الطريق الأوّل بالتحريف المباشر والجلّي، ونسّمى الثاني بالتحريف غير المباشر والخفيّ.

أ- التحريف الجلّي

ويعنى تفسير الاعتقاد بالإمامة على خلاف مفهومها ومحتواها الحقيقيّ، بحيث

ص: 151

يتعدّر بيان فلسفة الإمامة. وقد مرّ بنا سابقاً أنّ أهمّ نقطة في فلسفة الاعتقاد بالإمامة و أوضحها هي إقامة الحكومة الإلهية و وحدة القيادة السياسيّة و الدينيّة. فإذا فسّرت هذه العقيدة بنحو لا يفضي إلى مثل هذه الوحدة فقد منيت بالتحريف لا محالة. مثلاً، إذا أهمل موضوع اتّباع الإمام في تفسير الإمامة و فسّرت هذه العقيدة بمعرفة الإمام أو إظهار حبه فلا شكّ أنّ التحريف قد نال الاعتقاد بالإمامة. إذ لا مرء في أنّ معرفة الإمام و حبه ممهّدان لاتباعه، و من ثمّ تشكيل الحكومة الإسلاميّة بقيادته. فإذا الغيت تلك المقدّمة فإنّ التحريف قد نال الاعتقاد بالإمامة بكلّ وضوح. و ترشد دراسة تاريخ أهل البيت صلوات الله عليهم إلى أنّ هذا التحريف كان شائعاً بين عدد من أدعياء التشيع. و كان الأئمّة الأطهار عليهم السّلام أنفسهم يناهضون هذا التحريف بشدّة. و تدلّ الروايات الواردة في بيان صفات الشيعة و نفى تشييع الأدعياء الكاذبين على ما نقول بجلاء. و نشير فيما يأتي إلى نماذج منها: 1- روى الإمام الصادق عن أبيه عليهم السّلام أنّه خاطب جماعة من أصحابه، معبراً عن حبه لهم و مؤكّداً أنّ شرط الولاية هو الاتّباع العمليّ للإمام، و أنّ الذين يدعون الاعتقاد بالإمامة لا يصدقون في دعواهم إلاّ إذا حازوا على الشرط المذكور، قال عليه السّلام: «اعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلاّ بالورع و الاجتهاد، من اتّم منكم يقوم فليعمل بعملهم» (1). 2- قال الإمام الصادق عليه السّلام في الذين يزعمون الاعتقاد بأصل الإمامة كذبا، و في

ص: 152

1-1) صفات الشيعة: 51/8، بحار الأنوار: 68/65/118. [1]

صفات الأتباع الصادقين: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه و خالفنا في أعمالنا و آثارنا، و لكن شيعتنا من وافقنا بلسانه و قلبه و أتبع آثارنا و عمل بأعمالنا، أولئك من شيعتنا» (1). 3- يرى الإمام زين العابدين عليه السّلام أنّ الذين يزعمون الاعتقاد بالإمامة كذبا هم من أبغض الناس إلى الله تعالى. و يصفهم قائلا: «إنّ أبغض النَّاس إلى الله عزّ و جلّ من يقتدى بسنّة إمام و لا يقتدى بأعماله» (2). 4- قال الإمام الصادق عليه السّلام في جماعة من محرّز في أصل الإمامة و كانوا معاصرين له و يزعمون أنّه إمامهم: «قوم يزعمون أنّي إمامهم، و الله ما أنا لهم بإمام، لعنهم الله، كلّما سترت سترا هتكوه، أقول: كذا و كذا، فيقولون: إنّما يعنى كذا و كذا، إنّما أنا إمام من أطاعني» (3). 5- خاطب الإمام الرضا عليه السّلام جماعة من أديعاء التشييع و أتباع أمير المؤمنين عليه السّلام قائلا: «و يحكم! إنّما شيعته: الحسن و الحسين عليهما السّلام و سلمان و أبوذرّ و المقداد و عمّار و محمّد بن أبي بكر، الذين لم يخالفوا شيئا من أوامره، و لم يركبوا شيئا من فنون زواجه. فأما أنتم إذا قلتُم إنّكم شيعته، و أنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون مقصّرون في كثير من الفرائض، متهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، و تتّعون حيث لا يجب التقيّة، و تتركون التقيّة حيث لا بدّ من التقيّة. فلو قلتُم إنّكم موالوه و محبّوه

ص: 153

1-1) مستطرفات السرائر: 147/21، وسائل الشيعة: 11/196/19، [1] بحار الأنوار: 68/164/13. [2]

2-2) بحار الأنوار: 71/178/25. [3]

3-3) غيبة النعمانيّ: 37/8، [4] بحار الأنوار: 2/80/76، [5] مستدرک الوسائل: 12/293/14121. [6]

والموالون لأوليائه و المعادون لأعدائه، لم أنكره من قولكم. . . !» (1). 6- يرى الإمام الباقر عليه السلام أنّ الذين يدعون الاعتقاد بالإمامة ثلاثة، قال عليه السلام: «الشيعة ثلاثة أصناف: صنف يتزيتون بنا، و صنف يستأكلون بنا، و صنف منا و إلينا، يأمنون بأمننا و يخافون بخوفنا. . .» (2). إذا تأملنا هذه الأحاديث و أمثالها فستستبين لنا عدد من النقاط العقيدية و التاريخية البالغة الأهمية: 1- لا يعنى الاعتقاد بالولاية و الإمامة معرفة الإمام ذهنيًا أو مودّته قلبيًا فحسب، حتّى يتسنى لنا أن نقول: إنّ كلّ من تحدّث أو كتب عن الإمامة و الولاية أكثر و أفضل أو كلّ من أظهر للإمام حبًا أكثر و رفع شعارا يناصر ولايته. فولايته أكثر و اعتقاده بالإمام أرسخ، بل يتطلّب هذا الاعتقاد مسؤولية كبيرة ثقيلة تتضمّن فيها جميع المسؤوليات الإسلامية و الإنسانيّة! و هذه تتلخّص فى اتّباع القيادة الربّانية عمليًا، و مراعاة التقوى فى الحياة، و العمل لتحقيق القيم الإلهية فى المجتمع، و السعى لإقامة الحكومة الإسلامية. 2- الاعتقاد بالإمامة لم يسلم من التحريف الجليّ حتّى فى عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام بحيث إنهم عليهم السلام كانوا يشعرون بخطر هذه الكارثة. 3- لقد بذل الأئمة المعصومون عليهم السلام قصارى جهودهم لمناهضة التحريف الذى طرأ على هذا الاعتقاد، من خلال التبيين الدقيق لمواصفات المعتقدين الصادقين بأصل الإمامة، و نبد ادعاء الشيع و إدانتهم.

ب- التحريف الخفى

يتمّ فى هذا الضرب من التحريف تفسير أصل الإمامة بمعناه الحقيقيّ و لكن يشاب

ص: 154

1- 1) بحار الأنوار: 68/158، [1] الاحتجاج: 2/459/318. [2]

2- 2) مشكاة الأنوار: 63، [3] المحجّة البيضاء: 4/356.

بعقائد غير صحيحة ممّا يفرضى إلى تجريد الإنسان المعتقد من مسؤوليّة العمل و التمهيد لإقامة الحكومة الإسلاميّة بقيادة الإمام العادل، بصورة غير مباشرة. إنّ من يحزّف القيادة بنحو غير مباشر لا يحذف موضوع اتّباع الإمام وإقامة الحكومة الإسلاميّة بقيادة الإمام العادل من تفسير أصل الإمامة، بل يقول: الإمام العادل غائب الآن، و متى ظهر أقام الحكومة الإلهيّة. و إن سئل: ما ذا نعمل الآن؟ ألا يجب على المسلمين فى عصر الغيبة تطبيق قوانين القرآن و التمهيد للحكومة الإسلاميّة العالميّة؟ و هل ينبغى أن تظلّ المجتمعات الإسلاميّة تحت نير القادة الجائرين؟! يجيب قائلاً: إنّنا لا نهتدى إلى عمل، و ليس لنا فى عصر الغيبة إلاّ التقيّة و الانتظار و الدعاء، و التقيّة لا تجيز المقارعة حتّى ظهور إمام العصر و الزمان عليه السّلام، و علينا أن ندعو ليظهر، و علينا أن ننتظر قدومه لكلّ عمل من أعمالنا!! . تلاحظون كيف يؤثّر تحريف المفاهيم البتاء المذكورة على أصل الإمامة و يجعله عقيماً؟ و كيف يسلب المجتمع الإسلامى شعوره بالمسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة الحكومة الإسلاميّة؟! إنّ هذا اللون من التحريف أعقد من اللون الأوّل و أخطر، و له دور أكبر فى عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السّلام، إذ أنّه يفقد أصل الإمامة أثره بصورة غير مباشرة و خفيّة.

سرّ حكومة أئمة الجور

إنّ المستكبرين الذين يريدون أن يتسلّطوا على الامّة الإسلاميّة بالقوّة و التدليس يتلمّسون طريقاً لتسويغ شرعيّتهم، و لفصل الدين عن السياسة، فهم إمّا ينكرون أصل الإمامة، أو يحرفون مفهومها أو يفيدون من التحريف الخفى و غير المباشر. و تدلّ دراسة التاريخ الإسلامى على أنّ سلاطين الجور اختدّموا الطرق الثلاثة

بالتناسب، من أجل توجيه الناس و الحؤول دون تحقيق الحكومة الإسلامية. فانتهجوا الطريق الأول في المجتمعات السنيّة، و الثاني أو الثالث في المجتمعات الشيعيّة، و ذلك من أجل تحقيق أهدافهم السياسيّة. إنّ النقطة اللافتة للنظر هي أنّ التحريف غير المباشر لأصل الإمامة قد استأثر كثيرا باهتمام الساسة الذين يحكمون الأقطار الإسلاميّة في القرن المعاصر، بسبب ما يتّصف به من تعقيد و ما يقوم به من دور مضاعف فعّال. و أدّى علماء الدين المزيّفين غير الواعين و عملاء الحكومات دورا مهمّا في هذا المجال. قال مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة في هذا الشأن: «عندما يئس الاستكبار العالميّ من إبادة العلماء و الحوزات الدينيّة اختار اسلوبيّن لإنزال ضربته، الأوّل: اسلوب القوّة و الترهيب، و الآخر: اسلوب الخداع و التغلغل. و لمّا فقد الاسلوب الأوّل بريقه في عصرنا هذا نشط الاسلوب الثاني. و إنّ أوّل خطوة خطاها على هذا الطريق و أهمّها هي المناداة بفصل الدين عن السياسة. و من المؤسف أنّ هذا التوجّه قد فعل فعله في الوسط العلمانيّ إلى حدّ ما، حتّى خيّل أنّ التدخّل في السياسة دون شأن الفقيه، و أنّ ممارسة النشاط السياسيّ يعني العمالة للأجانب. . . و كانت و ما زالت ضربات العلماء غير الواعين و وعّاظ السلاطين أشدّ من ضربات الأعداء أضعافا مضاعفة. و نلاحظ في مستهلّ نهضتنا الإسلاميّة أنّ أحدا إذا قال: الشاه خائن، أجيب على الفور: إنّّه شيعيّ! و كم عانينا من قبل! لقد أشاعوا الفكرة القائلة: إنّ الشاه ظلّ الله. و قالوا: نحن لا نستطيع أن نقاوم المدافع و الدبابات بجسومنا الضعيفة، و نحن غير مكلفين بالجهاد و النضال. و من هو المسؤول عن دماء القتلى؟ و الأنكى من ذلك كلّ أنّهم رفعوا شعارهم المضلّ القائل: إنّ كلّ حكومة قبل

ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام باطلة. وآلاف التقوّلات و التخرّصات. وكانت مشاكل كبيرة مضمّنية لا يمكن مواجهتها بالنصح و النضال السلبيّ و الإعلام، فالحلّ الوحيد هو الجهاد و الإيثار و الدم. . . .» . و على الرغم من أنّ هذه الأفكار المنحرفة و الخطرة قد فقدت شيئاً من بريقها هذا اليوم- بركة الثورة الإسلاميّة و جهود قائدها الكبير و إيثار المجاهدين و دمائهم الزكيّة- بيد أنّها لم تحتثّ تماماً. و الأهمّ من ذلك أنّها تعرض اليوم بقوالب جديدة: «من الطبيعيّ أنّ الحوزات العلميّة ما زالت مشوبة بلونين من التفكير، و علينا أن نكون حذرين من تسرّب فكرة فصل الدين عن السياسة المنبثقة من أدمغة المتحجّرين إلى أذهان طلابنا الشباب. . . . كان المتظاهرون بالقداسة الأغبياء يقولون بالأمس: الدين منفصل عن السياسة، و النضال ضدّ الشاه حرام. و اليوم يقولون: صار مسؤولو النظام شيوعيين. بالأمس كانوا يقولون: إنّ بيع الخمر و الفساد و الفحشاء و الفسق و حكومة الظالمين أشياء مفيدة و ممهّدة لظهور الإمام المهديّ أرواحنا فداء. و اليوم إذا رأوا في زاوية ما خلافاً شرعيّاً لم يردّه المسؤولون قطّ رفعوا عقيرتهم منادين: وإسلاماه! و كان الحجّتيّون بالأمس يحرمون النضال، و في حومة المقارعة بذلوا قصارى جهودهم من أجل إنهاء الإضراب عن نصب مصابيح الزينة في النصف من شعبان لمصلحة الشاه. و أصبحوا اليوم أكثر ثوريّة من الثوريّين أنفسهم. و شوّه المتمسّحون بالولاية سمعة الإسلام و المسلمين بسكوتهم و تحجّرتهم بالأمس، لكنّهم قصموا ظهر النبيّ و أهل بيته الأطهار في أعمالهم، و لم يكن عنوان الولاء لهم إلّا التكبّس و الارتزاق، و جعلوا أنفسهم اليوم بناء الولاية

و وارثيها، متحسرين على ولاية عصر الشاه» (1). و الآن ينبغي أن نتعرف على الجذر الثقافي لهذه الأفكار المنحرفة التي أفضت إلى تحريف أهم الاصول الاجتماعية في الإسلام، و وطدت دعائم حكومة الملوك الجبارة على المسلمين و إدامتها.

جذور التحريف

من المثير للعجب أننا-بعد قليل من التأمل-نصل في جذور تحريف القيادة إلى حيث وصلنا في جذور فصلها! إذ تتصل جذور فصل القيادة بالحديث، و تتصل جذور التحريف به أيضا! و يمكننا أن نقسم الأحاديث التي استغلّت في تحريف القيادة أو هي قابلة للاستغلال نظريًا إلى أربعة أقسام: 1-الأحاديث التي يدلّ ظاهرها على أنّ كلّ نهضة قبل النهضة العالمية للإمام المهديّ صلوات الله عليه باطلة، كالحديث الآتي: روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عزّ و جلّ» (2). 2-الأحاديث التي أشارت إلى علامة أو علامات ظهور القائم عجل الله فرجه، و أكّدت أنّ المسلمين لا يسعهم النهوض ضدّ الظالمين قبل بروز هذه العلامات. نقل سدير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يا سدير، الزم بيتك و كن حلسا من أحلاس، و اسكن ما سكن الليل و النهار،

ص: 158

1-1) صحيفة النور: 21/91-93، نداء الإمام الخمينيّ إلى علماء البلاد بتاريخ 15 رجب 1409 هـ.
2-2) الكافي: 8/295/452، [1]بحار الأنوار: 52/143/58، [2]وسائل الشيعة: 11/37/6، [3]غيبة النعمانيّ: 114/9 و [4]فيه «عن الإمام الباقر عليه السلام» .

فإذا بلغك أنّ السّفياني قد خرج فارحاً إلينا ولو على رجلك» (1). 3- الأحاديث التي تدلّ على أنّ كلّ ثورة لإقامة الحكومة الإسلاميّة قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام لا تثمر شيئاً، وأنّ الثائرين سيّادون من قبل المتجبرين. روى عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام أنّه قال: «و الله لا يخرج واحد منّا قبل خروج القائم عليه السّلام إلّا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوى جناحاه، فأخذه الصبيان فعبثوا به» (2). 4- الأحاديث التي ترى أنّ العمل بالتقيّة ضروريّ حتّى خروج القائم أرواحنا فداه. روى الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السّلام أنّه قال: «لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، إنّ أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقيّة». قيل: يا بن رسول الله، إلى متى؟ قال: «إلى قيام القائم. فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منّا» (3). يفيد مفهوم هذا الحديث- كما يبدو- أنّ على المسلمين في عصر غيبة الإمام المهديّ أرواحنا فداه أن يسالموا كلّ مجرم يمسك بزمام أمورهم ولا يعارضوه! أي: يصل الحديث المذكور إلى نفس النتيجة التي وصلت إليها الأحاديث الموضوعّة في فصل الإمامة تماماً! والفرق الوحيد بينهما أنّ تلك الأحاديث تدعو الناس بصراحة إلى مساومة الظالمين دائماً، وهذه الأحاديث توصيهم بمصانعتهم إلى أجل غير مسمّى

ص: 159

1-1) الكافي: 8/264/383، [1] بحار الأنوار: 52/270/161، و: 303/69، [2] وسائل الشيعة: 11/36/3. و [3] انظر أيضاً 1 و 5 و 7 و 8 و 14 و 16.

2-2) الكافي: 8/264/382، [4] بحار الأنوار: 52/303/68، [5] وسائل الشيعة: 11/36/7. [6]

3-3) وسائل الشيعة: 11/466/25، [7] كمال الدين: 371/5، [8] كفاية الأثر: 270، [9] إعلام الوري: 408، [10] بحار الأنوار: 52/321/29، [11] مشكاة الأنوار: 42، [12] كما في وسائل الشيعة [13] مع قليل من الإضافات.

خلال تذكيرهم بعقم المواجهة، بيد أنّهما يشتركان في شىء واحد، وهو أنّ الناس غير مكلفين بإقامة الحكومة الإسلامية. إنّ الأحاديث الموضوعية في فصل الإمامة عن الإسلام بادية الوضع إلى درجة تستغنى فيها عن كلّ بيان، فالتعرّف وحده على مضمونها-لمن له أدنى معرفة بالقرآن و اصول الإسلام-يكفى لإثبات وضعها. أمّا الأحاديث الموضوعية في تحريف أصل الإمامة فهي غير واضحة وضوح التي قبلها، بل يمكن أن نقول جازمين: بعضها غير موضوع. إنّ دراسة مفصّلة لهذه الأحاديث من حيث صحتها و خطئها، و كذلك توضيح هدفها؟؟ الحقيقي؟؟ بالنظر إلى النصوص الإسلامية، يتطلّبان مجالاً آخر. لكننا نستطيع أن نجيب المحرّفين بنحو مجمل مع التوجّه إلى النقاط الآتية: 1- أنّ أكثر الأحاديث القابلة للاستغلال من أجل التحريف مقدوحة السند، و صدورها عن الأئمة المعصومين عليهم السّلام غير ثابت (1). 2- عندما نضع كثيراً من هذه الأحاديث-بل جميعها-إلى جانب أحاديث أخرى تدور حول الثورات التي تسبق ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام ضدّ الحكومات الجائرة يتبيّن لنا أنّ الهدف ليس تخطئة كافّة الثورات قبل ظهوره، بل تخطئة الثورات التي تنطلق من الهوى فحسب، ككثير من الثورات التي حدثت في عصر الأئمة عليهم السّلام و اخفقت. على سبيل المثال، لو وضعنا الحديث الذي ينصّ على أنّ «كلّ راية ترفع قبل قيام القائم عليه السّلام فصاحبها طاغوت» إلى جانب الأحاديث التي تدعم خروج زيد (2) لعرفنا أنّ المقصود هو نفس ما روى عن الإمام الباقر عليه السّلام في حديث مشابه. قال عليه السّلام:

ص: 160

1-1) انظر دراسات في ولاية الفقيه: 256، 1/205.

2-2) انظر وسائل الشيعة: 1/35/11. [1]

«إنه ليس من أحد يدعو الى أن يخرج الدجال إلا سيجد من يبايعه، و من رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت» (1). يلاحظ في هذا الحديث أن راية الطاغوت وضعت بأنها راية ضلالة وهذه القرينة يمكن أن تستخدم في تفسير الحديث السابق أيضا. وهكذا يتضح لنا أن القصد ليس إلا تحذير الناس من الثورات التي تنطلق من حبّ الجاه والسلطة. 3- هب أن جميع الأحاديث الواردة في عقم الخروج لإقامة الحكومة الإسلامية قبل ظهور الإمام القائم عليه السلام وإدانتها صحيحة السند لا إشكال فيها من حيث الدلالة على هذا الموضوع، بيد أنها لا يمكن أن تكون معيارا للعمل في مسألة إقامة الحكومة الربّانية وهداية الأمة الإسلامية وقيادتها، بسبب تعارض مفهومها ومدلولها مع الحكم البديهيّ القاطع للعقل والقرآن الكريم وسيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأيضا مع الأحاديث التي أيّدت بعض الثورات، و ينبغي أن نقول: إنها صدرت من وحي التقيّة ومراعاة اصول العمل السريّ.

مقارعة الظلم واجب عقليّ

إنّ قبح الظلم وحسن العدل من البديهيّات العقلية التي يرضاها كلّ عقل سليم. وفي ضوء ذلك تصبح مقارعة الظلم والتمهيد لتطبيق العدل في المجتمع من واجبات العقل البديهيّة الثابتة. من هنا لا يمكن النصح بالصبر على الظلم ومساومة الظالمين بأيّ دليل كان. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في سقم الأحاديث التي توحى بشيء يخالف العقل: «إذا سمعتم الحديث عنّي تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنّه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عنّي تنكره قلوبكم وتنفر

ص: 161

منه أشعاركم و أبشاركم و ترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدهم منه» (1). و قال فى حديث آخر: «ما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم و عرفتموه فاقبلوه، و ما اشمازت منه قلوبكم و أنكرتموه فردوه إلى الله و إلى الرسول و إلى العالم من آل محمد» (2). ليس فى هذين الحديثين إلا الإرشاد إلى حكم العقل البديهي القاطع. بعبارة أخرى: حتى لو لم تكن عندنا هذه الأحاديث فإنّ العقل السليم يحكم برفض الأحاديث السقيمة و يوصى بعدم اتّخاذها ملاكا للعمل. إنّ النقطة اللافتة للنظر هى أنّ الحديث الأوّل يؤكّد أنّ الموضوعات التى يدرك العقل بطلانها بجلاء لا- يمكن أن تكون من الكلام النبويّ فى شىء، بيد أنّ الحديث الثانى- مع تحريمه العمل بمثل هذه الأحاديث- يوضّح أنّ السامع يمكن أن لا يدرك القصد الحقيقيّ للحديث فى بعض الحالات، فيخاله سقيما. من هنا، لا يتسنّى لنا أن نقول: كلّ حديث يحسبه الإنسان مخالفا للعقل مرفوض، بل ينبغى الرجوع إلى أهله لفهم المقصود الحقيقيّ منه.

التعارض مع القرآن الكريم

ما من دين اهتمّ بمقارعة الظلم و الظالمين و نادى بالعدالة الاجتماعيّة كالإسلام، و يرى القرآن الكريم أنّ أحد الأهداف المهمّة لرسالة الأنبياء عليهم السّلام هو تطبيق العدالة

ص: 162

1-1) مسند ابن حنبل: 9/154/23667، و: 5/434/16058، [1] تفسير ابن كثير: 3/486، [2] كنز العمال: 1/179/902.
2-2) الكافي: 1/401/1، [3] بصائر الدرجات: 1/21، [4] الخرائج و الجرائح: 1/2/793، مختصر بصائر الدرجات: 106، بحار الأنوار: 2/189/21. [5]

الاجتماعية. قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (1). و لا سبيل لتطبيق العدالة الاجتماعية إلا بمقارعة الظلم والظالمين. من هنا يذكر القرآن الكريم أن أحد أهدافه الاخرى إنذار الظالمين: وَ هَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا (2). و بلغ هذا الكتاب السماوي في مقارعة الظلم مبلغاً أنه حظر كل ركون إلى الظالمين و منع كل عون لهم، و جعل على ذلك عقاباً صارماً: وَ لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ (3). في ضوء ذلك، نلاحظ أن الأحاديث التي تدعو الناس إلى الصبر و السكوت على الظلم و مساومة الظالمين لا يمكن أن تكون ملاكاً للعمل، بسبب تعارضها مع القرآن الكريم. و كان النبي صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومون عليهم السلام يوصون دائماً بعرض الأحاديث على القرآن الكريم لمعرفة صوابها و اعتبارها، و إذا ورد فيها ما يخالفه فلا يقام له وزن. قال رسول الله صلى الله عليه و آله: « ما جاءكم عنى يوافق كتاب الله فأنا قلته، و ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله» (4).

ص: 163

1-1) الحديد:25. [1]

2-2) الأحقاف:12. [2]

3-3) هود:113. [3]

4-4) الكافي:5/69، [4] المحاسن:1/348/727، [5] تفسير العياشى:1/8، [6] وسائل الشيعة:15/18/79، [7] بحار

الأنوار:2/244/49. [8]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف» (1).

التعارض مع سيرة الأئمة

إن أحد المعايير الدقيقة الأخرى التي يمكن الاعتماد عليها في معرفة الأحاديث الموضوعية والمفاهيم الإسلامية المحرّفة هو سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالأئمة المعصومين عليهم السلام. فلو نقل كلام عن النبي أو الإمام أو فسر بنحو يتعارض فيه مع عملهم فإنه مختلق و تفسيره محرّف. وتدلّ دراسة حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام على أنّهم لم يداهنوا الحكومات الباطلة أقلّ مدهانة، بل وقفوا أمامها بكلّ وجودهم. وكانوا يتحسّنون الفرص للانقضاء عليها وإقامة الحكومة الإسلامية لهداية المجتمع البشريّ وإن لم تفلح جهودهم في تحكيم العدالة بسبب الظروف الاجتماعية غير المؤاتية. ومن الشئ العجيب أنّ قسما من هذه الأحاديث التي تأمر الناس بالصبر والسكوت روى عن أمير المؤمنين عليه السلام (2)، في حين يعلم كلّ من كان له أدنى اطلاع على تاريخ هذا الإمام العظيم أنّه لم يأل جهدا في مقارعة القوى الباطلة وإقامة حكومة الحقّ، وهو يدرك جيّدا أنّ جهوده سوف لا تثمر شيئا في تلك الأوضاع القائمة

ص: 164

1 - 1) الكافي: 1/69/4، [1] تفسير العياشي: 1/9/4، [2] المحاسن: 1/347/725، [3] وسائل الشيعة: 18/78/12، [4] بحار الأنوار: 2/242/37. [5]

2- 2) كما جاء في الخطبة 190 من نهج البلاغة: « [6] الزموا الأرض واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيدا، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاّته لسيفه، وإنّ لكلّ شئ مدّة وأجلا» .

يومئذ. روى السيّد ابن طاووس أنّ الإمام عليه السّلام كان مع أصحابه ذات يوم فسمع ضوضاء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هلك معاوية. و من الطبيعيّ أنّ خبراً كهذا لا بدّ أن يحظى بأهميّة فائقة، لأنّ أكبر عدوّ للإسلام و الإمام و الحكومة الإسلاميّة قد هلك، و تكفى إشاعته وحدها أن تسرّ كلّ سامع. بيد أنّ القوم اندهشوا إذ لم يلمحوا أيّ سرور على محيّا إمامهم فقد نطق بهذه الكلمات المرّة بكلّ هدوء: «كلاً، و الذي نفسى بيده لا يموت حتّى يجتمع هذا الأمر فى يده». و كان هذا الكلام الذى أخبر به الإمام عن المستقبل بعد تلك الإشاعة المفرحة كالماء البارد، إذ أحمّد جذوة الأمل التى كانت قد اتّقدت فى قلوب أناس حاربوا إلى جانب إمامهم عدد سنين رجاء النصر، فلم يبق مجال للكلام. و المسألة المهمّة الوحيدة التى كانت تدور فى خلد من سمع كلامه عليه السّلام هى أنّ من يعلم بعقم جهوده فى حرب دمويّة خطيرة و يعرف أنّ النصر سيكون لعدوّه كيف يبذل مساعيه كلّها فى تلك الحرب و يدعو الناس إلى قتال معاوية؟! و مزّق الصمت أحد الحاضرين فسأل الإمام عليه السّلام عن جدوى القتال إذا كان يعلم أنّ النصر سيكون لمعاوية و أنّه سيمسك بزمام الامور و قال: فعلى ما تقاتله؟! و أجابه الإمام عليه السّلام بكلام رائع يعدّ ميثاقاً خالداً لاتباع الإسلام الأصيل. قال عليه السّلام: «ابلى عذرا فيما بينى و بين الله عزّ و جلّ» (1). أى: أنا أعلم أنّ معاوية سيقبض على مقاليد الامور، و لكن هذا لا يدعونى إلى

ص: 165

[1-1] التّشريف بالمتن، المعروف ب «الملاحم و الفتن»: 230. [1]

أن أتصل عن مسؤوليتي في مقارعة الظالمين. كلاً، فما دام الناس يطيعونني، وما دمت قادراً على الجهاد، فإن عليّ قتالهم، لكي اعذر من نفسي أمام الله تعالى إذ أدت ما عليّ. وفي ضوء ذلك، واصل الإمام عليه السلام جهاده في قتال الظالمين حتى الأيام الأخيرة من حياته الحافلة بالجهاد والنضال. قال ابن أبي الحديد: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، وقد كان قام بالنهران، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، فإن الله قد أحسن نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام، فقاموا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، نفذت نبالنا، وكلت سيوفنا، وانصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً. ارجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدتنا. ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا، فإنه أقوى لنا على عدونا. فكان جوابه عليه السلام [آية كريمة تتحدث عن إصرار موسى عليه السلام على قومه أن يحاربوا عدو الحق ويسخروا الأرض المقدسة وهم لم يستجيبوا]: يا قوم أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (1). فتلكأوا عليه وقالوا: إنَّ البرد شديد. فقال: إنَّهم [عدوكم] يجدون البرد كما تجدون. فتلكأوا وأبوا، فقال: أف لكم، إنَّها سنَّة جرت. ثم تلا قوله تعالى [الذي يعبر

ص: 166

عن الجواب السليبي الذي أجاب به قوم موسى عندما دعاهم إلى المسير نحو الأرض المقدسة]: قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (1). فقام منهم ناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، الجراح فاشية في الناس، فارجع إلى الكوفة، فأقم بها أياماً ثم اخرج. خار الله لك، فرجع إلى الكوفة عن غير رضا (2). ومع أن الإمام -بعد رجوعه إلى الكوفة- كان في الأيام الأخيرة من عمره الشريف، وكان يكثر من الإخبار عن استشهاد الوشيك، لكنه كان يصبر إصراراً كبيراً على إعداد المسلمين لقتال معاوية و يقول: قاتلوا معاوية بعدى مع كل إمام! وأخيراً، عبأ جيشه للجهاد من خلال خطبة حماسية مهيّجة، قبل استشهاده بأسبوع تقريباً. ومن الذين عقد لهم الأولوية في تلك التعبئة العامة: ولده الإمام الحسين عليه السلام، وقيس بن سعد، وأبو أيوب الأنصاري، وأمر كلاً منهم على عشرة آلاف، وهكذا عزم عليه السلام على الرجوع إلى صفين، بيد أنه استشهد بسيف الجهل الذي ضربه به ابن ملجم قبل انتهاء ذلك الأسبوع المصيري (3). أجل، لم يبذل أمير المؤمنين عليه السلام جهوده لمقارعة الظالمين والغاصبين لحكومة الحق والعدل فحسب، بل لم يتردد لحظة واحدة في سبيل إقرار الحكومة الإسلامية العالمية. وانتهج الأئمة عليهم السلام سيرته بعده أيضاً. وأفضل دليل معبر عن ذلك هو أنهم استشهدوا جميعهم على أيدي حكام عصورهم (4).

ص: 167

1-1) المائدة: 22. [1]

2-2) شرح نهج البلاغة: 2/192.

3-3) انظر شرح نهج البلاغة: 10/99 فما بعدها.

4-4) انظر بحار الأنوار: 27/207/الباب 9 «... إنهم لا يموتون إلا بالشهادة».

و من البديهيّ أنّهم لو لم يمارسوا نشاطا سياسيًا و لم ينبروا للمستكبرين المتسلّطين فلا داعي لاستشهادهم جميعا. و بالنظر إلى أنّ التظاهر بالإسلام كان من أهمّ الأساليب التي استخدمها حكامّ الجور يومذاك و أنّ قتل أولاد رسول الله صلّى الله عليه و آله كان ينزل أكبر ضربة بسياستهم فلا ريب أنّهم لو لا شعورهم بالخطر على حكوماتهم لما ارتكبوا مثل هذا الخطأ.

التعارض مع أحاديث القيام

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى أنّ إدانة الثورات التي تقوم قبل حكومة الإمام المهديّ عليه السّلام- كما جاء في الأحاديث السابقة- تتعارض مع حكم العقل و تخالف القرآن بوسيرة الأئمّة عليهم السّلام. و نضيف إليه الآن أنّها تتعارض أيضا مع الدلالة الصريحة لقسم آخر من الأحاديث. و يمكن تقسيم هذه الأحاديث إلى ثلاثة أقسام: الأوّل: الأحاديث الواردة في وجوب الثورة على الظالمين عند الإمكان، و عدم الانقياد لمطالبهم غير المشروعة. و فيما يأتي نماذج منها: 1- كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يحدث جماعة من أصحابه عن الحوادث المرّة التي ستقع بعده، و يخبرهم أنّ السلطان سيفترق عن القرآن الكريم في المستقبل. و طلب منهم أن يدوروا مع القرآن حيث دار. و قال: و ستكون عليكم أئمّة إن أطعتموهم أضلّوكم، و إن عصيتموهم قتلوكم! قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال صلّى الله عليه و آله: «كونوا كأصحاب عيسى نصبوا على الخشب و نشروا بالمناشير، موت في

طاعة خير من حياة في معصية» (1). 2- روى أبو عطاء أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أقبل عليهم يوماً وهو محزون يتنّفس، فقال: «كيف أنتم وزمان قد أظلمكم؟ تعطلّ فيه الحدود، ويتخذ المال فيه دولا، ويعادى [فيه] أولياء الله، ويوالى فيه أعداء الله!». قلنا: [يا أمير المؤمنين] فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع؟ قال: «كونوا كأصحاب عيسى عليه السّلام، نشروا بالمناسخ و صلبوا على الخشب. موت في طاعة الله عزّ وجلّ خير من حياة في معصية الله» (2). 3- روى ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «سيكون أمراء تعرفون و تنكرون (3)، فمن نابذهم نجا، و من اعتزلهم سلم، و من خالطهم هلك» (4). 4- قال سدير الصيرفيّ: دخلت على أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السّلام فقلت له: والله ما يسعك القعود! فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك و شيعتك و أنصارك. والله لو كان لأمر المؤمنين عليه السّلام ما لك من الشيعة و الأنصار و الموالي ما طمع فيه تيم و لا عدى.

ص: 169

1- 1) كنز العمال: 1/216/1081، المعجم الكبير: 20/90/172، المعجم الصغير: 1/264، مجمع الزوائد: 5/410/9153.

2- 2) نهج السعادة: 2/639/345. [1]

3- 3) يمكن أن تكون هذه الجملة إشارة إلى ما جاء في أحاديث أخرى: «ستكون عليكم أمراء من بعدى يأمرونكم بما لا تعرفون و يعملون بما تنكرون...» .

4- 4) المعجم الكبير: 11/33/10973، الجامع الصغير: 2/64/4781.

فقال: يا سدير، وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف. قال: مائة ألف؟ قلت: نعم، ومائتي ألف. قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم، ونصف الدنيا! قال: فسكت عني، ثم قال: يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع (1). قلت: نعم. . . ونظر إلى غلام يرعى جداء، فقال: والله يا سدير، لو كان لى شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعنى القعود! وزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة، عطفت على الجداء فعددتها، فإذا هى سبعة عشر (2). 5-روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا اجتمع للإمام عدّة أهل بدر-ثلاث مائة و ثلاثة عشر-وجب عليه القيام والتغيير» (3). الثانى: الأحاديث المؤيّدّة لبعض الثورات فى عصر الأئمّة عليهم السلام، كالأحاديث التى قدّست ثورة زيد بن على بن الحسين عليهم السلام، و ثورة الحسين بن على شهيد فحّ (4)

ص: 170

1-1) منطقة فى اطراف المدينة.

2-2) الكافى: 2/242/4، [1] بحار الأنوار: 47/372/93، [2] المحجّة البيضاء: 4/366.

3-3) بحار الأنوار: 100/49/18، [3] مستدرک الوسائل: 11/78/7، [4] دعائم الإسلام: 1/342 و [5] فيه «للإسلام» بدل «للإمام» و هو تصحيف.

4-4) فحّ-بفتح الفاء و [6] تشديد الخاء-: بئر بين [7] التنعيم و بين مكّة، و بى [8] نه و بين مكّة فرسخ تقريبا. و الحسين هو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على عليهم السلام، و أمّه زينب بنت عبد الله بن الحسن، خرج فى

ودعمتهما. جاء في حديث نقل عن الإمام الصادق عليه السّلام بسند صحيح، أنّه أدان بعض الثورات غير الصحيحة في عصره، و أيد ثورات اخرى كثورة زيد، فقال: «لا- تقولوا: خرج زيد، فإنّ زيدا كان عالما و كان صدوقا، و لم يدعكم إلى نفسه، إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد صلّى الله عليه و آله، و لو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج الى سلطان مجتمع لينقضه» (1). و قال الإمام الرضا عليه السّلام في شخصيّة زيد: «إنّه كان من علماء آل محمّد صلّى الله عليه و آله غضب لله عزّ و جلّ فجاهد أعداءه حتّى قتل في سبيله. و لقد حدّثني أبي موسى بن جعفر عليهما السّلام أنّه سمع أباه جعفر بن محمّد عليهما السّلام يقول: رحم الله عمّي زيدا، إنّّه دعا إلى الرضا من آل محمّد. و لو ظفر لوفى بما دعا إليه» 2. و جاء في خبر آخر أنّ كلاما دار عند الإمام الصادق عليه السّلام حول الثائرين من أهل بيت الرسالة، فقال: «لا أزال أنا و شيعتي بخير ما خرج الخارجيّ من آل محمّد صلّى الله عليه و آله، و لوددت أنّ الخارجيّ من آل محمّد صلّى الله عليه و آله خرج و على نفقة عياله» 3. ثمّة نقطتان مهمّتان نستشفّهما من هذه الأحاديث: 1- المقصود من الأحاديث التي تخطّي الثورات القائمة قبل ظهور قائم آل محمّد عليهم السّلام

ص: 171

1-1) الكافي: 8/264/381، وسائل الشيعة: 11/36/1 [1]، بحار الأنوار: 52/302/67 [2].

هي الثورات التي تنطلق من الهوى. 2- ليس من الضروري لإثبات شرعية الثورة أن يعلم الثائر علم اليقين أنه سيفلح في تشكيل حكومة الحق، بل يكفي لإثباتها كسر هيبة الحكّام الجائرين و أبتهم أو إشغال أذهانهم سياسيًا وعسكريًا للحؤول دون فرض قيادتهم على المجتمع الإسلامي. الثالث: الأحاديث التي أخبرت عن قيام ثورة ناجحة قبل ظهور وليّ العصر أرواحنا فداها، و جعلتها ممهّدة لظهوره، و لعالمية الثورة الإسلامية. ونشير فيما يأتي إلى اثنتين منها: 1- روى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «يخرج ناس من المشرق فيوطّون للمهدى-يعنى سلطانه-» (1). 2- نقل عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «كأنى يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يعطونه، ثمّ يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوه فلا يقبلونه حتّى يقوموا، ولا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إنى لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسى لصاحب هذا الأمر» (2). نقل العلامة النعمانيّ هذا الحديث في كتاب «الغيبة» بسنده عن الإمام الباقر عليه السّلام. وهو أحد علماء القرن الثالث الهجرىّ ومحدّثيه، وقد تعهّد في مقدّمة كتابه المذكور أن ينقل فيه الأحاديث التي يطمئنّ إلى صحّتها، وهو نفسه سمعها من شيوخه الثقات.

ص: 172

1- 1) سنن ابن ماجه: 2/1368/4088، المعجم الأوسط: 1/94/285 وفيه «يخرج قوم من قبل المشرق فيوطّون للمهدى سلطانه»، كنز العمال: 38657 نقلا عن سنن ابن ماجه، مجمع الزوائد: 7/617/12414 نقلا- عن المعجم الأوسط، كشف الغمّة: 3/267، [1]بحار الأنوار: 51/87 و [2]كلاهما كما فى سنن ابن ماجه.

2- 2) غيبة التّعمانى؟؟؟ / [3]50، بحار الأنوار: 52/243/116. [4]

وإذا نظرنا إلى الحوادث التي ترتبط بانتصار الثورة الإسلامية في إيران فإنّ الحديث المأثور عن الإمام الباقر عليه السّلام يعدّ من معجزاته عليه السّلام، و يبدو أنّه قد توسّم الوقائع الآتية: 1- انتفاضة الشعب الإيراني البطل في الخامس من حزيران سنة 1963 م. 2- ثورة الحادى عشر من شباط سنة 1979 م. 3- إعلان النظام الملكى في اللحظات الأخيرة من عمره المملّخ بالعار عن توبته واستسلامه لمطالب الشعب. 4- رفض الشعب كلّ شىء إلاّ القضاء على النظام. 5- انتصار ثورة الشعب الإيراني ضدّ الشاه. 6- تشكيل النظام الجمهورى الإسلامى في إيران. 7- بقاء النظام الجمهورى الإسلامى حتّى الثورة العالميّة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه. 8- عدّ الاشتباكات التي رافقت مسيرة الثورة الإسلاميّة جهادا في سبيل الله، وعدّ قتلها شهداء. 9- تحقّق انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران قريبا من عصر ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام. وفيما يأتي تفصيل النبوءات المذكورة: قال الإمام عليه السّلام في مستهلّ حديثه: أ- «كأنّى يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ»: تمثّل هذه الجملة نبوءة بقيام ثورة إسلاميّة في الشرق مستقبلا، لأنّ الإمام عليه السّلام يخبر بخروج قوم بالمشرق على نظامهم المتسلّط عليهم، و هدفهم هو طلب الحقّ منه.

و من البديهي أن الحق عند الإمام عليه السلام ليس إلا الإسلام. وعلى الرغم من أنه عليه السلام قد ذكر أن مكان الخروج هو الشرق، ولم يذكر «إيران» على وجه التحديد بيد أن القرائن الموجودة في سائر الأحاديث (1) تفيد أن الشرق هو «إيران». ب- «فلا يعطونه»: نلاحظ أن الإمام عليه السلام بعد أن ينبئ بقيام ثورة إسلامية في الشرق يقول: يمتنع حكّام النظام المتسلّط عن إعطاء الحق لهؤلاء القوم الذين خرجوا من أجله. وإذا نظرنا إلى الفقرات التي تلي تلك الفقرة في كلام الإمام عليه السلام فإنّ الفقرة المذكورة تنطبق على انتفاضة الشعب الإيراني المسلم في الخامس من حزيران سنة 1963 م بقيادة الإمام الراحل رضوان الله عليه، ولم يطرح موضوع الإطاحة بالنظام الملكي يومئذ، كما أن الأرضية كانت غير ممهّدة لذلك. وإنّما كان الهدف آنذاك هو إجبار النظام على إقامة الحق بأبعاده المختلفة، وتحكيم الإسلام بمفهومه الحقيقي. وأذكر أن الإمام رحمه الله قال للشاه في أحد خطاباته التي ألقاها في بدء نهضته يومذاك: «أنا لا أقول: دع الحكم، بل أقول: ابق في الحكم، ولكن كن سيّدا ولا تكن عبدا ذليلا- و اعمل بالإسلام» (2). لم يدعن النظام لذلك، ولم يستجب لمطالب الجماهير الثائرة بقيادة الإمام، فولدت انتفاضة الخامس من حزيران عام 1963 م بعد اعتقال القائد. و ارتكب النظام مذبحه رهيبه استطاع من خلالها أن يكّم الأفواه و يخرس الألسن لمُدّة، و لو كانت قصيرة.

ص: 174

-
- 1-1) انظر كتابنا تداوم انقلاب اسلامي ايران (استمرار الثورة الإسلامية في ايران).
2-2) هذه هي سيرة الأنبياء جميعهم، إذ يرشدون مخالفيهم في البداية بأسلوب مرن ناصح. ولذا خاطب تعالى موسى و هارون عليهم السلام أن يدعوا فرعون بنفس الاسلوب فقال: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (طه:44). [1]

ج- «ثمّ يطلبونه فلا يعطونه»: تستعمل «ثمّ» فى اللغة العربيّة للتراخى. يقول الإمام عليه السّلام: «ثمّ يطلبونه» أى إنّ هؤلاء القوم يثورون مرّة اخرى بعد مضى مدّة على ثورتهم الاولى، وفى هذه المرّة لا يستسلم حكام النظام لمطالبهم فى بادئ الأمر. تشير هذه الفقرة إلى ثورة الشعب الإيرانيّ فى 11 شباط، حيث لم يرضخ النظام لمطالب الشعب فى البداية، وعزم على قمع الثائرين كما فعل فى انتفاضة 5 حزيران سنة 1963 م، فأمطر الشعب بوابل من نيران رشاشاته بقسوة و عنف قليل النظير، وقتل عشرات الآلاف و عوّق مثلهم عددا. د- «فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم»: بيد أنّ الشعب قرّر أن يسقط النظام هذه المرّة بقيادة الإمام و يقيم الجمهوريّة الإسلاميّة، مع أنّه كان أعزل و النظام مدجج فى السلاح، إلاّ أنّه عزم على مواجهته برعاية الله تعالى و قيادة الإمام الصلبة. و تشير الفقرة المذكورة إلى هذه المرحلة من مراحل الثورة. ه- «فيعطون ما سألوا»: عندما أحسّ النظام الشاهنشاهيّ بعزم الشعب على إسقاطه و شعر بعجزه عن مواجهته لم ير بدّا من التسليم، و هنا أعلن الشاه عن توبته فى وسائل الإعلام، و وعد بعدم تكرار أخطائه، و استعدّ لتنفيذ ما أراه الشعب من العدالة و الحرّيّة و الإسلام. و تومئ الفقرة السابقة إلى هذه المرحلة من حيرة النظام الملكيّ و استسلامه. و- «فلا يقبلونه حتّى يقوموا»: لا ينخدع الشعب لأنّه يرى الأرضيّة بقيادة الإمام موطّئة تماما لسقوط النظام، فوجّه حربته الحادّة نحوه هذه المرّة، و أنزل ضربته الأخيرة بكيانه الهشّ المتهرّئ و جذوره المتعفّنة الممتدّة إلى ألفين و خمسمائة سنة، و أقام حكومة مبتنية على اسس

إسلامية في 11 شباط سنة 1979 م. ز- «و لا يدعونها إلا إلى صاحبكم»: تشير هذه الفقرة إلى استمرار الثورة الإسلامية حتى ظهور بقية الله عليه السلام وتأسيسه حكومة إسلامية عالمية، لأن الإمام عليه السلام يقول: إن الشعب الذي أسقط النظام وأقام الحكومة الإسلامية لا يسلم أمر حكومته إلا لصاحبكم، وهو بقية الله الأعظم. ح- «قتلهم شهداء»: يتنبأ الإمام عليه السلام في هذه الفقرة من كلامه أن مصادمات هذا الشعب و اشتباكات مع مخالفيه منذ بداية الثورة حتى ظهور إمام العصر و الزمان عليه السلام هي لله و في سبيل الله، من هنا فإن قتله شهداء كشهداء صدر الإسلام. ط- «أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»: تدل هذه الفقرة على أن انتصار الثورة المذكورة يتحقق قريباً من زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام و حكومته العالمية.

الخلاصة

□ لا يقلّ خطر تحريف القيادة على استمرار الثورة الإسلاميّة عن خطر فصل القيادة عن الإسلام.

□ القيادة في الإسلام قابلة للتحريف عبر طريقتين، الأوّل: مباشر وجليّ، وهو نتيجة التفسير الغالط للاعتقاد بالإمامة، والآخر: غير مباشر وخفيّ، وهو نتيجة إلحاق عقائد خاطئة بأصل الإمامة تجعله عقيماً.

□ إنّ أوضح نقطة في فلسفة الاعتقاد بالإمامة هي إقامة الحكومة الإلهيّة ووحدة القيادة السياسيّة والدينيّة، فإذا فسّرت هذه العقيدة بنحو لا يُفضي إلى مثل هذه الغاية فقد مُنيت بالتحريف.

□ لا يعني الاعتقاد بالإمامة معرفة الإمام معرفة ذهنيّة أو مودّته مودّة قلبية فحسب، بل يعني اتّباع القيادة الربانيّة عملياً، ومراعاة التقوى في الحياة، والعمل لتحقيق القيم الإلهيّة في المجتمع وإقامة الحكومة الإسلاميّة.

فتفسير أصل الإمامة بمعرفة الإمام ذهنيّاً ومودّته قلبياً دون اتّباعه عملياً تحريف لهذا الاعتقاد.

□ تدلّ دراسة تاريخ أهل البيت عليهم السلام على أنّ تحريف أصل الإمامة كان موجوداً عند أدعياء التشيع أيضاً. وكان الأئمّة عليهم السلام يشعرون بخطر هذه الكارثة، فبذلوا قصارى جهودهم لمناهضة التحريف الجليّ الذي طرأ على الاعتقاد بالإمامة من خلال التبيين الدقيق لمواصفات المعتقدين الصادقين بأصل الإمامة، ونبذ أدعياء التشيع المفترين.

□ إنّ تحريف «التقيّة» و«الانتظار» و«الدعاء» بنحو غير مباشر ترك بصماته على عقيدة الإمامة أيضاً، وسلب المجتمع الإسلاميّ شعوره بالمسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة

الحكومة الإسلامية العالمية .

▣ فصل القيادة وتحريفها الجليّ والخفيّ طرق ثلاثة مهمة تعرقل تحكيم الإسلام في الحياة، وقد استغلّها الساسة المتسلّطون على المجتمعات الإسلامية طوال التاريخ لمصلحة أهدافهم السياسيّة والحؤول دون إقامة الحكومة الإسلاميّة، متناسباً ذلك مع ظروفهم الزمنيّة.

▣ استُغِلَّ الحديث في تحريف القيادة كما استُغِلَّ في فصلها.

▣ تقسم الأحاديث التي استُغِلَّت في تحريف القيادة إلى أربعة أقسام هي:

- أ - الأحاديث التي أبطلت كلّ ثورة تقوم قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام.
 ب - الأحاديث التي حدّرت المسلمين من الثورة على حكام الجور قبل مشاهدة علامات ظهور الإمام عليه السلام.
 ج - الأحاديث التي نصّت على عقم كلّ نهضة لإقامة الحكومة الإسلاميّة قبل ظهور الإمام عليه السلام.

د - الأحاديث التي أوجبت التقيّة حتّى ظهوره عليه السلام.

▣ الاستدلال بالأحاديث الواردة في سلب المسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة حكومة الإسلام العالميّة بجانب الصواب للأسباب الآتية:

- أ - أكثر هذه الأحاديث غير مقبولة من حيث السند.
 ب - قسم منها يشير إلى انتفاضات حدثت في عصر صدور الحديث ولم يدعمها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ج - لو فرضنا أنّ جميع الأحاديث المذكورة صحيحة سنداً ودلالةً، لما أمكنها أن تكون معياراً للعمل، بخاصّة في موضوع كموضوع القيادة وإقامة الحكومة الربانيّة - وهو من أهمّ الموضوعات الإسلاميّة - بسبب تعارض مدلولها مع حكم العقل والقرآن الكريم وسيرة الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، وكذلك تعارضها مع الأحاديث التي دعمت بعض الثورات قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام. وينبغي أن نقول: إنّها صدرت من وحي التقيّة ومراعاة أصول العمل السريّ.

توسّع كثير من العلماء والباحثين المسلمين في شتى حقول المعرفة الإسلامية في خصائص القيادة، ودرسوا هذا الموضوع مفصّلاً من وجهات نظر متنوّعة، ويمكن تلخيص الخصائص المذكورة في العناوين الأربعة الآتية: أ-الخصائص البدئية: كالبلوغ، والعقل، وسلامة الأعضاء، والصحة. ب-الخصائص الروحية والأخلاقية: كالعدالة، والشجاعة، والإرادة القويّة، والحزم، والكرم، وسعة الصدر. ج-الخصائص الفكرية والعلمية: كالأعلمية، والوعي السياسي، والذكاء الحادّ، وحسن التشخيص وسرعته. د-الخصائص العائلية: كطهارة المولد، وطيب العنصر، وحسن السمعة. وذكرنا في الأقسام المتقدّمة أنّ للإمامة والقيادة موقعا خاصا من منظار الإسلام. من هنا فإنّ من يتولّى شؤون المجتمع الإسلاميّ إماما وقائدا ينبغي أن ينطوى على صفات ذاتية ومكتسبة خاصّة. وهذا ما سنستعرضه في القسم القادم إذ نتوفّر على دراسة أربع عشرة خاصيّة بارزة للقائد وفقا للرؤية الإسلامية.

إنّ من أول شروط القيادة في الإسلام معرفة الإسلام بالمفهوم الدقيق للكلمة، و الاطلاع على اصوله و مبادئه و أحكامه في المجالات الثقافية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و العسكرية المختلفة. القائد يتحمّل مسؤولية توجيه الامة الإسلامية و إرشادها في جميع الميادين. من هنا لا- يكتفى بأن يكون القائد و الإمام عارفاً بالإسلام، بل إنّ أعلميته و تفوّقه في المعرفة أهمّ شرط في إمامته. قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: «... أن يكون أعلم الناس بحلال الله و حرامه و ضروب أحكامه و أمره و نهيّه، و جميع ما يحتاج إليه الناس» (1). بيد أنّ هذه الأعلميّة-في أرفع درجات القيادة، و في مواطن الحاجة-تفاض على الإمام من منبع الفيض الإلهيّ بلا واسطة، فتجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، كما قال الإمام الرضا عليه السّلام: «إنّ العبد إذا اختاره الله عزّ و جلّ لامور عباده شرح صدره لذلك، و أودع قلبه

ص: 181

1-1(بحار الأنوار: 25/165، و: 93/64. [1])

ينابيع الحكمة، وأهمه العلم إلهاماً، فلم يعى بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب» (1). وقال في رواية أخرى: «إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوقّهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتاه غيرهم، فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم» (2). إن معرفة الإسلام في هذا المستوى هي مزية القادة الذين يتصلون بمبدأ الوحي أو الإلهام اتصالاً مباشراً، كالأنبياء وخواص نوابهم، أما في الحقبة التي يحظى فيها الناس بمثل هؤلاء القادة فإن معرفة الإسلام تتحقّق للقائد عبر الاجتهاد.

تعريف الاجتهاد

الاجتهاد لغة هو بذل الوسع لتحقيق شيء لا يتيسّر تحصيله (3). أما الاجتهاد الذي يشترط في القائد الإسلاميّ فهو القدرة على معرفة رأى الإسلام في المسائل الفرعية (4) التي يحتاج إليها المجتمع من خلال البحث في المصادر الإسلامية (5). ولما كان تحصيل الأحكام الإلهية عن هذا الطريق مقروناً بالجهد ومشقة البحث فقد سمى هذا العمل اجتهاداً.

ص: 182

1-1 الكافي: 1/202/1، [1] أمالي الصدوق: 778، [2] عيون أخبار الرضا عليه السلام: 1/221/1، [3] غيبة النعماني: 223، [4] تحف العقول: 441.

2-2 عيون أخبار الرضا عليه السلام: 1/221/1، [5] غيبة النعماني: 222. [6]

3-3 اجتهد في الأمر: جدّ وبذل وسعه. (المنجد). الاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة. (المفردات للراغب الإصفهاني)

4-4 هذا القيد من أجل إخراج المسائل الاعتقادية.

5-5 تحصيل الحجّة على الأحكام الشرعية الفرعية عن ملكة واستعداد (اصطلاحات الاصول: 16). [7]

النقطة المهمة الجديرة بالانتباه هي أنّ معرفة الموضوع أحد العناصر الحاسمة في الاجتهاد. و من هنا يمكن أن يكون الفقيه أهلا للتقليد في المسائل الفردية، لكنّه لا يمتلك كفاءة قيادية بسبب عدم اجتهاده في المسائل السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة. فالمجتهد الجامع هو الذى يقدر على أن يبدي رأيه في جميع المسائل التي يحتاج إليها الناس، مع الأخذ بعين الاعتبار عنصرى الزمان والمكان. قال الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في هذا المجال: «أنا أو من بالفقه التقليدي و الاجتهاد الجواهرى (1)، و لا- اجيز خرق ذلك. و الاجتهاد على هذا النهج صحيح، بيد أنّ هذا لا يعنى جمود الفقه الإسلامى، فالزمان و المكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. و المسألة التي كان لها حكم في الماضى ظاهرا ربّما يكون لها حكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة لنظام من الأنظمة. أى: إنّ المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة تجعل الموضوع الأول-الذى لم يختلف عمّا كان عليه في الماضى من حيث الظاهر-موضوعا جديدا يتطلّب حكما جديدا لا محالة. . . إنّ التعرّف على اسلوب مواجهة مكائد الثقافة السائدة في العالم، و التحلّى بالبصيرة و الرؤية الاقتصاديّة، و الاطلاع على كميّة التعامل مع الاقتصاد العالمى، و معرفة ضروب السياسة و السياسيّين و معادلاتهم المفروضة، و إدراك الموقع الذى يحتلّه النظام الرأسمالىّ و الشيوعىّ في العالم، و التعرّف على نقاط قوتهم و ضعفهم إذ هما اللذان يحدّدان استراتيجيّة التسلّط على العالم، كلّ ذلك من مزايا المجتهد الجامع» (2).

ص: 183

1 - 1) نسبة إلى الموسوعة الفقهيّة العظيمة «جواهر الكلام» و هى للمرحوم الشيخ محمّد حسن النجفى. و يريد الإمام رحمه الله هنا الاجتهاد على منهج صاحب الجواهر. (المترجم).

2 - 2) صحيفة النور: 21:98، نداء الإمام إلى علماء البلاد و مراجع المسلمين بتاريخ؟؟؟؟ 1409 هـ.

الخلاصة

☐ تتلخّص شروط القيادة في الإسلام في أربعة عناوين:

أ - خصائص بدنية. ب - خصائص أخلاقية. ج - خصائص فكرية.
د - خصائص عائلية.

ويتناول القسم الرابع من هذا الكتاب أربعة عشر شرطاً من أبرز شروط القائد في الرؤية الإسلامية.

☐ أوّل شرط من شروط القيادة: معرفة الإسلام. القائد مسؤول عن هداية الأمة الإسلامية في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. من هنا ينبغي أن لا يكون عارفاً برأي الإسلام في هذه المجالات فحسب، بل أن يفوق أهل زمانه في معرفة الإسلام.

☐ في أرفع درجات القيادة يُفاض العلم الذي يحتاج إليه القائد من الله مباشرة، وفي درجاتها التالية يتحقّق ذلك عبر الاجتهاد.

☐ الاجتهاد لغةً هو بذل الوسع لإنجاز عملٍ لا يتيسّر تحصيله. واصطلاحاً هو القدرة على معرفة أحكام الإسلام عن طريق البحث في المصادر الإسلامية.

☐ معرفة الموضوع من العناصر الحاسمة في الاجتهاد، ولعنصري الزمان والمكان موقع خاص في هذا الميدان.

العدل هو رعاية الموضوع الحقيقيّ للامور. والعدل هو الذى يراعى الحدود الواقعيّة لأعماله. قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «العدل يضع الأمور مواضعها» (1). العدل إذاً. أساس القانون فى نظام الخليقة. القانون الذى لولاه لانهار النظام المذكور وفقد تماسكه. قال أمير المؤمنين عليه السلام فى تفسير آخر للعدالة: «العدل أساس به قوام العالم» (2). فى هذا المضممار طرحت النصوص الدينيّة عناوين: العدل العقيدىّ، و العدل الفردىّ، و العدل الاجتماعىّ، فى مقابل الظلم العقيدىّ، و الظلم الفردىّ، و الظلم الاجتماعىّ. . . وذلك من خلال المواقف التى يتّخذها الإنسان حيال العقائد،

ص: 185

1-1) نهج البلاغة: الحكمة 437، [1] روضة الواعظين: 511، [2] بحار الأنوار: 75/350/59، و: 357/72. [3]

2-2) مطالب السؤول: 61، [4] بحار الأنوار: 78/83/87. [5]

و الأخلاق، و الأعمال فى موضعها الحقيقى (1). العدل العقيدى اسّ العدالة الاجتماعية. و من كانت عقائده غير صحيحة فلا يمكن أن تكون أخلاقه و أعماله صحيحة، و لا يتسنى له أن يطبق العدالة فى المجتمع. من هنا نرى أن العدالة بمفهومها المطلق شرط من شروط القيادة فى الإسلام.

درجات العدالة

إشارة

للعدالة درجات، أولها العدل العقيدى، و أرفعها العدل العرفانى.

1- العدل العقيدى

من نبذ الظنون الوهمية عن نفسه و أصلح عقائده فهو عادل من الوجهة العقيدية. أى: إنه راعى مواضع الامور فى العقيدة. و كلما ازداد انسجام عقائد الإنسان مع الواقع نال من هذه العدالة درجات أرفع.

2- العدل الفقهى

إذا تبلور العدل العقيدى فى عمل الإنسان ارتقى إلى العدل الفقهى، و يستحق المرء أدنى درجات الإمامة و القيادة من منظار الإسلام، و هى إمامة المصلين. قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى هذه الدرجة من العدالة: «من عامل الناس فلم يظلمهم، و حدّثهم فلم يكذبهم، و وعدهم فلم يخلفهم، كان ممن حرمت غيبته و كملت مروته و ظهر عدله» (2). و سئل الإمام الصادق عليه السلام عن صفات العادل، فقال: «إذا غصّ طرفه من المحارم، و لسانه عن المآثم، و كفّه عن المظالم» (3).

ص: 186

1-1) انظر كتابنا مبانى شناخت (اسس المعرفة): 316 و 324.

2-2) الكافى: 2/239/28، [1] عيون أخبار الرضا عليه السلام: 2/30/34، [2] بحار الأنوار: 70/1/1. [3]

3-3) تحف العقول: 365، بحار الأنوار: 78/248/79. [4]

3- العدل الأخلاقي

إذا أصبح العدل العقيدى والفقهى ملكة عند المرء وكان استمرارها باعثا على تطبع أخلاقه بهما فإنه يرتقى إلى العدل الأخلاقي في مسار التكامل، ويصير كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما كرهته لنفسك فاكره لغيرك، وما أحببته لنفسك فاحبه لأخيك، تكن عادلا في حكمك، مقسطا في عدلك، محبا في أهل السماء، مودودا في صدور أهل الأرض» (1).

4- العدل العرفاني

في ذروة العدل العقيدى والفقهى والأخلاقي يبلغ الإنسان درجة العدل العرفاني التي هي أرفع الدرجات. وجاءت في نهج البلاغة إشارة إلى هذه الدرجة. قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «عباد الله، إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه على نفسه. . . قد أبصر طريقه، و سلك سبيله، و عرف مناره، و قطع غماره. . . فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس. . . فهو من معادن دينه، و أوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفى الهوى عن نفسه، يصف الحق يعمل به. . .» (2). للعدل العرفاني كمال أيضا يدعى مقام العصمة. والمعصوم هو من بلغ في المعرفة و اليقين مبلغا تتحرك فيه عقيدته و أخلاقه و أعماله في حدود العدالة على نحو دقيق، و يصاب من كل ظلم و إثم.

ص: 187

[1-1] تحف العقول: 14، بحار الأنوار: 77/6/6. [1]

[2-2] نهج البلاغة: الخطبة 87. [2]

إنّ نظرة عميقة للقرآن الكريم و الأحاديث تبين لنا أنّ العصمة-من منظار الإسلام-هي أسمى درجات العدالة، و شرط لأرفع درجات قيادة الامة. و سيأتى توضيح هذا الموضوع فى الفصل الثانى من القسم الخامس، و سنثبت هناك أنّ نفى مطلق الظلم عن القيادة لا يتيسر إلا إذا كان القائد معصوما. و النقطة الجديرة بالاهتمام هنا هي أنّ العدالة فى أرفع درجاتها-بعد العصمة التى كانت لأنبياء الله و أوصيائهم، و خاصّة فى عصر غيبة الإمام المعصوم كما فى عصرنا الحاضر-إنّما هي شرط للولاية و لقيادة المجتمع الإسلامى. بعبارة اخرى: مع أنّ العصمة فى القيادة ليست ضرورية لغير الأنبياء و أوصيائهم الخاصين بيد أنّ مطلق العدالة لا يكفى أيضا، لأنّ العدالة التى تعدّ شرطا لإمامة المجتمع و قيادته هي غير العدالة التى تمثّل شرطا لإمامة الجماعة فى الصلاة أو لقبول الشهادة فى المحاكم، بل إنّ القائد غير المعصوم ينبغى أن يتحلّى بأرفع درجات العدالة الأخلاقية بعد المعصوم. و نحصل على هذه الرؤية من الإطلاق فى كلام الإمام الرضا عليه السلام عن سيماء قيادة المجتمع الإسلامى. قال صلوات الله عليه: «للإمام علامات: أن يكون أعلم الناس، و أحكم الناس، و أتقى الناس. . .» (1). من فاق أهل زمانه جميعهم فى تقواه فهو متّصف بأرفع درجات العدالة بعد الإمام المعصوم. و إذا أحرز الشروط الاخرى للقيادة أيضا فهو قمين (2) بحمل أمانة الإمامة و القيادة من منظار الإسلام.

ص: 188

1 - 1) من لا- يحضره الفقيه: 4/418/5914، عيون أخبار الرضا عليه السلام 1/213/1، [1] الاحتجاج: 2/448/311، [2] الخصال: 527/1، معانى الأخبار: 102/4، بحار الأنوار: 25/116/1. [3]

2-2) القمين: الجدير.

نصّت أحاديث كثيرة على أنّ العصمة شرط للإمام. نكتفى بذكر مثال واحد فيما يأتي: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في علامات من يصلح للإمامة والقيادة: «منها أن يعلم أنّه معصوم من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها، لا يزلّ في الفتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا» (1).

ملاحظات تستحق الاهتمام

من الضروريّ الانتباه إلى عدد من الملاحظات الآتية: 1- لا نريد هنا أن ندرس الأدلّة على وجوب عصمة الأنبياء والقادة الربّانيين بصورة وافية، لنجيب عن الإشكالات المثارة في هذا المجال، إذ تحتاج مثل هذه الدراسة إلى كتاب مستقلّ. 2- مقام العصمة شرط لأرفع درجات القيادة الربّانية كقيادة الأنبياء وأوصيائهم، أمّا إذا تعدّر وجود القادة المعصومين لأيّ سبب كان فعدالة القيادة كافية. 3- إنّ إثبات ضرورة العصمة للقيادة يحتاج إلى استدلال وإقامة برهان، بسبب اختلاف الاستنباطات من النصوص الإسلاميّة، والآراء والعقائد المتباينة الموجودة في المذاهب الإسلاميّة. بيد أنّ ضرورة العدالة على درجة من الوضوح تستغني به عن إقامة البرهان، وهي الغاية من حكومة الأنبياء أساساً. قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

ص: 189

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (1). و من لا يجد في نفسه ملكة العدالة كيف يتسنّى له أن يطبق العدالة في المجتمع؟ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه؟!» (2). إنّ السبب الأصليّ وراء إخفاق الحكومات الشيوعيّة في تطبيق العدالة الاجتماعيّة و من ثمّ انهيار مهد الشيوعيّة نفسها هو حساباتها أنّها تستطيع تطبيق العدالة الاجتماعيّة بلا عدالة عقديّة و أخلاقيّة. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عجبت لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره» (3). و فاقد الشيء لا يعطيه. و لا يمكن تطبيق العدالة الاجتماعيّة بالشعار وحده. و لا سبيل إلى استبدال العمل بالشعار إلاّ رسوخ ملكة العدالة في نفوس الأشخاص المؤثّرين في المجتمع. من هنا إذا لم تتحلّ القيادة و العناصر الأصليّة في الحكومة بملكة العدالة من خلال صياغة أنفسهم فإنّ انتظار العدالة الاجتماعيّة ليس إلاّ حلماً. و إنّ من يظلم نفسه التي هي أعزّ شيء عنده فهو لغيره أظلم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من ظلم نفسه كان لغيره أظلم» (4).

ص: 190

1-1 (الحديد:25). [1]

2-2 (غور الحكم:6996، [2]ميزان الحكمة:11199. [3]

3-3 (غور الحكم:6269. [4]

4-4 (غور الحكم:8606، [5] ميزان الحكمة:11200.

الخلاصة

- ☐ العدل رعاية الموضوع الحقيقي للأمر، وقانون نظام الخليفة، ويقابله الظلم الذي يعدّ خرقاً لهذا القانون.
- ☐ للعدل درجات هي: ١- العدل العقيدي. ٢- العدل الفقهي. ٣- العدل الأخلاقي. ٤- العدل العرفاني.
- ☐ العدل العقيدي هو رعاية موضع الأمر في العقيدة. وكلّما ازداد انسجام عقائد الإنسان مع الواقع، نال من هذا العدل درجات أرفع.
- ☐ العدل الفقهي هو التبلور العملي للعدل العقيدي ورعاية موضع الأمور في العمل.
- ☐ العدل الأخلاقي هو التجسيد الأخلاقي للعدل العقيدي الذي يتحقّق نتيجة استمرار العدل العملي.
- ☐ العدل العرفاني أرفع درجات العدل. ويطلق عنوان «العصمة» على أتمّ درجات العدل العرفاني.
- ☐ المعصوم هو الذي بلغ في المعرفة واليقين درجةً، من بلغها يتحرّك في حدود العدالة، في عقيدته وأخلاقه وأعماله، ويُصان من مطلق الظلم.
- ☐ أرفع درجات العدالة-بعد العصمة- شرط للقيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم.

إنَّ أحدَ الشروطِ الأساسيّةِ الأخرى للقيادة هي القدرة الإداريّة. و الفقيه العادل الجامع الشرائط الإفتاء مؤهّل لخلافة النبوة في قسم من الأحكام، ويمكن أن يكون مرجعا للتقليد. أمّا إذا كان مؤهّلا للإمامة والقيادة فلا بدّ أن يمتلك قدرة إداريّة مضافا إلى اجتهاده. وقد اهتمَّ أئمة الإسلام الكبار بهذا المبدأ المهمّ. ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام في إحدى خطبه أنّ القدرة الإداريّة أوّل شرط من شروط القيادة. قال صلوات الله عليه: «أيّها الناس، إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، و أعلمهم بأمر الله فيه» (1). وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله في من لا يمتلك قابليّة إداريّة ويمسك بزمام الحكومة: «الإمام الضعيف ملعون» (2). ويرى مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه أنّ إحدى

ص: 193

1-1) نهج البلاغة: الخطبة 173. [1]

2-2) مسند الفردوس: 1/121/410، الجامع الصغير: 1/476/3078، كنز العمّال: 14665.

صفات المجتهد الجامع لشرائط القيادة هي أن يكون مديرا ومدبّرا. قال رحمه الله: «ينبغي للمجتهد أن يتحلّى بالفطنة والذكاء والفراسة في هداية المجتمع الإسلاميّ الكبير، بل غير الإسلاميّ أيضا. كما ينبغي أن يكون مديرا ومدبّرا مضافا إلى خلوص التقوى والزهد الذي هو شأن المجتهد» (1). وانتقد الاستاذ الشهيد مطهري رضوان الله تعالى عليه في كتاباته حول «الإمامة والقيادة» فهم الناس الغالط للمرجعية والقيادة في فترة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية، فقال: «أما الموضوع الذي يمثل مهزلة ويعبر عن جهل الناس فهو أنّ كلّ من درس الفقه والاصول مدّة وحصل على معلومات محدودة فيهما وأصدر رسالة عمليّة بادر أتباعه إلى تسميته بالقائد الكبير لمذهب التشيع. من هنا يعدّ وضع «المرجع» مكان «القائد» من أهمّ مشاكل الوسط الشيعيّ. . . لقد جمّدوا الطاقات الشيعية عند هذه النقطة، إذ يحسب مجتمعنا أنّ المرجع-الذي يعتبر الحدّ الأعلى لصلاحه كفاءته في إبلاغ الفقه-قائد، في حين أنّ إبلاغ الفتوى خلافة لمقام النبوة والرسالة (في قسم من الأحكام). أمّا القيادة فإنّها خلافة لمقام الإمامة، وتضطلع بإبلاغ الفتوى وزعامة المسلمين على حدّ سواء» (2).

الفصل بين القيادة والمرجعية

لقد زالت نقطة الجمود التي كان الاستاذ الشهيد قد أشار إليها قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بسنين، وذلك ببركة الثورة الإسلامية وتوجيه الإمام الراحل.

ص: 194

1-1) صحيفة النور: 21/98.

2-2) امامت و رهبري (الإمامة والقيادة): 228 و 229.

و تحقّق الأمر المذكور في مشروع إصلاح الدستور. وفيما يأتي قسم من رسالة الإمام رحمة الله إلى رئيس مجلس الخبراء المسؤول عن تعيين القائد، ورئيس لجنة إعادة النظر في الدستور: «كنت أعتقد منذ البداية وأصرّ على أنّ المرجعية ليست شرطا للقائد. إذ يكفي أن يكون مجتهدا عادلا يحظى بثقة مجلس الخبراء. وإذا صوت الشعب على الخبراء من أجل أن يعينوا مجتهدا عادلا لقيادة حكومته وقاموا بذلك فإنّ الشعب يرضى به لا محالة، وهو حينئذ وليّ الشعب المنتخب، و حكمه نافذ» (1). من البديهي أنّ فصل القيادة عن المرجعية يتحقّق عندما يتعدّد اجتماعهما، وإلا فإنّ كمال القيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم خلافة الإمام في إبلاغ الفتوى وزعامة المجتمع الإسلاميّ.

الإدارة فطرية أم اكتسابية؟

هل الإدارة علم يمكن للجميع أن يتعلّموه كالقراءة والكتابة؟ أم هي شيء ذاتيّ كحبّ الأولاد الذي يتّصف به كافّة الناس؟ أم هي شعور كقريحة الشعر التي يتمتّع بها بعض الناس؟ بعبارة أخرى: هل هي مكتسبة، أو فطرية عامّة، أو فطرية خاصّة؟ والجواب هي أنّها كالطبع الشعريّ الذي يمتلكه البعض ويفتقده البعض الآخر. ومن كان فاقدا لهذا الطبع فإنّه ربّما استطاع تعلّم نظم الشعر، بيد أنّه لا يكون شاعرا. فالتعليم والتجربة في نظم الشعر لا ينفعان إلّا من كان له ذوق وفطرة شاعريّة. وهكذا الإدارة، لذلك قيل: «الإدارة ممتزجة بدم الإنسان» و هذا الكلام تعبير

ص: 195

1-1) صحيفة النور: 21/129، رسالة جوابية إلى آية الله المشكيني حول ملحق الدستور، بتاريخ 22 رمضان سنة 1409 هـ.

آخر عن فطرية الوعي الإداري والقيادي عند بعض الناس. و من كان فاقدا للفطرة الإدارية فلا يتسنى له أن يتعلمه في أي مدرسة كانت. إنه يمكن أن يكون عالما وفيلسوبا مقتدرا، لكنه-بلا ريب-لن يصير مديرا وقائدا مقتدرا. إنه ليتعلم علم الإدارة، إلا أنه لن يظفر ب«فن» الإدارة.

دور التعليم و التجربة في الإدارة

إن تفتح الفطرة الإدارية يحتاج إلى عاملين، هما: التعليم، و التجربة. و لا فرق بين القائد الرباني و غير الرباني في هذا المجال. حتى أننا نجد أن الأنبياء يتعلمون و يتمرسون بهداية ربانية، كما يستشف من بعض الأحاديث. و قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما بعث الله نبيا قط حتى يسترعيه الغنم، يعلمه بذلك رعية الناس» (1). و قال الاستاذ الشهيد مطهري رضوان الله عليه في الحكمة من عمل الأنبياء في الرعي قبل بعثتهم: «يرى البعض أن السبب الذي يقف وراء عمل الأنبياء جميعهم أو جلهم في الرعي هو من أجل أن يتمرسوا على القيادة ميدانيا، و لا يؤيسهم الفارق الفكري بينهم و بين الامة من القيادة. بيد أن من الطبيعي أن كل قيادة فطرية غير معصومة تحتاج إلى تجربة و تعلم و اكتساب. و إذا كان الأنبياء يتمرسون على الرعي فكيف بالآخرين؟!» (2). إذا أنعمنا النظر في الرواية المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام في الحكمة من عمل

ص: 196

1-1) علل الشرائع: 32/2، [1] قصص الأنبياء: 278/366، [2] بحار الأنوار: 11/65/7. [3]

2-2) امامت و رهبرى (الإمامة و القيادة): 228.

الأنبياء فى الرعى قبل البعثة فستستبين لنا نقاط رائعة فى مجال تعليم القيادة و تجربتها، و كيفية تنمية موهبة الإمامة. فالرعى يعلم طالب الفرع الإدارى دروسا متعددة و متنوعة: «أليس الرعى نفسه قيادة؟ فالرعى يصون القطيع من الأخطار، و يطرد الذئاب عنه، و يقتاده نحو المراعى الممرعة، و يوصله إلى عين الماء. يضاف إلى ذلك أن الرعى هو الإنسان الوحيد الذى وقف حياته على حياة القطيع، فقد انقطع عن مدينته و دياره و أسرته و قرابته و جاء إلى الصحراء، و ربط مصيره بمصير قطيعه، و حرم نفسه من مواهب الحياة جميعها. و يمضى وقته فى البيداء من أجل القطيع، و بكلمة واحدة: يفدى نفسه للقطيع. و يتعلم الرعى درسا مؤلما آخر أيضا، و هو الدرس الذى إن لم نقل إنه يستحيل على الآخرين فهو صعب عسير فى الأقل. لم يجب أن نتحمل رى بستان تنمو فيه أزهار من ورق لا خير منها؟ و لماذا يضحى بنفسه من أجل طائفة لا تفهم شيئا، و لا تعرفه، و لا تدرك تضحيته؟ و لماذا يفكر بمن لا يفكر إلا ببطنه و سمنته؟ و لماذا يهب حياته و سعادته من لا تهتم إلا بحياته هو و سعادته الخاصة؟! إنها أسمى درجات القيادة حقا. من هنا، كان الأنبياء جميعهم رعاة. تعلموا المعاناة فى الرعى و تمرّنوا عليها من أجل قوم كالأغنام التى طأطأت خطمها فى الأرض لا تعرف إلا السوام. إن مجرد الالتقاء بالحمقى يجلب الهم و يأخذ بالخناق، فكيف بالاختلاط بهم و الاشتراك معهم فى الحياة المعنوية و الاجتماعية و العمل؟ و أى عمل؟ إنه العمل الفكرى و السياسى، بخاصة «النضال السياسى» فى مثل تلك البيئة و مع أولئك الأشخاص! . . .

الدرس الآخر هو فنّ «العيش منفرداً» وعلى حدّ تعبير كاتب روسيّ: «فنّ الحياة مع الذات» و يعلم الرعى الاستقلال، والاستغناء، وعدم الركون إلى الانس، والتسلية، وضروب اللهو، والمجاملة، والتعويل على الآخرين، والتغنّج (1)، والمدح، والاختلاط بالآخرين و مساعدتهم. . . . إنّه يعلم درس الوحدة، والحياة مع الذات، والاستغناء المطلق (2). أجل، التعليم والتجربة عاملان جوهريان لتنضيج فطرة الإمامة والقيادة، وحاجة القائد إليهما ثابتة لامراء فيها، سواء كان باتجاه إمامة النور أم باتجاه إمامة النار. ويستطيع كلّ إنسان أن يدرك هذه الحاجة بنظرة يسيرة يلقبها على العاملين المذكورين. والنقطة البالغة الأهميّة في فهم العوامل المساعدة على تنضيج الفطرة الإداريّة هي معرفة عامل ثالث أشار إليه القرآن الكريم، بيد أنّه مجهول في علم الإدارة المعاصر. وهذا العامل هو شرح الصدر (أو سعة الصدر).

دور شرح الصدر في الإدارة

لم يؤدّ شرح الصدر -إلى جانب التعليم والتجربة- دوراً بارزاً في تنضيج الحسّ الإداريّ فحسب، بل يحدّد اتجاه القيادة و مسارها أيضاً. أي: يأخذ بيد القائد نحو إمامة النور وتكامل الإنسانيّة وحركيّتها، أو يسوقه صوب إمامة النار وانحطاط البشريّة. وقد تناولنا هذا البحث مفصّلاً في كتاب لنا بعنوان: «الأخلاق الإداريّة في الإسلام»، و نكتفى هنا بالإشارة إليه.

ص: 198

1-1) التغنّج: الدلال.

2-2) إسلام شناسي (معرفة الإسلام): 463 و 464.

شرح الصدر هو القابلية الفكرية والروحية (1). و من منظار القرآن الكريم، عند ما تتسع قابلية الإنسان الروحية لقبول الحق، فإنه يحظى بالنورانية والوعي، وفي ظلّهما تصحّح حركته باتجاه تكامله و تكامل مجتمعه. قال تعالى: أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ؟ (2) إن ما يبعث على ظهور هذه النورانية وينصّج القابلية القيادية في الإنسان و يجعل الوعي القيادي في مسار إمامة النور و تكامل الإنسان و الإنسانية هو الإيمان و التقوى. قال جلّ شأنه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ (3). وفي ظلّ هذا النور يتسنى للإنسان أن يعرف طريق الحياة الصحيح و يواجه مستجداتها و حوادثها و شتى القضايا السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية كما ينبغي. و الحصول على هذا النور ضروري للجميع إلا أنه يعدّ شرطاً للقيادة الربانية، و بدونها يتعدّر أمر القيادة. و لعلّ هذا هو السبب الذي دفع الأنبياء أن يدعوا الله تعالى يوم عرفة- و هو يوم استجابة الدعاء- بشرح الصدر و نور البصيرة. روى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أكثر دعائي و دعاء الأنبياء قبلي بعرفة. . . اللهم اجعل في قلبي نورا، و في سمعي نورا، و في بصري نورا، اللهم اشرح لي صدري، و يسّر لي أمري» (4).

ص: 199

1-1) انظر أخلاق مديريت در اسلام: 28.

2-2) الزمر: 22. [1]

3-3) الحديد: 28. [2]

4-4) المصنّف لابن أبي شيبة: 7/107/1، الدرّ المنثور: 1/548. [3]

أشرنا إلى أنّ شرح الصدر قد يوجّه المدير نحو القيادة الربّانيّة و تكامل الإنسان، وقد يسوقه شطر القيادة الشيطانيّة و انحطاط الإنسان. فهو إسلاميّ بالمفهوم الأوّل، و كفريّ بالمفهوم الثاني. شرح الصدر بالإسلام ينشّط الوعي السياسيّ الإسلاميّ للمدير، و شرح الصدر بالكفر ينشّط الوعي السياسيّ الشيطانيّ. و ستلاحظون توضيح هذا الموضوع في الفصل الرابع «الوعي السياسيّ».

الخلاصة

- ▣ الإدارة أحد الشرائط الأساسية للقائد. ولا يكون الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء مؤهلاً للقيادة إلا إذا كان ذا قدرة إدارية.
- ▣ المرجعية خلافة لمقام النبوة في إبلاغ الفتوى ، والقيادة خلافة لمقام الإمامة في إبلاغ الفتوى وزعامة المجتمع الإسلامي.
- ▣ إذا لم يتيسر اجتماع المرجعية الفقهية والقيادة السياسية - لأي سبب كان - فإن المرجعية تنفصل عن القيادة.
- ▣ الحس الإداري فطري كالقريحة الشعرية. ومن فقد فطرياً فلن يكون مديراً كفوئاً أبداً.
- ▣ تفتح الفطرة الإدارية يحتاج إلى عاملين ، هما: التعليم ، والتجربة.
- ▣ وتفيد بعض الروايات أن الأنبياء كانوا يتعلمون فن الإدارة ويتمرسون عليه بهداية ربانية.
- ▣ أشار القرآن الكريم إلى عنصر ثالث في تفتح الفطرة الإدارية ، وهو مجهول في علم الإدارة المعاصر. وهذا العنصر هو شرح الصدر.
- ▣ شرح الصدر يعني القابلية الفكرية والروحية ، ويؤدي دوره في تنضيج الحس الإداري إلى جانب التعليم والتجربة ، كما يحدد اتجاه القيادة ومسارها صوب تكامل المجتمع أو انحطاطه.
- ▣ شرح الصدر بالإسلام: هو اتساع قابلية الإنسان لقبول الحق. وشرح الصدر

بالكفر: هو اتّساعها لقبول الباطل .

☐ ينشّط شرحُ الصدر بالإسلام الوعي السياسي الإسلامي للمدير . وشرح الصدر بالكفر ينشّط الوعي السياسي الشيطاني .

هو شرط آخر من شروط القيادة، وقد ورد التأكيد عليه في الروايات. قال الإمام الرضا عليه السلام: «مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة» (1). ومن أهم مواصفات القائد: الفهم الدقيق للمسائل، وحسن التشخيص، وسرعة الإدراك، ودقة النظر في جميع الأمور التي تحتاج إلى تدبير وسياسة. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يحتاج الإمام إلى قلب عقول، ولسان قؤول، وجنان على إقامة الحق صؤول» (2). وعرض عليه السلام ملاحظات رائعة حول دور الوعي السياسي في القيادة والرئاسة، حتى أنه يرى أن الحكومة هي عين السياسة. قال عليه السلام: «حسن السياسة قوام الرعيّة» (3).

ص: 203

[1-1] الكافي: 1/202/1. [1]

[2-2] غرر الحكم: 11010. [2]

[3-3] غرر الحكم: 4818. [3]

«من حسنت سياسته دامت رياسته» (1). «الملك سياسة» (2). من هذا المنطلق يمكننا أن نقيس قدرة القائد أو ضعفه بميزان وعيه السياسي. فضعف الوعي السياسي آفة القيادة، وتؤدي هذه الآفة إلى تدمير أساس الحكومة. قال عليه السلام: «آفة الزعماء ضعف السياسة» (3). «من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة» (4). «سوء التدبير سبب التدمير» (5). ولا فرق بين الإسلام وغيره من المناهج الأخرى في اشتراط الوعي السياسي للقائد، بيد أن ما يميّزه عنها في هذا المجال هو مفهوم السياسة، لا اشتراطها في القائد، فللسياسة في الإسلام مفهوم يختلف عن المفهوم الذي ذكره الساسة العلمانيون في تفسير السياسة.

السياسة في قاموس الساسة التقليديين

هي عبارة عن «تحديد الهدف و الحصول عليه بأي وسيلة كانت». قال شينكلر: «السياسي الفطري لا يهتم حق الأشياء أو باطلها، ولا يرى منطق الحوادث و الوقائع و منطق الأنظمة شيئاً واحداً. . .» .

ص: 204

1-1 نفسه:8438. [1]

2-2 نفسه:17. [2]

3-3 نفسه:3931. [3]

4-4 نفسه:8536. [4]

5-5 نفسه:5571. [5]

وقال راسل: «الحوافز الأساسية عند معظم الناس هي حبّ المنفعة و العجب و التنافس و حبّ السلطة، على سبيل المثال نجد في السياسة أنّ الحوافز المذكورة هي مصدر الأعمال و الممارسات البشرية كلّها. فالقائد السياسيّ الذي يمكنه إقناع الناس بقدرته على تلبية هذه المطالب يستطيع إخضاعهم لسلطته بحيث يوقنون أنّ $2+2=5$. أو أنّ صلاحيّاته مفوّضة إليه من الله! و القائد السياسيّ الذي لا يعتنى بالحوافز المذكورة يحرم من دعم الجماهير عادة. و إنّ معرفة نفسيّات القوى المحرّضة للجماهير من أهمّ فروع التربية و التعليم للقادة السياسيّين الناجحين. . . (1). وقال أيضا: و يحصل جلّ القادة السياسيّين على المناصب من خلال إقناع شريحة كبيرة من الشعب بإنسانيّة مطالبهم. و عرف جيّد أنّ مثل هذا الرأي يقبل بأسرع ما يكون، نتيجة لوجود الحماس. و إنّ تقييد الأشخاص و تصفيدهم و الخطب العامّة و العقوبات غير القانونيّة و الحرب مراحل في إيجاد الحماس و امتداده. و أعتقد أنّ أنصار الفكر غير المنطقيّ إذا تركوا الناس في حماسهم توقّرت لهم فرصة أفضل لخداعهم و استغلالهم» (2). و في ضوء هذا الفهم لا يكون للسياسة من تفسير إلاّ الخداع و الحيلة و تضليل الناس من أجل التسلّط عليهم. من هنا، فإنّ كلّ من كان أشدّ احتيالا كان أسوس من غيره، و كان وعيه السياسيّ أكثر.

ص: 205

1-1) برگزیده افکار راسل (مختارات من أفكار راسل): 2 و 3.

2-2) برگزیده افکار راسل (مختارات من أفكار راسل): 222.

قال عدى بن أرطاة: قال معاوية يوماً لعمر بن العاص: يا أبا عبد الله أين أدهى؟ قال عمرو: «أنا للبديهة، وأنت للروية!» (أى: أنا أسرع منك فهما وإدراكا، ولكنك إن تأملت ودققت استطعت وضع خطط سياسية أعمق، فأنا أدهى منك فى الحوادث التى تحتاج إلى خطط سياسية فورية، وأنت أدهى منى فى الامور التى فيها مجال للتفكير والدراسة). قال معاوية: قضيت لى على نفسك، وأنا أدهى منك فى البديهة! قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟! قال: بها غلبتني يا أبا عبد الله. أفلا أسألك عن شىء تصدقنى فيه؟ قال: والله إن الكذب لقيح، فسل عما بدا لك اصدقك! فقال: هل غششتني منذ نصحتني؟! قال: لا. قال: بلى والله، لقد غششتني. أما إنى لا أقول فى كلّ المواطن، ولكن فى موطن واحد! قال: وأى موطن هذا؟ قال: يوم دعانى على بن أبى طالب للمبارزة فاستشرتك فقلت: ما ترى يا أبا عبد الله؟ فقلت: كفؤ كريم، فأشرت على بمبارزته وأنت تعلم من هو، فعلمت أنك غششتني! قال: دعاك رجل إلى مبارزته، عظيم الشرف جليل الخطر، فكنت من مبارزته

على إحدى الحسينين (1). إما أن تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران، و تزداد به شرفاً إلى شرفك و تخلو بملكك. وإما أن تعجل إلى مرافقة الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا! قال: هذه شرّ من الاولى! و الله، إني لأعلم أنّي لو قتلته دخلت النار، و لو قتلتني دخلت النار! قال عمرو: فما حملك على قتاله؟ قال: الملك عقيم! [الرئاسة لا تعرف جنة و لا ناراً!] و لن يسمعها مني أحد بعدك! (2).

السياسة من منظار الإسلام

«الملك عقيم» سياسة جميع الساسة الماضين و المعاصرين، و سياسة الإسلام ليست كذلك، فالحكومة في السياسة الإسلامية في خدمة العدالة، كما فعل رسول الله صلى الله عليه و آله، و اقتدى به أمير المؤمنين عليه السلام من بعده. و مع أنّ الإسلام يرى أنّ السياسة من الأدوات التي لا- مناص منها للإدارة و القيادة، بيد أنّه يدين السياسة بمفهومها التقليدي بشدة. و من الفوارق الجوهرية بين الحكومة الإسلامية و غير الإسلامية هو التباين في النهج السياسي. و قد بين القائد الكبير للثورة الإسلامية رضوان الله تعالى عليه مفهوم السياسة في درس له ألقاه على طلابه في المنفى قبل انتصار الثورة الإسلامية بسنين، فقال: «لا تيأسوا، و لا تحسبوا أنّ هذا الأمر [إقامة الحكومة الإسلامية] محال. و الله

ص: 207

1-1) إشارة إلى الآية 52 من سورة التوبة: [1] قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ...
2-2) أمالي الصدوق: 69/5. [2]

يعلم أنّ أهليّتكم و جدارتكم لتولّي امور الناس لا- تقلّ عن الآ-خرين! سوى أنّنا لا- نملك الإقدام على القتل بغير حقّ، و على الجور و الخسف، لأنّ ذلك ليس من شأننا. أحد رجال الدولة في إيران خاطبني في السجن... قائلا: «السياسة خبث و كذب و نفاق... . اتركوا ذلك لنا»! هذا صحيح. و لئن كانت السياسة لا تعنى إلاّ هذه الامور فهي بهذا المعنى من شؤونهم. و لكن السياسة في الإسلام و السياسة لدى الأئمّة عليهم السّلام، الذين هم «ساسة العباد» لا تعنى ما قاله لي ذلك الرجل الذي أراد خداعنا و التمويه علينا. ثمّ ذهب، و في اليوم التالي ظهرت الصحف لتعلن: «إنّه تمّ الاتّفاق على أن لا يتدخّل علماء الدين في السياسة بعد اليوم». و بعد الإفراج عنّي رقيت المنبر و كذّبت تلك الأنباء الصحفّية التي نشرت في حينها، و قلت: إنّ الرجل ليكذب. و لو أنّ الخمينيّ أو غيره قال ذلك فينبغي نفيه من البلاد. و هؤلاء- كما ترون- قد ألقوا في روعكم أنّ السياسة خبث و مكر و كذب ليصرفوكم عنها، و ليعبثوا بامور الأئمّة ما شاءت لهم أنفسهم... .» (1). نلاحظ أنّ السياسة في قاموس السياسيّ التقليديّ هي في الحقيقة أداة للتحكّم و التسلّط، بيد أنّها في قاموس السياسيّ الإسلاميّ أداة لإقامة القسط و العدل في المجتمع. من هنا نقول في تعريف جامع موجز: السياسة في الإسلام فنّ إدارة الحكم لتحقيق القيم الرّبانيّة. السياسيّ التقليديّ يريد التسلّط، فكلّ ما يقربه من هذا الهدف يعدّ سياسة، سواء كان صدقا أم كذبا، استبدادا أم ديمقراطيّة، عدلا أم ظلما، إسلاما أم كفرا، و سواء ساق في آخر المطاف إلى الجنّة أم إلى النار. أمّا السياسيّ الإسلاميّ فإنّه يريد

ص: 208

تحكيم العدالة في العالم بمفهومها العامّ الواسع. من هذا المنطلق، السياسة الوحيدة التي يستطيع أن ينتهجها هي السياسة التي تفضي إلى العدالة.

السياسة و الشيطنة!

أطلقت الروايات الإسلامية على الوعي السياسي بمفهومه الرسمي اسم «النكراء» و «الشيطنة» و «شبه العقل». . سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: ما العقل؟ قال: «ما عبد به الرحمن، و اكتسب به الجنان». (فكّر ذلك الشخص مع نفسه، فظنّ أنّ الأشخاص الذين لا يسخرّون عقولهم في طاعة الله تعالى و الحصول على الحياة الخالدة-و هم عيّنات ماثلة لقادة الباطل-لا عقل لهم حسب التعريف، في حين أنّ الدهاء السياسيّ لكثير منهم لا ينكر. فسأل الإمام عليه السلام مرة أخرى قائلاً:) فالذي كان في معاوية؟ فقال عليه السلام: «تلك النكراء، تلك الشيطنة، و هي شبيهة بالعقل و ليست بالعقل» (1). قال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في توضيح كلام الإمام: «النكراء» الدهاء و الفطنة وجودة الرأي، و إذا استعمل في مشتبهات جنود الجهل يقال له: الشيطنة (2).

ص: 209

1-1) الكافي: 1/11/3، [1] المحاسن: 1/310/613. [2]

2-2) بحار الأنوار: 1/116/8. [3]

إنّ طريق طاعة الله و الوصول إلى الجنّة هو طريق الحقّ و العدل و تكامل الإنسان و المجتمع البشرى. و في ضوء التعريف الذي عرضه الإمام الصادق عليه السّلام للعقل في الرواية المتقدّمة يتبيّن لنا أنّ العقل و عى يدعو الإنسان إلى هذا الطريق، و العاقل هو من يطوى الطريق المذكور. الطريق الآخر هو طريق الشيطان و جهنّم، و طريق الانحطاط و تردّي الإنسان و المجتمع، و طريق الباطل و الظلم. لذا فالوعى الذي يدعو الإنسان إلى هذا الطريق المنحرف هو وعى شيطانيّ حسب كلام الإمام عليه السّلام. و سمّى القرآن الكريم أيضا الأشخاص الذين يسبّرون على هذا الطريق: «شياطين الإنس» (1).

انتقاد سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام

يخال السياسة التقليديون-الذين يرون أنّ السياسة أداة للسلطة لا وسيلة لتطبيق العدالة- أنّ المواقف السياسيّة لأمر المؤمنين عليه السّلام معلم على عدم معرفته بالسياسة، و يسمحون لأنفسهم أن يقولوا: كان على رجل شجاعة لا رجل سياسة! أجل، لم يكن الإمام عليه السّلام سياسيا بالمفهوم التقليديّ للسياسة، و لكن هذا لا يعنى أنّه لم يمتلك و عيا سياسيا إسلاميا، بل إنّه لم يرد-أو بتعبير أدقّ: لم يستطع-أن يستغلّ و عيه السياسيّ، لتمسّكه بالاصول الإسلاميّة. و يذكر الإمام عليه السّلام السبب الذي يجعله غير سياسيّ بالمفهوم المنحرف للسياسة، فيقول: «لو لا أنّ المكر و الخديعة في النار لكنت أمكر الناس» (2).

ص: 210

1-1) قال تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ . الأنعام: 112. [1]

2-2) الكافي: 2/336/1. [2]

و يقول في كلام آخر: «هيهات، لو لا التقى لكنت أدهى العرب» (1). و يقول في موطن آخر: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر و يفجر، و لو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس و لكن كلّ غدرة فجرة و كلّ فجرة كفر، و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة» (2). قال ابن أبي الحديد في هذا الكلام: «و اعلم أنّ قوما ممن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين؟؟؟؟؟؟؟؟؟ زعموا أنّ عمر كان أسوس منه، و إن كان هو أعلم من عمر. و صرّح الرئيس أبو عليّ بن سينا بذلك في «الشفاء» في الحكمة. و كان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا و قد عرّض به في كتاب «الغرر». ثمّ زعم أعداؤه و مباغضوه أنّ معاوية كان أسوس منه و أصحّ تدبيراً». و دافع ابن أبي الحديد عن سياسة الإمام عليه السّلام بالتفصيل بعد نقل هذه المطالب، و ذكر ما نصّه: «و أمير المؤمنين عليه السّلام كان مقيداً بقيود الشريعة مدفوعاً إلى أتباعها و رفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب و الكيد و التدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً». ثمّ أثبت أنّ النهج السياسي للإمام عليه السّلام هو نفسه النهج السياسي لرسول الله صلّى الله عليه و آله. و أجاب عن الموارد التي ذكرت كنقاط ضعف سياسيّة عند الإمام عليه السّلام (3). و قال الاستاذ الكبير العلامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه في جواب من قدح في

ص: 211

1-1) غرر الحكم: 10041. [1]

2-2) نهج البلاغة: الخطبة 200. [2]

3-3) انظر شرح نهج البلاغة: 260-10/212.

سياسة الإمام عليه السلام: قال مناوئو عليّ عليه السلام: كان عليّ رجلاً شجاعاً ولكن لا علم له بالسياسة، لأنّه كان يستطيع في أوّل خلافته أن يوادع العناصر المعارضة مؤقتاً ويرضيها بالمداهنة، فيؤتد بذلك أركان خلافته، ثمّ يتفرّغ لقمعها. بيد أنّ هؤلاء غفلوا عن أنّ خلافة عليّ عليه السلام كانت نهضة ثوريّة، والنهضات الثوريّة ينبغي أن تتعد عن المداهنة والتزوير والتزييف. وجرى مثل ذلك في عصر البعثة النبويّة الشريفة حيث عرض الكفار والمشركون مراراً على النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يساوموه، على أن لا يتعرّض لألّهم بسوء وهم أيضاً يكفّون عن التعرّض لدعوته. إلاّ أنّه صلّى الله عليه وآله رفض عرضهم مع أنّه كان بمقدوره أن يدهن ويساوم في تلك الأيّام العسيرة، فيعزّز موقعه ثمّ ينبري لأعدائه. إنّ الدعوة الإسلاميّة لا تسمح لنفسها أن تضحّي بحقّ من أجل إحياء حقّ آخر، أو أن ترفع باطلاً بباطل آخر. ونقرأ في القرآن الكريم آيات كثيرة حول هذا الموضوع. يضاف إلى ذلك أنّ مناوئو عليّ عليه السلام لم يراعوا عن ارتكاب أيّ جريمة و عن أيّ نقض صريح للإسلام-بلا-استثناء-من أجل بلوغ أهدافهم، وكانوا يغسلون كلّ وصمة عار من خلال زعمهم أنّهم صحابة و مجتهدون، بيد أنّ عليّاً عليه السلام كان متمسكاً بقوانين الإسلام (1). ويمكن أن نلخص كلام العلامة رحمه الله بما يأتي: 1- كانت حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نهضة ثوريّة، و من أهمّ أسس

ص: 212

الحكومة الثورية أنّها لا تهادن الانحرافات. 2-الغاية لا تسوّغ الوساطة في الإسلام، و الإمام عليه السّلام لم يستعمل الأساليب غير الشرعيّة لتحقيق أهدافه السياسيّة، بسبب تمسّكه بالمبادئ الإسلاميّة. أجل، إنّ النقطة الجوهرية في الدفاع عن سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام كلمة واحدة لا أكثر. وهي أنّ السياسة بمفهومها التقليديّ ليست إلّا التزوير و الخيانة، فلا يليق بالإمام عليه السّلام أن يكون سياسياً في ضوء هذا المفهوم. وهذه مفخرة من أعظم المفآخر في حياته المباركة و سيرته العمليّة. و كان القائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة رحمه الله قد جعل سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام قاعدة لتحركه السياسيّ. و اتّهمه الأعداء بعدم معرفته بالسياسة نتيجة لمفردات سياسيّة مبدئيّة كثيرة نادى بها، مثل سياسة «لا شرقيّة و لا غربيّة»، و سياسة «دعم المحرومين»، و سياسة «الوقوف أمام الاستكبار العالميّ و على رأسه أميركا». و هذه من المفآخر العظيمة للثورة، و هي آية على أصالتها و صواب تحركها.

الخلاصة

- ☐ الوعي السياسي أحد شروط القائد. ويمكن أن نقيس قوّة القائد وضعفه تبعاً لمقدار وعيه السياسي.
- ☐ يرى الإسلام-كغيره من المبادئ- أنّ الوعي السياسي شرط للقيادة، بيد أنّ مفهوم السياسة في الإسلام يختلف عن مفهومها في سائر المبادئ.
- ☐ السياسة في التفسير التقليديّ تحديد الهدف والوصول إليه بأية وسيلة كانت، والسياسيّ التقليديّ لا يهتم حقّ الأمور أو باطلها، من هنا، كلّ من كان أشدّ مكرأ كان أكثر سياسةً.
- ☐ السياسة في الإسلام فنّ إدارة الحكومة من أجل تطبيق العدالة والقيم الربّانية. فالحكومة فيه ليست هدفاً، بل هي وسيلة لخدمة القيم. من هذا المنطلق لا تباح كلّ وسيلة تُفضي إلى الحكومة.
- ☐ أطلقت الروايات الإسلاميّة على الوعي السياسيّ التقليديّ مفردات «النكراء» و«الشيطنة» و«شبه العقل». وسمّى القرآن الكريم أصحاب هذا الوعي «شياطين الإنس».
- ☐ الذين يزوّن أنّ السياسة أداة للسلطة لا لخدمة العدالة انتقدوا المواقف السياسيّة للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام. والنقطة الجوهرية في الدفاع عن سياسة الإمام عليه السلام هي أنّ السياسة بمفهومها التقليديّ ليست إلّا التزوير والخيانة. ولا يجدر بالإمام أن يكون سياسياً بالمفهوم المذكور.

لا نريد بالزمان هنا مفهومه الفلسفيّ أو اللغويّ، فيقال: إنّ الزمان وجوديّ أو عدميّ، أو تثار سائر المباحث المطروحة في تعريفه. بل نريد هنا الظروف التاريخيّة للمجتمع و متطلّبات العصر الذي يهيمن عليه. إنّ لفترات التاريخ المختلفة مواصفات وقوانين خاصّة إذا أخذتها القيادة بعين الاعتبار وراعتها كانت ناجحة. وإذا أهملتها فلا تجنى إلاّ الخيبة والخسران. لنسمع الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في كلام له دقيق لافت للنظر. قال: «من عتب على الزمان طالت معتبته» (1). «من عاند الزمان أرغمه، و من استسلم إليه لم يسلم» (2). وقال عليه السّلام في وصاياه لابنه المجتبي عليه السّلام الذي يتولّى الأمر بعده: «من أمن الزمان خانته، و من تعظّم عليه أهانه، و من ترغم عليه أرغمه، و من لجأ

ص: 215

1-1) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: 2/53/204، [1] غرر الحكم: 8570، [2] بحار الأنوار: 71/155/69. [3]
2-2) غرر الحكم: 9054. [4]

إليه أسلمه» (1). ونقلت عنه عليه السّلام روايات أخرى (2) بهذا المضمون، وهي تدلّ على أنّ الزمان من منظاره حقيقة في عالم الوجود لا- يصحّ أمنه والغضب عليه وإعظامه (3)، واستصغاره ومخالفته واللجوء إليه. بعبارة أخرى: للزمان والتاريخ قانون جاذبيّة الأرض، إذا لم تتعامل معه تعاملًا علميًا فلا نواجه إلاّ العناء والمشقّة. ولا ينبغي أن تصوّر قانون الجاذبيّة أكثر ممّا هو عليه أو أقلّ من ذلك. كما لا ينبغي أن نخالفه أو نستسلم له. ولا يتسنى لنا أن نغفل عن الأخطار الناجمة عنه أو نغضب عليه بسبب المشاكل التي يولّدها، بل ينبغي أن نكتشفه ونمهد الأرضيّة السليمة لاستثماره من خلال المعرفة الصحيحة له. وهكذا قانون الزمان والتاريخ أو سنّتهما. ويمكننا عبر هذه المقدّمة أن ندرك- إلى حدّ ما- سرّ الاهتمام الذي توليه الروايات بضرورة معرفة الزمان. قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «حسب المرء. . . من عرفانه علمه بزمانه» (4). وكلّما كان الإنسان عارفا بزمانه استطاع أن يتنبأ بالحوادث القادمة أفضل، ولا يندهش لأيّ حادثة لأنّه تنبأ بها من قبل. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: «أعرف الناس بالزمان من لم يتعجّب من أحداثه» (5).

ص: 216

1-1) تحف العقول: 85، بحار الأنوار: 77/213. [1]

2-2) انظر ميزان الحكمة: الباب 1593 «من أمن الزمان خانه» و الباب 1594 «من عاند الزمان أرغمه» .

3-3) كما في قوله عليه السّلام: «من أمن الزمان خانه و من أعظمه أهانه» . نهج البلاغة: الكتاب 31.

4-4) بحار الأنوار: 78/80/66. [2]

5-5) غرر الحكم: 3252، [3] ميزان الحكمة: 7626.

من هنا فإنَّ القائد العارف بزمانه الواعى لمتطلّبات عصره يفهم واجبه فى الهداية و الإمامة عندما تطرأ الشبهات السياسيّة و غير السياسيّة، و لا تهجم عليه اللواسب، كما قال الإمام الصادق عليه السّلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللواسب» (1).

معرفة القادة الربّانيين بالزمان

فى ضوء اصولنا العقيدية يقسم القادة الربّانيون- فى ما يرتبط بمعرفة الزمان و جميع المعارف التى تحتاجها القيادة- إلى قسمين: 1- القادة المنصوبون من الله تعالى مباشرة و بالأصالة. 2- القادة المتصدّون لأمر الإمامة نيابة عن قادة القسم الأوّل. يعرف القادة الربّانيون- من القسم الأوّل- الزمان عن طريق الوحي أو الإلهام، و كان الأنبياء جميعهم يدركون متطلّبات عصورهم عن هذا الطريق نفسه، فيقودون مجتمعاتهم على أساسه. و إنّ نسخ الأديان الماضية من قبل الأنبياء من اولى العزم أفضل دليل لإثبات دور الزمان فى القيادة، حسب رؤية الأديان السماوية كلّها. و تدلّ دراسة لسيرة النبيّ صلّى الله عليه و آله- من منظار معرفته بزمانه و إدراكه لمتطلّبات عصره- على أنّه نموذج بارز للقائد العارف بزمانه، يتلوه أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام. بزمانه:

معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بزمانه

عند ما انعقدت الخلافة لأبى بكر فى السقيفة انطلق أبو سفيان من وحي حقه الدفين على الإسلام، فرأى أنّ أفضل اسلوب لإثارة الفتنة و الفوضى الداخلية- من

ص: 217

1- 1) الكافي: 1/27/29، [1] تحف العقول: 356، بحار الأنوار: 78/269/109. [2]

أجل كسر شوكة الدين- هو إقحام أهل البيت النبويّ و على رأسهم الإمام عليّ عليه السّلام في صراع مع قادة الحكومة. فذهب عند العباس عمّ النبيّ لتنفيذ خطّته المشؤومة، وأبدى أسفه للظروف السياسيّة السائدة، وعبر عن قلقه لخروج الخلافة من بني هاشم واستقرارها في بني تيم. وإذا استمرّ الوضع على هذا المنوال فستكون في بني عدّيّ «عمر بن الخطّاب» مستقبلا. واقترح عليه الذهاب عند الإمام عليه السّلام ومبايعته خليفة لرسول الله. وقال له: إنّ البيعة ستتمّ لأنك عمّ النبيّ، وأنا شخصيّة وجيهة بين قريش. ومن أبي فسناقتله ونقضى عليه. واستطاع بهذه المكيدة أن يقنع العباس، فذهبا مع جماعة (1) من بني هاشم إلى الإمام عليه السّلام، وعرضوا عليه البيعة، فخاطبه أبو سفيان مثيرا مشاعره قائلا: «يا أبا الحسن، لا تغافل عن هذا الأمر، متى كنّا تبعا لتيم الأراذل؟!» (2). مع أنّ الإمام عليه السّلام كان يرى أنّ الخلافة حقّه الشرعيّ، وكان متبرّما من الوضع السياسيّ السائد، بيد أنّه لمّا كان عارفا بزمانه ومجتمعه لم ير الأرضيّة مساعدة لتسلّم مقاليد الامور. وكلّ محاولة لعزل أبي بكر تستتبع تشتيت المجتمع الإسلاميّ، وكسر شوكة الدين، والرجوع إلى الجاهليّة. وما اقترح أبي سفيان إلاّ سياسة خطيرة من أجل تحقيق هذه الأهداف. من هنا قال عليه السّلام في جوابه: «أيّها الناس، شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفارقة. أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن، ولقمة يغصّ بها آكلها، ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه، فإن أقلّ يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزع من

ص: 218

1-1) انظر مصادر نهج البلاغة و أسانيده: 1/330.

2-2) انظر شرح نهج البلاغة لابن ميثم: 1/276.

الموت، هيهات بعد اللّتيّما و التّي، و الله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بشدى أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوىّ البعيدة» (1). لقد صوّر الإمام عليه السّلام فى هذا الكلام الجوّ السياسىّ و الاجتماعىّ للمجتمع الإسلامىّ بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله، و أبان عن الصعوبة البالغة فى صنع القرار المناسب من قبل القائد الواقعىّ فى وسط يتعدّر فيه الكلام و الصمت. و فى مثل ذلك الوضع لو انتقد الإمام عليه السّلام حكام عصره و أعرب عن قلقه للقرار المتخذ فى السقيفة فهذا لا يعنى أنّه كان طالب رئاسة. و لو أثار الصمت على النهوض و الإطاحة بالحكم القائم فهذا لا يعنى أنّه يخشى الموت و القتل، و أنّه لم يعمل بواجبه خوفا على نفسه. إنّ ماضى أمير المؤمنين عليه السّلام يدحض هذه التهم. و سبب صمته هو أنّ زمانه لم يساعد على الثورة. و كلّ تحرّك متطرّف غير مدروس فى ظروف لا يدعم الناس فيها الثورة يشّت المجتمع الإسلامىّ الفتىّ و يفضى إلى تسلّط أعداء الإسلام. و ينبغى أن تتنامى الثورة بالدعم الشعبىّ العامّ و حلول الوقت المناسب، عندئذ سيستبين للجميع أكثر من أىّ وقت مضى أنّ عليّا عليه السّلام لم يفكر إلا بمصلحة الإسلام و المسلمين، و أنّه لو رأى الثورة واجبا عليه فلا حاجة به إلى عرض أبى سفيان الماكر. و قد كشف مستقبل التاريخ الإسلامىّ للجميع صحّة هذه المزاعم بوضوح. عندما تقلّد الإمام عليه السّلام الأمر ببيعة الناس إيّاه و دعمهم له بعد خمس و عشرين سنة أمضاها صامتا صابرا، قال-بعد واقعة النهروان- فى خصائصه حين قام بالأمر: «فقمتم بالأمر حين فشلوا، و تطلّعت حين تقبّعوا، و نطقت حين تعتّعوا، و مضيت بنور الله حين وقفوا، و كنت أخفضهم صوتا، و أعلاهم فوتا، فطرت

ص: 219

بعنائها، واستبددت برهانها، كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف» (1). أجل، كان أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته مثالا بارزا للقائد العارف بزمانه. وكذلك كان الأئمة عليهم السلام جميعهم من بعده. إذ كان صمتهم و كلامهم و حربهم و سلمهم تبعا لما تتطلبه عصورهم. من هنا نحن نعتقد أنّ الإمام الحسن عليه السلام لو كان يقود الأمة في عصر الإمام الحسين عليه السلام لحارب يزيد. ولو كان الإمام الحسين عليه السلام متصدّيا للإمامة في عهد الإمام الحسن عليه السلام لصالح معاوية. وهكذا قاد الأئمة الآخرون عليهم السلام المجتمع الإسلاميّ حسبما تتطلبه عصورهم. و يكمن سرّ غيبة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه في ما تتطلبه عصره يومئذ. فهو بقيّة الله و ذخيرته لإنقاذ البشرية و إقامة الحكومة الصالحة على الأرض، و تقتضى الحكمة الإلهية غيبته إلى أن تنهت الأرضية المناسبة لإقامة تلك الحكومة.

معرفة الفقهاء بالزمان

عند ما يتولّى الفقهاء هداية الناس و قيادتهم في عصر الغيبة، فإنّ معرفتهم بالزمان ضرورة حتمية، فالفقيه الذي لا يعرف متطلبات عصره فاقد لأحد الشروط الأصلية المهمة للاجتهد، و لا يصلح لمقام الإفتاء و القيادة. قال القائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في دور معرفة الزمان في هداية الناس و قيادتهم، و في ضرورة الاطلاع على متطلبات العصر بوصفه شرطا للاجتهد: «الزمان و المكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. و المسألة التي كان لها حكم في الماضي ربّما يكون لها حكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون

ص: 220

[1-1] نهج البلاغة: الخطبة 37. [1]

السياسية والاجتماعية والاقتصادية لنظام من الأنظمة. أي: أن المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تجعل الموضوع الأول الذي لم يختلف عما كان عليه في الماضي من حيث الظاهر موضوعا جديدا يتطلب حكما جديدا لا محالة. و ينبغي للمجتهد أن يلم بقضايا عصره. ولا يستسيغ الناس والشباب بل حتى العوام أن يقول المرجع والمجتهد: لا رأى لى فى القضايا السياسية، فالاطلاع على كيفية التعامل مع الاقتصاد العالمى، ومعرفة ضروب السياسة والسياسيين ومعادلاتهم المفروضة، وإدراك الموقع الذى يحتله النظام الرأسمالى والشيوعى فى العالم، والتعرف على نقاط قوتها وضعفها إذ هما اللذان يحددان استراتيجية التسلط على العالم، كل ذلك من صفات المجتهد الجامع» (1). وكان الإمام الراحل قدس سره نموذجا بارزا للفقهاء العارفين بزمانه فى عصر الغيبة. وحسبنا نظرة مجملية على سيرته السياسية وفتاواه الحاسمة قبل انتفاضة الخامس من حزيران سنة 1963 م وبعدها حتى انتصار الثورة الإسلامية، و إلى آخر لحظة من حياته المباركة. وكان قبل إعداد المقدمات لانتفاضة الخامس من حزيران-كسائر الفقهاء-مشغولا بالدرس والبحث. أما بعد إعداد المقدمات فقد بدأ تحركا لا هوادة فيه ضد حكومة الشاه، وتصدى لقيادة النضال. وبعد نفيه إلى النجف الأشرف اختار السكوت تقريبا، وعكف على التدريس حتى تمهيد الأرضية لنهضة شعبية عامة. ثم استأنف تحركه ضد حكومة الطاغوت فى أفضل الظروف الزمنية، وعاد إلى إيران قادمًا من فرنسا فى أكثر لحظات الثورة حساسية على عكس ما أراد جميع الناصحين المشفقين. وشكل حكومة فى مقابل حكومة بختيار، وأفتى بوجوب خرق

ص: 221

الأحكام العرفية في لحظة مصيرية، فتكللت الثورة الإسلامية بالنصر المؤزر. وقاد الإمام رحمه الله الأمة الإسلامية منذ انتصار الثورة الإسلامية حتى وفاته، في كل فترة من تاريخ الثورة من خلال معرفته الدقيقة بمتطلبات العصر كما ينبغي. وإن قراره الحاسم في الحرب و السلم، و التعامل مع الفئات المضادة للثورة، و كسر التجسس الأميركي، و رسالته إلى غورباتشوف، و فتواه بهدر دم سلمان رشدي، و آراءه و فتاواه في شتى القضايا السياسية و الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية، و خطواته لاستمرار القيادة بعده في الأيام الأخيرة من حياته المباركة، كل ذلك برهان ساطع على معرفته بالزمان، و على ضرورة وجود هذه الصفة في المجتهد الجامع. و إن تفصيل هذا المجمل يحتاج إلى رسالة مستقلة تدور حول المعرفة المذكورة، أرجو من الكتاب الملتزمين الاهتمام بتدوينها.

الخلاصة

- ☐ معرفة الزمان تعني معرفة الظروف التاريخية للمجتمع ومتطلبات العصر.
- ☐ نجاح القائد رهينُ بمعرفته الصحيحة بالقوانين التي تحكم الزمن واستثمارها بنحوٍ سليم.
- ☐ العالم العارف بزمانه يتنبأ بالحوادث التاريخية قبل وقوعها، فلا يندهش لأيِّ حادثة.
- ☐ القائد العارف بزمانه لا يُفاجأ، ويدرك واجبه جيّداً في الشبهات.
- ☐ نسخ الأديان السابقة من قبل الأنبياء أولي العزم، أفضل دليل على اثبات دور الزمان في القيادة من منظار جميع الأديان السماوية.
- ☐ تدلّ دراسة لتاريخ النبي ﷺ في حقل معرفة الزمان على أنّه كان نموذجاً بارزاً للقائد العارف بزمانه.
- ☐ موقف الإمام أميرالمؤمنين ﷺ السديد ممّا جرى في السقيفة مثال واضح لقرار مصنوع من قبل قائد عارف بزمانه في مرحلة حسّاسة من مراحل التاريخ الإسلامي.
- ☐ أوصياء نبينا ﷺ جميعهم كانوا عارفين بعصورهم. فصمتهم وكلامهم وسلمهم وحربهم مفردات تتناسب مع عصورهم.
- ☐ جاءت غيبة الإمام المهديّ ﷺ وفقاً لما يتطلّبه عصره. وتقتضي الحكمة الإلهية غيبته إلى أن تتهيأ الأرضية المناسبة لحكومته الإسلامية العالمية.
- ☐ الإمام الخمينيّ ﷺ نموذج بارز للفقهاء العارفين بزمانه في عصر الغيبة. وحسبنا نظرة مجملّة على سيرته السياسيّة وفتاواه المصيريّة لإثبات ما نقول.

إشارة

معرفة الناس من الضرورات الأولى للقائد في جميع الحكومات، بخاصة الحكومات القائمة على التصويت الشعبي. وهذه قاعدة لا يستثنى منها حتى القادة الذين يمارسون العنف والإرهاب لاستمرار حكوماتهم. إن معرفة الناس في الحقيقة أحد العناصر الأصلية للوعي السياسي. وكلما إدادت معرفة القائد بشعبه و أدرك مطالبه و حاجاته الماديّة و المعنويّة بنحو أدقّ و أحاط بنقاط قوّته و ضعفه كان أنجح.

النبى صلى الله عليه و آله و معرفة الناس

إحدى النقاط المشرقة في سيرة النبى صلى الله عليه و آله معرفته بالناس. و هى نقطة قلّما اهتمّ بها كتّاب السير أو أنّها لم تنل اهتماماً قطّ. و إذا جمعنا ما جاء في تضايف كتب الحديث و التاريخ حول هذا الموضوع صار رسالة مفيدة ذات جانب تعليمي. من الطبيعي أنّ المسلمين الذين يرون أنّ معرفة القادة الربّانيين فى أمر القيادة-مرتبطة باتّصالهم بمبدأ الوحي و الإلهام لا يثير عجبهم كثيراً معرفتهم بالناس، ولكن

من الضروريّ الالتفات إلى هذه النقطة للتعرف على أسس القيادة في الإسلام. وتدلّ دراسة لتاريخ النبيّ صلّى الله عليه وآله في مجال معرفة الناس على أنّه كان أعرف الامّة بالخصائص الروحيّة والأخلاقيّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة لأفرادها. فاسلوب الدعوة في بدايتها، والنضال و مرحليّته، و تعامله الخاصّ و العامّ مع الناس، كلّ ذلك يبيّن حقيقة معرفته بالناس. إنّ أفضل دليل على ما نقول قدرته صلّى الله عليه وآله الفائقة العجيبة على إحداث التبدّل السريع الشامل في ثقافة مجتمع إبّان عصر البعثة. فالثورة التي قادها صلّى الله عليه وآله في المجتمع المتخلف يومئذ و أثمرت سريعاً لا يمكن أن تتحقّق بلا معرفة سديدة و دقيقة بالناس. و لمّا كان يعرف الناس جيّداً و يخبر قابليّاتهم الفكرية و الروحيّة و الأخلاقيّة و العاطفيّة جيّداً فقد كان قادراً على أن يكلم كلّ أحد و يتعامل معه بمقدار ما يستوعبه فكريّاً و روحياً، و هكذا مارس دوراً قيادياً شعبياً قوياً فائقاً. و لا جرم أنّ الأنبياء عليهم السّلام جميعاً كانوا يتّسمون بهذه الصفة. قال الإمام الصادق عليه السّلام: «ما كَلَّمَ رسول الله صلّى الله عليه وآله و آله العباد بكنه عقله قطّ. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّنا معاشر الأنبياء امرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم» (1). و روى أنّ قوماً اسارى جيء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأمر أمير المؤمنين عليه السّلام بضرب أعناقهم. ثمّ أمره بإفراد واحد منهم و أن لا يقتله، فقال الرجل: لم أفردتني من أصحابي و الجناية واحدة؟! فقال: «إنّ الله عزّ و جلّ أوحى إليّ أنّك سخى قومك و أن لا أقتلك» .

ص: 226

1-1) الكافي: 1/23/15، و: 8/268/394، [1] بحار الأنوار: 1/85/7، و: 16/280/122، [2] ميزان الحكمة: 19217. [3]

فقال الرجل: فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: فقاده سخاؤه إلى الجنة (1). إنَّ النقطة المهمة التي يمكن أن نتعلّمها من هذا الموقف في مجال القيادة هي أننا يتسنى لنا أن نهدي كثيرا من المنحرفين وغير الصالحين المستعدين للهداية إلى الصراط المستقيم من خلال المعرفة الدقيقة بالناس، التي تتيسر عن طريق غير الوحي أيضا.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و معرفة الناس

تدلّ دراسة لتاريخ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله على أنّه بزّ أهل زمانه في معرفته بالناس، كرسول الله صلّى الله عليه وآله، فلم يعمل عملا بغير حساب. كان عليه السلام يتّصف بصفات عجيبة لا يتيسر الاتّصاف بها عبر الطرق الطبيعيّة لمعرفة الناس، مضافا إلى ما كان يتمتّع به من ذكاء فطريّ حادّ و تجربة كسبها خلال السنين المتواترة للنضال. فكان إذا نظر في وجه أحد تفرّس ما في أعماق قلبه، و كان يعرف الصديق من العدو بسهولة. من هنا لم يستطع أن يخدعه الأعداء المتظاهرون بالولاء. ذكر عليه السلام أنّ الله تعالى منّ عليه بهذه الصفة ببركة دعاء النبيّ صلّى الله عليه وآله له يوم خيبر، فقال: «... و إنّي لأعرفهم حينما أنظر إليهم، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لَمَّا ثقل في عيني و أنا أرمد قال: أذهب عنه الحرّ و القرمّ و البرد، و بصّره صديقه من عدوّه. فلم يصبني رمد بعد و لا حرّ و لا برد، و لآئى أعرف صديقي من عدوّى» (2). قال الإمام الباقر عليه السلام: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يوما جالسا في المسجد و أصحابه حوله،

ص: 227

[1-1] الاختصاص: 253، بحار الأنوار: 71/354/16. [1]

[2-2] بصائر الدرجات: 390/1. [2]

فأتاه رجل من شيعته فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله يعلم أنَّ أدينه بحبِّك في السرِّ كما أدينه بحبِّك في العلانية، و أتولّاك في السرِّ كما أتولّاك في العلانية. فقال له أمير المؤمنين: «صدقت. أما فاتخذ للفقر جلبابا. . .» قال: فولّى الرجل و هو يبكي فرحا لقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «صدقت». و قال الإمام الباقر عليه السّلام أيضا: كان هناك رجل من الخوارج و صاحبا له قريبا من أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال أحدهما: تالّله إن رأيت كالיום قطّ! إنّه أتاه رجل فقال له: إنّي أحبّك، فقال له: صدقت، فقال له الآخر: ما أنكرت ذلك، أتجد بداً من أن إذا قيل له إنّي أحبّك أن يقول صدقت؟! أتعلم أنّي أحبّه؟ فقال: لا، قال: فأنا أقوم فأقول له مثل ما قال له الرجل، فيردّ عليّ مثل ما ردّ عليه، قال: نعم. فقام الرجل، فقال له مثل مقالة الرجل الأول. فنظر إليه مليّا، ثم قال له: «كذبت، لا والله ما تحبّني و لا أحبّك». فبكي الخارجيّ، ثم قال: يا أمير المؤمنين، تستقبلني بهذا و قد علم الله خلافه! . . . فلم يلبث أن خرج عليه أهل النهروان و أن خرج الرجل معهم فقتل (1).

الأئمة و معرفة الناس

عبّرت الروايات المأثورة عن معرفة الناس بمفهومها العميق بالمعرفة عن طريق «التوسّم» و «التفرّس». و تدلّ دراسة دقيقة لهذه الروايات على أنّ الإنسان يبلغ النورانيّة و البصيرة في مراحل الإيمان الرفيعة، فيستطيع أن يرى باطن الناس و ضميرهم، و يكشف أسرارهم بنظرة إلى وجوههم.

ص: 228

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ. ثُمَّ قَرَأَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (1) قال: المتفرسين» (2). وروى في حديث آخر عنه أنه قال: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ» (3). إِنَّ إِحْدَى خِصَائِصِ الْأُمَّةِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْمُؤَكَّدَ عَلَيْهَا فِي الرِّوَايَاتِ هِيَ مَعْرِفَتُهُمُ النَّاسَ بِالمَفْهُومِ العَمِيقِ الكَامِلِ للكَلِمَةِ. قال أمير المؤمنين عليّ عليه السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ المُتَقَدِّمَةِ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المُتَوَسِّمِ، وَأَنَا مِنْ بَعْدِهِ، وَالأُمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِي المُتَوَسِّمُونَ» (4). قال مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبِ الهَلَالِيِّ أميرَ المَدِينَةِ فِي عَصْرِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُلْتُ لَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: فِي نَفْسِي مَسْأَلَةٌ أُرِيدُ أَنْ أُسْأَلَكَ عَنْهَا. قَالَ الإِمَامُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ بِمَسْأَلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تُسْأَلَنِي. قَالَ: يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ تُعْرِفُ مَا فِي نَفْسِي قَبْلَ سُؤَالِي عَنْهُ؟ قَالَ: بِالتَّوَسُّمِ وَالتَّفَرُّسِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ؟! وَقَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ

ص: 229

1-1) الحجر: 75. [1]

2-2) نقله البخاري في تاريخه، والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السنّي وأبو نعيم في كتاب الطب، و [2] ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري. انظر الدر المنثور: 5/91، [3] سنن الترمذي: 5/298/3127، تفسير ابن كثير: 1/399، و: 2/676، [4] المعجم الأوسط: 8/23/7843.

3-3) المعجم الأوسط: 3/207/2935، كنز العمال: 30732. ورواه الترمذي والبيهقي وابن السنّي وأبو نعيم عن أنس. انظر الدر المنثور: 5/91. [5]

4-4) الكافي: 1/218/5. [6]

اللّه عزّ وجلّ»؟! (1). ويستبين من هذه الروايات وأحاديث كثيرة غيرها (2) - ممّا لا يسعه هذا المجال - أنّ معرفة الناس حسب الرؤية الإسلامية شرط للإمامة والقيادة، وأنّ قائد الأمة ينبغي أن يحرز هذا الشرط بالتناسب مع درجات الإمامة.

ص: 230

1-1) معانى الأخبار: 350/1.

2-2) انظر اصول الكافي: 1/218 باب أنّ المتوسّمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمّة عليهم السّلام. . . ، وبصائر الدرجات: 354/17.

الخلاصة

- ▣ معرفة الناس من الضرورات الأولى للقيادة، بخاصة في الحكومات القائمة على التصويت الشعبي. وكلما ازدادت معرفة القائد بشعبه كان أنجح في قيادته.
- ▣ تدلّ دراسة لتاريخ النبي ﷺ على أنه كان أعرف الأمة بالخصائص الروحية والأخلاقية والثقافية والسياسية والاجتماعية لأفرادها. فأسلوب الدعوة والنضال في بادئ الأمر، ومرحلة النضال، والتعامل مع الناس، والأهم من ذلك كله: إحداث التبدل السريع الشامل في ثقافة المجتمع إبان عصر البعثة، كل ذلك أدلة قاطعة على معرفة النبي الفاتقة بالناس.
- ▣ ترشدنا دراسة لتاريخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام السياسي بعد النبي ﷺ إلى أنه بزّ أهل زمانه في معرفته بالناس.
- ▣ إحدى خصائص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يستطيع أن يعرف الموالي من المعادي بنظرة واحدة، وذلك بفضل دعاء النبي ﷺ له.
- ▣ عبّرت الروايات عن معرفة الناس بمفهومها العميق بالتوسّم والتفرّس، ويحصل الإنسان عليهما في مراحل الإيمان الرفيعة. وكانت هذه الخاصية للأئمة المعصومين عليهم السلام جميعاً.

إنَّ ضرورة اتِّصاف القيادة بمداراة الناس أمر منطقيّ و بديهيّ تماما في نظر الامم و الشعوب كافة، ذلك أنَّ القيادة لا تبيسر بدونه مبدئيّا. أمّا في نظر الذين يفكّرون برضا الناس في مقابل رضا الله فإنّه يبدو سقيما في أول نظرة، بل يبدو مشينا للقيادة الربّانيّين. من هنا تحتاج ضرورة هذه الصفة للقائد في الإسلام إلى توضيح أكثر. وفي دراسة دقيقة للنصوص الإسلاميّة و سيرة النبيّ صلّى الله عليه وآله و الإمام عليّ عليه السّلام، في مداراة الناس تستوقفنا نقطتان جديرتان بالاهتمام: 1- أنّ تلبية مطالب الناس الشرعيّة و إرضاء هم ليسا في مقابل رضا الله تعالى بل هما يطردان في مرضاته. و هذا مبدأ سياسيّ مهمّ في الحكومة الإسلاميّة، كما خاطب أمير المؤمنين عليه السّلام مالك الأشتر رضوان الله عليه قائلا: «و ليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، و أعمّها في العدل، و أجمعها لرضا الرعيّة، فإنّ سحق العامّة يجحف برضا الخاصّة، و إنّ سحق الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة» (1).

ص: 233

2- قد تتأصل الثقافة الغالطة المسيطرة على المجتمع بنحو يستتبع الاصطدام بها سخطا عامًا، ويحدث هزة في أركان الحكومة الإسلامية. وحينئذ يجوز العدول عن سياسة مداراة الناس إذا لم تتهدد أصول الإسلام وأهدافه. من هنا فإن القادة الربانيين-مع أن تلبية المطالب الشرعية للناس تتصدر برامجهم الحكومية- يعملون عن روية في مواجهتهم للمطالب غير الشرعية. ويتحامون من الأعمال التي تستتبع سخطا عامًا، إلا في الحالات التي تتهدد بها أصول دعوتهم.

النبي صلى الله عليه وآله و مداراة الناس

من النقاط البارزة واللافتة للنظر في الحياة السياسية للنبي صلى الله عليه وآله سياسته في مداراة الناس بلا عدول عن مبادئ الإسلام. بيد أنه عند ما طلب منه أن يتنازل عن المبادئ رفض ذلك بصراحة مهما كلف الثمن. ونلاحظ ذلك حين نقل إليه عمه أبو طالب عرضاً من زعماء قريش في تمليكهم عليهم بشرط أن يترك الدعوة إلى التوحيد، فقال: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته» (1). ولكن عندما لا يتعلّق الأمر بترك الهدف والتنازل عن المبادئ نرى أنه صلى الله عليه وآله يبذل قصارى جهده ليرضى العامة. من أجل ذلك كان يتجنّب القيام ببعض الأعمال الحسنة غير الضرورية للحؤول دون جرح مشاعر الناس. وكذلك كان يدفع مبالغ معينة من بيت المال لوقاية الأشخاص الحديثي عهد بالإسلام من الانحراف، أو لتأليف قلوب

ص: 234

الأعداء المتظاهرين بالولاء و جعلهم موالين حقيقيين، أو لتقليل حقد الأعداء اللد. وقد يعفو عن أشخاص يستحقون القتل للوقوف بوجه الإشاعات التي تبث ضد الحكومة الإسلامية.

وقاية الأتباع من الانحراف

إن الخطوات التي كان يتخذها رسول الله صلى الله عليه وآله لوقاية أتباعه الجدد من الانحراف أو الانفصال يمكن أن تعدّ من مصاديق سياسته في مداراة الناس. روى عامر بن سعد عن أبيه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى رهطاً وأنا جالس فيهم. قال: فترك رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً لم يعطه، وهو أعجبهم إليّ. فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله فسايرته، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ والله إنّي لأراه مؤمناً! فسكت. . . فقلت: يا رسول الله، ما لك . . .؟ قال: «إنّي لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه، خشية أن يكبّ في النار على وجهه» (1). هذا الكلام الحكيم يعبر عن حقيقة، وهي أنّ على القيادة في النظام الإسلامي أن تعنى عناية بالغة ببعض الأشخاص في المجتمع. خاصّة حديثي العهد بالمفاهيم الإسلامية للحؤول دون انحرافهم، وإلّا فإنّهم يمتنون بالانحطاط والانحراف، ويتبعون سبيل غير المؤمنين، و يضيعون حياتهم الخالدة بسبب ضعف نفوسهم و ضيق نظرهم. فعناية القيادة البالغة برفاهية هؤلاء سياسة سديدة، لكنّها لا تدلّ على أنّ لهم قيمة حقيقية، وأنّ غيرهم لا قيمة لهم.

ص: 235

1-1) صحيح مسلم: 2/732/131، تفسير ابن كثير: 2/445، [1] سنن الترمذي: 3/53/666.

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَهَبُ قَسَمَا مِنْ غَنَائِمِ الْحَرْبِ لِعَدَدٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا ظَاهِرًا، حَتَّى اعْتَرَضَ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، يُعْطَى قَرِيْشًا وَيَدْعُنَا، وَسَيُوفِنَا تَقَطَّرَ مِنْ دِمَائِهِمْ» (1). قَالَ ذَلِكَ أَنَسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَوْمَ حَنْيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قَرِيْشِ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ. فَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ. . . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ. . . فَقَالَ: مَا حَدِيثُ بَلْغَنِي عَنْكُمْ؟ فَقَالَ لَهُ فَفَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا ذُوو رَأْيِنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا. وَأَمَّا أَنَسٌ مَتَى حَدِيثُهُ أَسْنَانِهِمْ. . . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنِّي أَعْطَى رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدَ بَكْفَرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِجَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ؟! فَوَاللَّهِ لَمَا تَتَقَلَّبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ». . . فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَضِينَا (2). نَلْحِظُ هُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَارَسَ أُبْلَغَ الْفِطْنَةِ وَالسِّيَاسَةِ فِي مَدَارَاةِ النَّاسِ. فَمِنْ جِهَةٍ عَمَلٍ -يُعْطَاءُ الْهَدِيَّةَ- عَلَى تَلْيِينِ الْمَتَظَاهِرِينَ بِالْإِسْلَامِ الَّذِينَ كَانُوا يَشْكُلُونَ خَطَرًا عَلَيْهِ. وَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى كَسَبَ قُلُوبَ الْمَوَالِينِ الَّذِينَ لَمْ يُعْطِهِمْ شَيْئًا مِنَ الْغَنَائِمِ، عَبْرَ تَعَامُلِهِ الْمَفْعَمِ بِالْعَاطِفَةِ مَعَهُمْ.

ص: 236

1 - 1) صحيح البخاري: 3/1147/2978، صحيح مسلم: 2/733/1059، مسند ابن حنبل: 4/331/12696، [1] السنن الكبرى: 6/548/12934، و: 7/28/13181. [2]

2- 2) صحيح البخاري: 4/575/4076، صحيح مسلم: 2/732/1059، مسند ابن حنبل: 4/332/12696. [3]

لم يصطدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَشَدِّ أَصْحَابِهِ نِفاقاً فِي حالات كثيرة، وَ ذلك من أجل الوقوف بوجه الأراجيف التي تبثُّ ضدَّ القيادة، وَ تستبَع تشكيك الناس بها فِي آخر المطاف، وَ مع أنَّ قتلهم كان يبدو ضرورياً للحؤول دون تخريبهم وإثارتهم للفتن، إلاَّ أنَّه كان يتغاضى عن ذلك لمصالح أهم. وَ كان عبد الله بن أبي أحد المنافقين الذين حدَّثنا القرآن الكريم بتأمرهم وَ نفاقهم فِي سورة «المنافقون». وَ عندما عرض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قتلَه قال: «لا يتحدَّث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه» (1). إنَّ الإشاعة التي تضعف القاعدة الشعبيَّة للحكومة الإسلاميَّة أخطر على المجتمع الإسلاميَّ من وجود منافق فِي صفوفه بمئات كثيرة. من هنا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يحظر عقوبة بعض المجرمين من الصحابة.

الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام و مداراة الناس

كانت سيرة الإمام عليّ عليه السَّلام فِي مداراة الناس وإرضائهم ودعمهم كسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تماماً، فقد كان يتفادى كلَّ عمل يسخط الناس. لذلك تعدَّز عليه الوقوف بوجه كثير من الانحرافات فِي بداية خلافته. وَ ظهرت انحرافات كثيرة فِي المجتمع الإسلاميَّ، وَ تطبَّع الناس عليها خلال المدَّة التي كان الإمام قد اقصى فيها عن الساحة السياسيَّة، وَ أخطر من ذلك أنَّ هذه الانحرافات قد رسخت فِي المجتمع و اقرَّت باسم الإسلام الأصيل حين عاد الإمام عليه السَّلام إلى الساحة السياسيَّة، فمن الطبيعيَّ أنَّ الموقف المتعجِّل منها يفضي إلى سخط الناس، وَ يولِّد مشاكل مختلفة.

ص: 237

1-1) صحيح البخاري: 4/1862/4622، الدرر المنتور: 8/177. [1]

وقد صوّر الإمام عليه السّلام الواقع المرّ بعد مقتل عثمان وإقبال الناس عليه لمبايعته، فقال: «دعوني و التمسوا غيري، فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإنّ الآفاق قد أغامت، و المحجّة قد تنكّرت، و اعلموا أنّي إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم، و لم اصغ إلى قول القائل و عتب العاتب. و إن تركتموني فأنا كأحدكم و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيرا خير لكم متى أميرا» (1). يا؟؟؟ إن من يرى نفسه خليفة النبيّ بلا فصل، و من كان يعبر عن ظلامته-بل ظلامه الإسلام-بكلام يحرق القلب حيثما اقتضى ذلك خلال السنين الخمس و العشرين التي أمضاها بعيدا عن الخلافة، يرفض بيعة الناس و يقول لهم: «دعوني و التمسوا غيري»، في حين قد أقبلوا عليه بأرواحهم و قلوبهم و قلّدوه أمرهم و أصرّوا عليه أن يتولّى قيادتهم! و هو يطلب منهم أن يتركوه و حاله، و يباعدوا غيره، و يعمل هو كأحد الناس، و لعلّه أطوعهم لولّي أمرهم! و أخيرا يخبرهم أنّه لهم وزيرا خير لهم منه أميرا! لماذا؟! لقد عرض عليه السّلام نفسه السبب الذي دعاه إلى رفض قيادة الامّة الإسلاميّة، و هو الحالة التي كان عليها المجتمع يومئذ. فقد ظهرت تحريفات كثيرة في المجتمع الإسلاميّ بعد ربع قرن على وفاة رسول الله صلّى الله عليه و آله، و علقت بالإسلام الأصيل شوائب جمّة كالغمائم السوداء التي تحجب شمس الإسلام الحقيقيّ و تظلم مسير معرفة الحقيقة، و كان الناس ينتظرون منه أن يقودهم في نفس الطريق الذي ألفوه عدد سنين، أمّا الطريق الجديد فلا ينسجم مع طبيعتهم، و هو كما قال عليه السّلام: «لا تقوم له القلوب و لا تثبت عليه العقول».

ص: 238

يريد الإمام عليه السلام من كلامه و موقفه أن يحقّق الأهداف الآتية: 1- يشعر الناس أنّه غير متعلّق بالرئاسة، وأنّ ما قاله إلى الآن حول إمامته و قيادته هو من أجل توضيح الحقائق و تأمين مصالح المجتمع. وإذا قبل أن يقود الناس فلا هدف له إلا إقامة الحقّ. لذا لا يحقّ لأيّ فرد أو جماعة أن يتّخذ من بيعته إيّاه ذريعة لفرض إرادته عليه و مطالبته بشيء. 2- ينذر المسلمين أنّ الإسلام قد منى بالتغيير و التحريف خلال السنين الخالية، وأنّ ما يطرح الآن باسم الإسلام في المجتمعات الإسلاميّة بعيد كلّ البعد عن الإسلام الأصيل، وأنّ مكافحة هذه التحريفات تستتبع توتّرًا سياسيًا و اجتماعيًا بالغا. 3- ينبّه الناس على أن يتأهبوا لإزالة التحريفات، و إعادة بناء المجتمع معنويًا، و تحكيم الإسلام الأصيل، و يلتفتوا إلى أنّ بيعته تعنى البيعة مع أهدافه، و الاستعداد لتطهير الإسلام الأصيل من شوائب التحريف.

سياسة الإمام عليه السلام في مواجهة الانحرافات

أجل، في مثل تلك الأجواء قبل الإمام عليه السلام قيادة الأمة الإسلاميّة بعد إصرار الناس، بيد أنّ النقطة المهمّة هي أنّه لم يواجه الانحرافات بتعجّل، لأنّ الاصطدام المفاجئ بجميع الانحرافات التي ألفها المجتمع باسم الإسلام سنين من عمره يسخط عمّة الناس عليه، و يوهي أركان الحكومة. و قسّم عليه السلام الانحرافات إلى قسمين تبعًا لسياسة النبيّ صلّى الله عليه و آله: الأوّل: الانحرافات التي كانت تتناقض مع الأهداف الأصليّة للإسلام. و مكافحتها لا تستتبع نتائج و خيمة و توتّرًا سياسيًا و اجتماعيًا كبيرًا يسخط جمهور الناس. الثاني: الانحرافات التي لم تهدّد أساس الإسلام. و الوقوف أمامها يسخط معظم الناس على الحكومة.

بدأ الإمام عليه السلام بمكافحة القسم الأول من الانحرافات منذ اليوم الأول لخلافته. ولم يهدأ لحظة واحدة عن مقارعة الجائرين و المتحكّمين و كانزى الثروة، الذين انتهكوا حقوق المظلومين باسم صحبة النبيّ، مستغلّين سوابقهم المشرفة. اولئك المتظاهرون بالإسلام الذين كانوا ينتقدون فلسفة الثورة الإسلاميّة، بل فلسفة نهضة الأنبياء القائمة على القسط و العدل. و منذ اليوم الأول من خلافته عرض الإمام سياسته المبدئية عن طريق الإشارة و التعريض، و أعلن للائمة أنّه سيستعمل الحكومة وسيلة لإقامة الإسلام الحقيقيّ وحده، و لا يلتفت إلى انتقادات الذين تضييرهم هذه السياسة. صعد المنبر في اليوم الثاني من خلافته، و صرّح بما أشار إليه في اليوم الأوّل، و قال: «... ألا و إنّ الله عالم من فوق سمائه و عرشه أنّي كنت كارها للولاية على أمة محمّد، حتّى اجتمع رأيكم على ذلك، لأنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «أيما وال ولى الأمر من بعدى، اقيم على حدّ الصراط، و نشرت الملائكة صحيفته. فإن كان عادلا أنجاه الله بعدله، و إن كان جائرا انتفض به الصّراط حتّى تترايل مفاصله، ثم يهوى إلى النار...» ثم التفت عليه السّلام يمينا و شمالا، فقال: «ألا لا يقولنّ رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، و فجّروا الأنهار، و ركبوا الخيول الفارهة، و اتّخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عارا و شنارا، إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه، و أصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، و يستنكرون و يقولون: حرّما ابن أبى طالب حقوقنا! ألا- و أيّما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته فإنّ الفضل النير غدا عند الله و ثوابه و أجره على

اللّٰه. و ائما رجل استجاب لله و للرسول فصدّق ملّتنا و دخل في ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام و حدوده. فأنتم عباد اللّٰه، و المال مال اللّٰه يقسّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحد على أحد. . .» و كان هذا الكلام المتين كالصاعقة على رؤوس من يعينهم، فبدأت الاعتراضات. و في اليوم الثالث من حكومته عليه السّلام وفد الناس على بيت المال لأخذ حقوقهم. فقال لعبيد اللّٰه بن أبي رافع كاتبه: «ابدأ بالمهاجرين فنادهم، و أعط كلّ رجل ممّن حضر ثلاثة دنانير، ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، و من يحضر من الناس كلّهم-الأحمر و الأسود-فاصنع به مثل ذلك». فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين، هذا غلامى بالأمس، و قد أعتقته اليوم. فقال: «نعطيه كما نعطيك». فأعطى كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير، و لم يفضّل أحدا على أحد. و تخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة و الزبير و عبد اللّٰه بن عمر و سعيد بن العاص و مروان بن الحكم و رجال من قريش و غيرها. و بدأت الاعتراضات بحضور كاتبه، فأخبر الإمام عليه السّلام، فقال: «و اللّٰه، إن بقيت و سلمت لهم لا قيمتّهم على المحبّة البيضاء و الطريق الواضح. قاتل اللّٰه ابن العاص! لقد عرف من كلامى و نظرى إليه أمس أتى أريده و أصحابه ممّن هلك فيمن هلك». فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحة، فجلسا ناحية عن

علیّ علیه السّلام. ثمّ طلع مروان و سعید و عبد اللّٰه بن الزبیر فجلسوا إليهما. ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم، فتحدّثوا نجيّاً ساعة، ثمّ قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فجاء إلى علیّ علیه السّلام، فقال: إنک وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، و خذلت أخى يوم الدار بالأمس، و أمّا. . . و نحن نبايعک اليوم علی أن تضع عنّا ما أصبناه من المال فى أيام عثمان، و أن تقتل قتلته، و إنّنا إن خفناک ترکناک فالتحقنا بالشام! فقال أمير المؤمنين علیه السّلام: «أمّا ما ذکرتم من وترى إيّاکم فالحقّ و ترکم، و أمّا وضعى عنکم ما أصبتم فليس لى أن أضع حقّ اللّٰه عنکم و لا عن غيرکم. و أمّا قتلى قتلة عثمان فلو لزمنى قتلتهم اليوم لقتلتهم أمس! و لكن لکم علیّ إن خفتمونى أن أوّمنکم. و إن خفتکم أن استيرکم». فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم، و افترقوا على إظهار العداوة و إشاعة الخلاف. . . فقام أبو الهيثم و عمّار و أبو أيّوب و سهل بن حنيف و جماعة معهم، فدخلوا على علیّ علیه السّلام، فقالوا: يا أمير المؤمنين، انظر فى أمرک، و عاتب قومک، هذا الحىّ من قريش فإنّهم قد نقضوا عهدک و أخلفوا وعدک، و قد دعونا فى السرّ إلى رفضک، هداک اللّٰه لرشدک! و ذلك لأنّهم کرهوا الاسوة و فقدوا الأثر. . . و أظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة و تألّفوا لأهل الضلالة. فرأیک! . . . و كان قصدهم من ذلك أن يعيد الإمام علیه السّلام النظر فى سياسته و لا يجرح مشاعر الأعيان و الوجهاء. رفض الإمام علیه السّلام عرضهم، و صعد المنبر بهيئة خاصّة، و خطب خطبة بالغة الروعة فى العدل و القسط. ثمّ بعث إلى طلحة و الزبیر و تحدّث إليهما مدافعا عن سياسته بالتفصيل.

وأكد لهما في آخر كلامه أن هذه السياسة هي عين سياسة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّهُ لَنْ يَعدَلَ عَنْهَا فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ (1). هذه السياسة- وإن ولدت متاعب كثيرة لحكومة الإمام عليه السلام- كانت ناجحة مع ما رافقتها من مصاعب، وذلك بسبب دورها الأساس في تبين أهداف الحكومة الإسلامية ودعم الناس لها. ولم يخش الإمام عليه السلام الصعاب، وما كان مهما عنده هو إمكان الوقوف بوجه الزيف والانحراف، وهو ما يتكفل الدعم الجماهيري بتوفيره له. أما مواجهة الانحرافات التي كانت قد اتخذت طابعا دينيا في المجتمع الإسلامي وألفها الناس عدد سنين فلم تيسر يومئذ، لأنها على عكس مواجهة الانحرافات من القسم الأول، فهذه تسبب سخطا عاما وتوهي أركان الحكومة الإسلامية. بعبارة أخرى: المواجهة العاجلة الطائشة للانحرافات التي غدت سنة في المجتمع الإسلامي لا تؤدي إلى تصحيحها، بل تولد انحرافا أكبر منها، وهو سقوط الحكومة الربانية. وقد كشف الإمام عليه السلام عن هذه الحقيقة المرة لأحد أتباعه المقربين، وهو عامر بن واثلة، وأقسم أنه لا يستطيع أن يخبر الناس بالحقائق التي يعرفها من الإسلام، ولو أخبره بشيء منها فلا يلبث أن يبقى معه إلا أفراد قلائل منهم (2). وفي كلام خاص له عليه السلام لطائفة من أهل بيته وخاصة أصحابه، قدم توضيحا أكثر حول الانحرافات والبدع الجارية في المجتمع الإسلامي، وصعوبة مقارعتها أيضا. وحلل فيه أصل الانحرافات الطارئة في المجتمع الإسلامي، وقال: «... إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله

ص: 243

1-1) انظر شرح نهج البلاغة: 47-7/36.

2-2) الكافي: 8/58/21، المحاسن: 1/330/672، و: ص 343/711، نهج البلاغة: الخطبة 50، بحار الأنوار: 2/290 و 315، و: 34/172 و 176.

و يتولّى عليها رجال رجالا» (1). بعبارة اخرى: أصل الانحرافات هو أهواء و نزوات الحكّام الذين يتولّون قيادة المجتمع. هذه الأهواء تصبح حكما و أمرا و قانونا، و تشيع في المجتمع، و تعدو قاعدة للحكم و الامتثال. ثم يشير الإمام عليه السّلام إلى نقطة مهمّة و هي أنّنا ينبغي أن لا- نتوقع أنّ كلّ ما يقوله الأشخاص الذين جرّوا المجتمع الإسلاميّ إلى الانحراف باطل و غالط، لأنّ بطلان دعوتهم سيّضح حينئذ و يفقدون الدعم الجماهيريّ و تحبط مؤامرتهم. فيستغلّون سياسة مزج الحقّ بالباطل من أجل أن لا يواجهوا هذا المأزق. ثم يروى عليه السّلام كلاما عن النبيّ صلّى الله عليه و آله تنبأ فيه بظروف المجتمع في عصر الإمام عليه السّلام، فقال: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يربو فيها الصغير و يهرم فيها الكبير، يجرى الناس عليها و يتخذونها سنّة، فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنّة، و قد أتى الناس منكرا» (2). و يواصل النبيّ صلّى الله عليه و آله كلامه فيشير إلى المستقبل الخطر، حين يعضد الفقهاء و المحدّثون البائعون دينهم ساسة عصورهم، فيقول: «ثمّ تشتدّ البليّة. . . و يتفقّهون لغير الله، و يتعلّمون لغير العمل، و يطلبون الدنيا بأعمال الآخرة» (3). و يصرّح الإمام عليه السّلام بعد ذكر هذه المقدمات أنّ ممارسات معاكسة شاعت في المجتمع الإسلاميّ قبل خلافته. فإذا أراد أن يحمل الناس على تركها و يعيد المجتمع إلى ما كان عليه في عهد النبيّ صلّى الله عليه و آله تفرّق عنه جنده و بقي وحده، أو بقي معه ثلّة من أصحابه

ص: 244

1-1) نهج البلاغة: الخطبة 50. [1]

2-2) الكافي: 8/59/21. [2]

3-3) نفسه. [3]

الذين كانوا يعرفونه جيّداً. و يطرح عليه السّلام- وهو يواصل حديثه- مفردات كثيرة من الانحرافات و البدع التي انتشرت بين الناس متّخذة طابع السنّة. و يذكر في آخر كلامه أنّه أراد أن يغيّر إحدى البدع فجوبه باعتراض الناس. قال: «و الله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، و أعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعا، و لقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري» (1). أجل، إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام الذي لم يهادن معاوية لحظة واحدة، و لم يمنح طلحة و الزبير امتيازاً يذكر، و يصطدم بالمتغطرسين و مكّدسى الثروة منذ بداية خلافته، يتراجع أمام الرأى العامّ و لا يتعجّل في مواجهة الانحرافات و التي اتّخذت طابعا دينيّاً و التي يفضى تصحيحها إلى سحق الناس و إضعاف الحكومة الإسلاميّة، و يستعمل غاية الكياسة و السياسة في مواجهتها. و هذا النهج درس عظيم للحكومات التي تريد أن تسير سيرته.

ص: 245

[1-1] نفسه: ص 62. [1]

الخلاصة

- ▣ ضرورة اتّصاف القائد بمدارة الناس أمر منطقيّ وبديهيّ من منظار الأمم والشعوب كافة. أمّا من منظار الذين يفكّرون برضا الناس مقابل رضا الله تعالى، فإنّه يبدو سقيماً ومشيناً للقادة الربّانيين أوّل وهلة.
- ▣ إنّ تلبية مطالب الناس الشرعيّة حسب الرؤية الإسلاميّة ليست في مقابل مرضاة الله تعالى، بل إنّها تطرّد في مرضاته.
- ▣ قد تسيطر الثقافة الغالطة على المجتمع بنحوٍ يستتبع الاصطدامُ بها سخطاً عاماً. وفي مثل هذه الحالة يجوز العدول عن سياسة مدارة الناس ما لم تهدّد أصول الإسلام وأهدافه.
- ▣ سياسة النبي ﷺ في مدارة الناس: تأمين رضاهم بلا عدول عن المبادئ الإسلاميّة. من هنا كان يدفع مبالغ معيّنة من بيت المال لتأليف قلوب الأعداء ووقاية المسلمين الجدد من الانحراف. كما كان يعفو عن بعض المجرمين والمتأمّرين المحكومين بعقوبات شاقّة.
- ▣ كانت سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مدارة الناس كسياسة النبي ﷺ. وبدأ بمقارعة الانحرافات التي كانت تهدّد أساس الإسلام منذ اليوم الأوّل لخلافته. بيد أنّه لم يتعجّل في مواجهة البدع التي كان الناس قد ألفوها.

الجاذبية الأخلاقية سرّ قدرة القيادة ونجاحها. و القائد يستطيع بواسطتها أن يستقطب الأذواق المتنوعة و يقرب وجهات النظر المتباينة و يجعلها فى مسار أهدافه، و كان جميع القادة الكبار فى التاريخ يتصفون بهذه الجاذبية. و قد عرفنا أنّ القيادة الأخلاقية فى الإسلام و غيره من الأديان السماوية شرط أساس للقيادة السياسية (1). من هنا كان الأنبياء و أوصياؤهم اسوة لغيرهم فى الجانب الأخلاقى، كما كانت الجاذبية الأخلاقية أحد الأبعاد المهمة لشخصيتهم المعنوية.

الجاذبية الأخلاقية لنبينا صلى الله عليه و آله

يرى القرآن الكريم أنّ الجاذبية الأخلاقية للنبي صلى الله عليه و آله هى سرّ نجاحه فى قيادته الحكيمة. قال تعالى: **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا**

ص: 247

مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ (1). كان للاخلاق الكريمة التي عرف بها رسول الله صلى الله عليه وآله -خاصة حلمه ولينه- في تعامله مع عرب الجاهلية المعروفين بفظاظتهم دور بالغ الأهمية في اجتذابهم وتنظيمهم من أجل تشكيل النواة الاولى للحكومة الإسلامية في العالم. ولو لا تلك الجاذبية لأفردته الناس من غير شك كما توسم القرآن الكريم ذلك. قال الشاعر جلال الدين الرومي ما ترجمته: أنقذ اناسا كثيرين من القتل بسيف حلمه، سيف الحلم أقطع من سيف الحديد، بل هو يحقق نصرا لا يحققه مائة جيش. يوصى الله تعالى نبيه الكريم أن يعفو عن أخطاء أمته، وأن يشاورهم في الامور المختلفة تنشيطا لجاذبيته الأخلاقية أكثر فأكثر. وبلغ صلى الله عليه وآله الكمال المطلوب بتعليم الوحي الإلهي وتربيته له حتى برّ جميع القادة الربانيين، فأثنى عليه ربه جلّ شأنه بقوله: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (2). لا جرم أننا لا يمكن أن نجد بين قادة التاريخ البشريّ من أحبّه الناس وتعلّقوا به و نفذ حبه في أعماق قلوبهم و ضمائرهم كرسول الله صلى الله عليه وآله. ومن هنا اتّهمه الأعداء بالسحر، وهذه التهمة دليل حسن على إثبات جاذبيته الأخلاقية و نفوذه الخارق في نفوس الناس. قال ابن أبي الحديد: « . . . فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَسْمَعُ أَحَدَ كَلَامِهِ إِلَّا أَحَبَّهُ وَ مَالَ إِلَيْهِ، وَ لِذَلِكَ كَانَتْ قَرِيشٌ تَسْمَى الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ: «الصَّبَاة» ، وَ يَقُولُونَ: نَخَافُ أَنْ يَصْبُوَ الْوَلِيدَ بْنَ

ص: 248

[1-1] آل عمران: 159. [1]

[2-2] (2) القلم: 4. [2]

المغيرة إلى دين محمد صلى الله عليه وآله. ولئن صبا الوليد و هوريحانة قريش لتصبون قريش بأجمعها. وقالوا فيه: ما كلامه إلا السحر، و إنه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر، و نهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلا يستميلهم بكلامه و شمائله، و كان إذا صلى فى الحجر و جهر يجعلون أصابعهم فى آذانهم خوفا أن يسحرهم و يستميلهم بقراءته و بوعظه و تذكيره. . . جعلوا أصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم . . . لأنهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن خوفا أن يغير عقائدهم فى أصنامهم. . .» (1). و ينقل لنا التاريخ حكايات عذبة كثيرة عن جاذبية النبى صلى الله عليه وآله التى لا نظير لها بالنسبة إلى أصحابه، و لا مجال لنا أن نوردها هنا جميعا، فنكتفى بالإشارة إلى نموذج منها يحمل لنا اعترافا لألد أعدائه صلى الله عليه وآله، و هو أبو سفيان.

اعتراف العدو

فى السنة الثالثة من الهجرة دعا كفار هذيل ستة من المسلمين لتعليمهم القرآن و أحكام الإسلام. و كانوا يريدون القبض عليهم و تسليمهم لكفار قريش. و لما علم المسلمون بمكيدتهم أخذوا أسيافهم ليقاتلوهم. فقتل ثلاثة منهم، و استسلم ثلاثة. فربطت هذيل الأسرى الثلاثة بالجمال ثم خرجوا بهم إلى مكة ليسلموهم لقريش. انتزع أحدهم- و هو عبد الله بن طارق- يده من القرآن (الجل) ثم أخذ سيفه، و استأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه. أما الآخرا- و هما خبيب بن عدى و زيد بن الدثنة- فقدموا بهما مكة، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا

ص: 249

1-1) شرح نهج البلاغة: 6/390. و انظر تفسير مجمع البيان: 10/584 و 9/16، السيرة الحلبية: 1/303، تفسير القمى: 2/393. [1]

بمكة . . . ابتاع صفوان بن أمية زيد بن الدثنة ليقنتله بأبيه أمية بن خلف . . . واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقنتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: «والله، ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي». فغر أبو سفيان فاه متعجبا، والتفت إلى من حضر، فقال: «ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا!»^[1].

ص: 250

[1-1] انظر سيرة ابن هشام: 3/179. [1]

الخلاصة

- ▣ الجاذبية الأخلاقية سرّ نجاح القيادة، وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتّصفون بها.
- ▣ القيادة الأخلاقية في كافة الأديان السماوية شرط للقيادة السياسية، والجاذبية الأخلاقية أحد أبعاد الشخصية الأخلاقية للقادة الربّانيين.
- ▣ يرى القرآن الكريم أنّ الجاذبية الأخلاقية للنبي ﷺ سرّ نجاحه. ولولاها لأفرده الناس ولما انتصر الإسلام.
- ▣ لا نجد بين القادة في التاريخ قائداً أحبه أتباعه وتعلّقوا به كرسول الله ﷺ. ومن هنا اتّهمه أعداؤه بالسحر.

يرى الإسلام أنّ أكفأ إنسان للقيادة السياسيّة هو من كان سباقاً في مسيره نحو غاية القيادة الربانيّة والسلوك إلى الله، و كان طليعة الناس في تحرّكه شطر القيم، مضافاً إلى اتّصافه بجميع المواصفات الضروريّة لإدارة المجتمع. فالقائد السياسيّ قائد أخلاقيّ أيضاً، بل إنّ القيادة الأخلاقيّة أهمّ قواعد القيادة السياسيّة في الإسلام. والإمام-بالمفهوم المطلق- هو من كان في ذروة الكمالات الروحيّة جميعها كإبراهيم عليه السّلام. قال تعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ (1). و كان نبينا صلّى الله عليه وآله اسوة كإبراهيم الخليل عليه السّلام: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (2).

ص: 253

[1-1] الممتحنة:4. [1]

[2-2] الأحزاب:21. [2]

الناس يحبون من كان سبّاقاً في العمل بما يقول ويدعو الناس إليه، ويتفاعلون مع قيادته من الصميم. وإن أحد البواعث المهمة على جاذبية النبي صلى الله عليه وآله ونفوذه وقاعدته الشعبية بين أتباعه هو أنه كان سبّاقاً إلى العمل بجميع الشعارات التي كان ينادى بها. إذا كان ينادى بشعار التوحيد فهو أول الموحّدين، ولم يعتمد إلا على الله في حياته الفردية والاجتماعية والسياسية، حتى أنه لم يستعن بالمشركين في أحلك الظروف التي مرّ بها. وإذا كان يدعو الناس إلى العبادة وإقامة الليل فهو أكثرهم عبادة، حتى أراد الله تعالى منه أن لا يشقّ على نفسه كثيراً: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (1). وإذا كان ينادى بشعار العدالة فهو أول الناس في تطبيقها على نفسه واولى قرباه. حتى أنه عندما كان يجلس بين أصحابه يعدل في تقسيم نظراته بينهم. وإذا كان يرفع شعار دعم المستضعفين فهو كأحدهم في عيشه. يقسم الإمام الباقر عليه السلام بالله أن النبي صلى الله عليه وآله لم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيام متوالية منذ بعثته حتى وفاته (2)، في حين كان قادراً أن يعيش حياة الدعة والنعيم والرخاء. بيد أنه كان يؤثر الآخرين على نفسه وعلى عائلته. قال أبو هريرة: «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله ثلاثاً تباعاً من خبز البرّ حتى فارق الدنيا» (3). قال عمر: «استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلت عليه في مشربة، وإنه لمضطجع على

ص: 254

[1-1] طه: 2. [1]

[2-2] انظر الكافي: 8/130/100. [2]

[3-3] سنن الترمذی: 4/579/2358. [3]

خصفة، إنَّ بعضه لعلى التراب و تحت رأسه و سادة محشوة ليفا و إن فوق رأسه لإهابا عطنا (1)، و فى ناحية المشربة قرظ (2). فسلمت عليه فجلست. فقلت: أنت نبي الله و صفوته، و كسرى و قيصر على سرر الذهب و فرش الديباج و الحرير؟ ! يا رسول الله، ما يؤذيك خشونة ما أرى من فراشك و سريرك؟ ! فقال: أولئك عجّلت لهم طبيّاتهم و هى و شيكة الانقطاع، و إنّ قوم آخرت لنا طبيّاتنا فى آخرتنا. و إنّ فراش كسرى و قيصر فى النار، و إنّ فراشى و سريرى هذا عاقبته إلى الجنة» (3). و أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحياة البسيطة الفقيرة التى كان يعيشها رسول الله صلى الله عليه و آله، و طلب من المسلمين أن يتأسوا بهذا القائد المطلق للامة الإسلامية فى مواجهتهم للمظاهر المادّية فى الحياة. قال عليه السلام: «فتأس بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه و آله، فإن فيه أسوة لمن تأسى و عزاء لمن تعزى. و أحبّ العباد الى الله المتأسى بنبيّه و المقتص لأثره، فضم الدنيا قضمًا، و لم يعرها طرفًا، أهضم أهل الدنيا كشحا و أخصمهم من الدنيا بطنًا. . .» (4). أجل، كان رسول الله صلى الله عليه و آله فى جميع أبعاد حياته الفردية و الاجتماعية سبّاقًا إلى العمل بكلّ ما كان يدعو الناس إليه. و هذا ما أدّى إلى جاذبيته العديدة المثل و قيادته التى ليس لها بديل. و كان أمير المؤمنين عليه السلام مثله فى ذلك سبّاقًا لأمته فى العمل بما يقول. من هنا ورد فى زيارته أنّه «ميزان الأعمال». أى: إنّ عمله فيما يرتبط بالله و الناس ميزان لتقويم

ص: 255

1-1) الإهاب: الجلد أو ما لم يدبغ منه. و انعطن الجلد: وضع فى الدبغ و ترك حتّى انتن.

2-2) القرظ: ورق السلم يدبغ به. و السلم: جنس شجر شائك يستعمل ورقه فى الدبغ.

3-3) انظر الترغيب و الترهيب: 4/200/120، و: ص 201/121.

4-4) نهج البلاغة: الخطبة 160. [1]

أعمال الآخرين. فصلاته و صيامه و إقامته لليل و جهاده و عدالته و صبره و شجاعته و زهده و جميع فضائله كل ذلك ملاك و ميزان لتقويم الفضائل. و إذا كانت هذه الخصائص كلها عند الآخرين فكلما اقتربت من خصائص الإمام عليه السلام اقتربت من الكمال، و كلما ابتعدت كانت أنقص. و ليس بمقدور التاريخ غابرا و حاضرا أن يرينا قائدا-بعد النبي صلى الله عليه و آله الذي كان إمام الأئمة-كعلي عليه السلام في سبقه إلى العمل. و كان القادة غير الربانيين على مر التاريخ أولى قول لا أولى عمل، و لو ظهر بينهم من كان من أولى العمل فلا جرم أنه لم يكن سباقا، و إذا ما تسلّم السلطة فإنه ينسى و عوده و شعاراته جميعها. و لا يستطيع التاريخ أن يقدم لنا قائدا كعلي عليه السلام إذ عاش عيشة الفقراء و هو في ذروة قدرته و عظمته. قال عليه السلام: «إنّ الله جعلني إماما لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي و مطعمي و مشربي و ملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدى الفقير بفقري و لا يطغى الغنيّ غناه» (1). قال ابن أبي الحديد في سرّ الجاذبيّة التي لا نظير لها عند الإمام عليه السلام و نفوذه العجيب في قلوب الناس: «قلت لأبي جعفر الحسنی مرة: ما سبب حبّ الناس لعلی بن أبي طالب عليه السلام و عشقهم له و تهالكهم في هواه؟ و دعني في الجواب من حديث الشجاعة و العلم و الفصاحة و غير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها!» سؤال رائع و دقيق و جوابه لا يتيسر ارتجالا كما يبدو. ضحك أبو جعفر و قال: «كم تجمع جراميزك (2) عليّ؟!» ثمّ عرض مقدّمة للجواب ورد فيها تحليل جميل لسخط معظم الناس على الدنيا. و ذكر أنّ المستحقّين موتورون من الدنيا، و غير

ص: 256

1-1) الكافي: 1/410/1، [1] بحار الأنوار: 40/336/17، [2] ميزان الحكمة: 867.

2-2) الجراميز: القوائم.

المستحقّين أيضا. وأكثر المستحقّين محرومون، حتّى أنّهم يحتاجون في أكثر الوقت إلى الطبقات التي لا- استحقاق لها. أمّا غير المستحقّين فلا يقنعون بعيشهم ولا يرضون بحالهم لما يلحقهم من حسد أمثالهم، بل يستزيدون و يطلبون حالا فوق حالهم. وقال بعد شرح هذه المقدّمة: «فمعلوم أنّ عليّا عليه السّلام كان مستحقّا محروما، بل هو أمير المستحقّين المحرومين وسيّدهم وكبيرهم». واصل كلامه قائلا: «و معلوم أنّ الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلّة والهزيمة يتعصّب بعضهم لبعض ويكونون إلبا ويدا واحدة على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا. . . فما ظنّك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر، جليل الخطر، كامل الشرف، جامع للفضائل! . . . وهو مع ذلك محروم محدود، وقد جرّعته الدنيا علاقمها. . . و حكّم فيه وفي بنيه وأهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه. . . ثمّ كان في آخر الأمر أن قتل هذا الرجل الجليل في محرابه، وقتل بنوه بعده، و سبى حريمه ونساؤه، وتتبّع أهله و بنو عمّه بالقتل والطرْد والتشريد والسجون، مع فضلهم وزهدهم و عبادتهم و سخائهم و انتفاع الخلق بهم». ثمّ استنتج ما نصّه: «فهل يمكن أن لا يتعصّب البشر كلّهم مع هذا الشخص؟! وهل تستطيع القلوب أن لا تحبّه و تهواه و تدوب فيه و تقنى في عشقه؟! . . .» (1).

ص: 257

1-1) انظر شرح نهج البلاغة: 225-10/223.

الخلاصة

- القيادة الأخلاقية في الإسلام أهم قواعد القيادة السياسية، وأكفاً إنساناً للقيادة هو من كان سباقاً إلى القيم، مضافاً إلى ما يتحلّى به من الخصائص العلمية والإدارية.
- سبق القائد إلى العمل يجعله يعيش في قلوب الجماهير، ويتفاعل الناس قلبياً مع القائد الذي يروونه أسوة عملية للقيم.
- كان القادة غير الربانيين على مرّ التاريخ أولي قولٍ لا أولي عمل، وإذا تسلّموا السلطة فإنهم ينسون وعودهم وشعاراتهم جميعاً.
- إنّ أحد البواعث المهمة على نفوذ النبي ﷺ وجميع القادة الربانيين الكبار في قلوب الناس سبقهم في التحرك نحو القيم.
- كان أمير المؤمنين ؓ سباقاً إلى العمل بعد النبي ﷺ. من هنا جاء في زيارته أنه «ميزان الأعمال».

أهمّ واجب يقع على عاتق الإمام والقائد هو هداية المجتمع وقيادته نحو الهدف الذى يعتقد أنه هو الكمال المطلوب، ودعوة الناس إلى الجِدِّ والتفانى من أجل بلوغ السعادة، والتكامل المادّي أو المعنويّ أو كليهما. إذا أراد القائد أن يحسن القيام بواجبه فعليه: أولاً: أن يؤمن بذلك الهدف ويعتقد به اعتقاداً راسخاً. ثانياً: أن يستطيع إقناع الآخرين بالإيمان به. إنّ من يدعو الآخرين إلى هدف لا يؤمن به لا يستطيع أن يقنعهم بالإيمان به. وتدلّ دراسة لتاريخ حياة القادة الناجحين-الريّانيين منهم وغير الريّانيين-على أنّهم كانوا جميعهم يتّصفون بهاتين الصفتين: الإيمان بالهدف، والقدرة على إقناع الآخرين بالإيمان به.

المثل الأعلى للإيمان

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله المثل الأعلى للقائد المؤمن بهدفه، المقتدر على إقناع الآخرين

بالإيمان به، وكلّ باحث منصف يدرس سيرته صلّى الله عليه وآله يستطيع أن يستنتج بسهولة أنّه كان يعتقد بما يقول، بل كان حائزاً على أرفع درجات الاعتقاد. وبيّن القرآن الكريم إيمانه واعتقاده صلّى الله عليه وآله بالأهداف الإلهية بقوله: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ (1). وحياته بأسرها آية على إيمانه بأهداف رسالته، و دليل قاطع على تمكّنه من إقناع الآخرين بالإيمان بها. وفيما يأتي نموذج رائع يمكن أن يثبت هاتين المزيّتين، ويتمثّل في حادثة وقعت في بداية الرسالة: صدع رسول الله صلّى الله عليه وآله بدعوته تدريجاً، وكان ملموساً منذ الأيام الأولى للدعوة أنّ دعايات الأعداء والعراقيل التي كانوا يضعونها في طريق الدعوة لم تجد شيئاً، فدخلت الدعوة في قلوب الناس سريعاً، وكان عدد المسلمين الذين آمنوا بذلك القائد السماويّ يزداد على تواتر الأيام. وبلغت جاذبية الإسلام ونفوذه في قلوب الناس مبلغاً شعر فيه عتاة قريش بالخطر، إذ كانوا يرون بجلاء أنّ الأوضاع لو استمرت على هذا النسق فإنّ معظم الناس سيغيّرون عقيدتهم و يركنون إلى الإسلام وقيادة نبيّه. من هنا عزموا على مواجهة هذا الخطر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ذهبوا في البداية إلى أبي طالب الحامى الوحيد للنبيّ صلّى الله عليه وآله ورئيس قبيلة بنى هاشم، فطلبوا منه أن يكفّ عن دعم النبيّ، وكان طلبهم -على ما نقل ابن هشام في سيرته- كالآتي: «يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا و عاب ديننا و سفّه أحلامنا و ضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا و إمّا أن تخلّى بيننا و بينه». لم يجبهم أبو طالب جواباً مقنعاً، و أبدى موقفاً سياسياً قوياً من خلال تهدّثهم

ص: 260

وإرجاعهم. وسرعان ما انتشر الإسلام، فدفعهم ذلك إلى مواجهة أبي طالب بنحو أشد من السابق، و تهديد بالحرب إذا ظل على دعمه للنبي صلى الله عليه وآله. قالوا له: «يا أبا طالب، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، إنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكف عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين». وهذه المرة أيضا أجابهم أبو طالب بهدوء يعبر عن مدى كياسته وفراسته قائلا لهم: حسنا، سابلغ ابن أخي ما تريدون! ذهبوا عنه، فتحدث مع ابن أخيه وأبلغه كلامهم منتظرا جوابه الذي يحدد ميزان اعتقاده وإيمانه بهدفة، فقال صلى الله عليه وآله بحزم تام: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته». ثم فارق أبا طالب وعيناه مغرورقتان بالدموع، ولم يتعد كثيرا حتى ناداه وهو متأثر بكلامه الذي يملك القلب، وبإيمانه القاطع بهدفة، فقال: «اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا اسلمك لشيء أبدا» (1). واصل زعماء قريش سياستهم في الحد من انتشار الإسلام، واستخدموا مكائد و حيلًا مختلفة كالترهيب والترغيب والقذف وضروب الأذى النفسى والبدنى. بيد أن إيمان النبي صلى الله عليه وآله بهدفة المقدس كان قويًا إلى درجة أن كل شيء لم يستطع أن يصدّه عن مواكبته. ولا يداخلنا الشك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان يشعر بأدنى ضعف في اعتقاده لما

ص: 261

[1-1] سيرة ابن هشام: 1/283-285. [1]

استطاع الصمود أمام تلك الضغوط بأجمعها. إن الإيمان بالهدف أكبر رصيد للقادة الكبار في التاريخ من أجل مواجهة المشاكل و مقاومة المصاعب. لذا نلاحظ أنّ أهم نقطة ينبغي الالتفات إليها في إعداد المدراء الكفؤين الفعّالين هي تنشيط بنية الإيمان و الاعتقاد بالعمل الذي انيط أو يناط بهم.

ص: 262

الخلاصة

- ▣ ينبغي للقائد أن يؤمن بهدفه ويُقنع الآخرين بذلك كي يتمكن من القيام بواجبه. وكان جميع القادة الكبار في العالم يتصفون بهاتين الصفتين.
- ▣ كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى للقائد المؤمن بهدفه، المقتدر على جعل الآخرين يؤمنون به. وتاريخه المشرق دليل ساطع على ما نقول.
- ▣ من الضروريّ تنشيط بُنية الإيمان عند الأشخاص الذين تناط بهم مسؤولية معيّنة، وذلك من أجل إعداد المدراء الكفوئين الفعّالين.

الأمل بالنجاح-إلى جانب الإيمان بالهدف-سرّ التقدّم فى العمل. و ينبغى للقائد أن يكون واثقا بانتصاره و نجاحه فى الهدف الذى يدعو الناس إليه. و القائد الذى لا أمل له بنجاحه لا يمتلك صورة واضحة للمستقبل. من هنا لا يتسنى له أن يهب الناس الأمل و الاطمئنان و النشاط. و هذه الصفة جديرة بالاهتمام أيضا فى دراسة الخصائص الروحية للقادة الناجحين فى العالم.

النبى صلى الله عليه و آله و الأمل بالنجاح

إحدى النقاط البارزة فى قيادة النبى صلى الله عليه و آله هى أمله و ثقته بالمستقبل. و كان منذ بداية قيادته يرى نجاحه بوضوح، و يعرض للناس صورة جميلة طافحة بالأمل عنه. و كان يتحدث إليهم عن انتصارات عظمى، و يبشّرهم بسعادة الدنيا و الآخرة منذ الأيام الاولى لبعثته، و ذلك فى ظروف عصيبة لم يتوقّع فيها أحد نجاح دعوته. و كان يقول بكلّ ثقة: «أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان، تملكون بهما

العرب والعجم، و تنقاد لكم بهما الامم، و تدخلون بهما الجنة، و تنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، و أنى رسول الله» (1).

الانتصار على الفرس و الروم

إن إخبار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي معركة الأَحزاب بانتصار المسلمين على بلاد فارس و الروم و اليمن نموذج آخر لأمله و اعتقاده الراسخ بنجاحه، و لاستثمار عنصر الأمل في القيادة. عاش المسلمون ظروفًا حالكة محفوفة بالأخطار في معركة الأحزاب. ذلك أن العدو شنَّ عليهم هجومًا عنيفًا في عقر دارهم، و طفقوا يحفرون الخندق باقتراح الصحابيِّ الجليل سلمان الفارسيِّ رضوان الله عليه، ليحولوا دون تقدُّم العدو إلى داخل المدينة. فعرضت في أثناء الحفر صخرة عظيمة لم يؤثر فيها المعول. فأخبروا نبيَّهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فجاء، فلمَّا رآها ألقى ثوبه و أخذ المعول فقال: بسم الله، ثمَّ ضرب ضربة فكسر ثلثها، و قال: «الله أكبر! اعطيت مفاتيح الشام! و الله إنى لا بصر قصورها الحمراء الساعة!». ثمَّ ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: «الله أكبر! اعطيت مفاتيح فارس! و الله إنى لا بصر قصر المدائن الأبيض!». ثمَّ ضرب الثالثة و قال: بسم الله، فقطع بقيَّة الحجر و قال: «الله أكبر! اعطيت مفاتيح اليمن! و الله إنى لا بصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة!». و لم يتوقَّع أحد تحقُّق الانتصارات المذكورة في مثل تلك الأوضاع العصيبة المتوتِّرة التي بلغت مبلغًا أن أحد الحاضرين قال للآخر بعد سماع الكلام النبويِّ: يعدنا بكنوز

ص: 266

كسرى وقيصر ولا يأمن أحدنا أن يبرح مكانه خوفا من العدو (1)!.!

الإخبار بظهور الإسلام على الدين كله

أخبر القرآن الكريم بانتصار الإسلام على سائر الأديان، وشموله كافة أنحاء المعمورة. قال تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (2). لا ريب أن أحد الأسرار الكبرى لهذا الإخبار هو إحياء عنصر الأمل بالنجاح في قلوب المسلمين، وحثهم على الاستقامة والصمود في مسار الأهداف العالمية للإسلام. من هنا فإن مثل هذه التنبؤات دروس في الإدارة والقيادة، مضافا إلى أنها تبين حقيقة تاريخية مهمة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله.

تفسير النجاح

تفسير النجاح في الإسلام نقطة مهمة في استثمار عنصر الأمل في القيادة الإسلامية. لما كان هدف القائد في المذاهب المادية وما يماثلها هو التسلّط والتحكّم فحسب فإن الحرمان من المكاسب المادية يعدّ إخفاقا، ومن ثمّ يعقبه القنوط والتراجع. أمّا في الإسلام فإن الهدف هو أداء الواجب الإلهي. فالقائد مكلف أن لا يدّخر وسعا في تحقيق ما يريد الله تعالى، سواء أفلح في ذلك أم لم يفلح.

ص: 267

1-1) انظر كنز العمال: 10/443/30080.

2-2) الصف: 9. [1]

من هذا المنطلق لا معنى لكلمة «الهزيمة» في قاموس القيادة الإسلامية، لأنّ الهدف الوحيد هو أداء الواجب. وذلك قريب المنال بأيّ نحو كان. وجاء هذا التفسير للنجاح بوضوح في الآية الكريمة الآتية: قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا فَنَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (1). يرى الإسلام أنّ القضاء على عدوّ الحقّ والعدالة نجاح، والقتل في طريق مقارعتة نجاح أيضا. فالتغلّب على العدو نصر، والهزيمة نصر أيضا. من هنا فإنّ المسلمين لا يهزمون في طريق النضال من أجل تحقيق الحكومة الإسلامية أبدا. وإنّ عدوّ الحقّ والعدالة لا يقطف نصرا أبدا، وإنّ حقّ مكاسبه الماديّة بعض الشيء. إنّ من يقود أمة بهذا المنطق الرائع والفعال يتمتع بأعظم قدرة على تعبئة الجماهير الشعبيّة بغية إقامة الحكومة العادلة والإطاحة بالظلم. كان مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والقائد الكبير للثورة الإسلاميّة رضوان الله تعالى عليه يستهدى كثيرا بهذه القدرة لإيصال الثورة إلى مرفأ النصر، والعمل على استمرارها. وفي ضوء هذا المنطق نحن مكلفون بأداء الواجب لا بالنتيجة، ولا هدف لنا إلاّ القيام بالتكليف الإلهي، والمحافظة على استقامة الناس و صمودهم في أحلك الظروف، وإنقاذ الثورة الإسلاميّة من الأزمات المستفحلة.

ص: 268

الخلاصة

- ☐ الأمل بالنجاح - إلى جانب الإيمان بالهدف - سرّ النجاح . والقائد الذي لا أمل له بنجاح أهدافه عاجز عن تحريك الناس ورفدهم بالأمل .
- ☐ من النقاط البارزة في قيادة النبي ﷺ أمله واطمئنانه إلى المستقبل . وكان يرى نجاح أهدافه بوضوح ، ويتحدّث عن انتصاراته الكبرى منذ بداية قيادته .
- ☐ تنبؤ النبي ﷺ في معركة الأحزاب بانتصار المسلمين على فارس والروم واليمن أحد النماذج المشرقة لاعتقاده الراسخ بنجاحه ، ولاستثمار عنصر الأمل في القيادة .
- ☐ إن إحدى الحكّم الكامنة في إخبار القرآن الكريم بانتصار الإسلام على سائر الأديان إحياء عنصر الأمل في نفوس الجماهير المسلمة وتحريكهم في مسار الأهداف العالميّة للإسلام .
- ☐ تفسير النجاح في الإسلام نقطة مهمّة في استثمار عنصر الأمل في القيادة الإسلاميّة . ولا معنى لكلمة «الهزيمة» في القيادة الإسلاميّة ، لأنّ الهدف ليس إلّا أداء الواجب وهو قريب المنال بأيّ نحو كان .

الهمة في اللغة هي العزم والإرادة. وعلو الهمة يعنى الترفع عن مواكبة الأهداف التافهة الدينية، كما يعنى الإرادة القويّة لتحقيق الأهداف الكبرى. وكلّما كانت همّة الإنسان أعلى من منظار الإسلام، فهي أكثر قيمة. من هنا لا يرى الإسلام حدًا لعلو الهمة، حتّى قال سيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: «خير الهمم أعلاها» (1). ويعلمنا الإمام زين العابدين عليه السّلام أن ندعو الله تعالى أن يمنّ علينا بأعلى الهمم (2).

آثار علو الهمة

إنّ كثيرا من الخصال الحميدة التي لها دور في بناء الشخصية الإنسانيّة وإحراز

ص: 271

[1-1] غرر الحكم: 4977. [1]

[2-2] قال عليه السّلام «اللّهم ربّ العالمين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين أسألك. . . من الهمم أعلاها». . بحار الأنوار: 94/155.

[2]

الفضائل المعنوية كالقناعة والكرم والحمية والشجاعة والعزة والإحسان وغيرها إنما هو نابع من علو الهمة، كما ورد في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من شرف الهمة لزوم القناعة» 1. «الكرم نتيجة علو الهمة» 2. «على قدر الهمة تكون الحمية» 3. «شجاعة الرجل على قدر همته» 4. «استجلب عزّ اليأس ببعدها الهمة» (1). «من شرف الهمة بذل الإحسان» 6. «من كبرت همته كبر اهتمامه» 7. «الفعل الجميل ينبئ عن علو الهمة» 8.

آثار قصر الهمة

إن قصر الهمة -على عكس علو الهمة- أحد العقبات الأساسية التي تحول دون التحلّي بالفضائل الإنسانية. نقرأ تعبيرا جميلا للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: «من صغرت همته بطلت فضيلته» 9. من هنا يمكن أن نقيس قدر الإنسان ومنزلته وقيمه بمعياري همته، إذ أن: «قدر الرجل على قدر همته» (2). ويفيدنا هذا المعيار أن الذين لا يفكرون إلا بإشباع بطونهم وتفرغها ليس لهم

ص: 272

1-5) تحف العقول: 286، بحار الأنوار: 78/164. [1]

2-10) نهج البلاغة: الحكمة 47.

قيمة إنسانية: «من كانت همّته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منه» (1). إن أولى الافق الضيق و الهمة الدانية لا يقدر لهم النجاح من الوجهة المعنوية، ولا- يتسنى لهم أن يحصلوا على موقع في عالم الماديات. نلاحظ أن تطوّر الإنسان مادياً و معنوياً رهين بهمّته. و كان العظماء جميعهم ذوى همم عالية. قال الشاعر حافظ الشيرازي ما ترجمته: كن على الهمة، فالعظماء بلغوا المقام الرفيع بهمهم العالية. و قال خواجو: الهمة العالية تعلقو على الفلك، و بها يعلو المرء على الملك. و قال وحشي: لو كانت الهمة رائدة لصارت النملة كسليمان.

درس من حشرة!

نقل المحدث القمّي في كتاب سفينة البحار- في ذيل كلمة «جعل» (2)- حكاية مفادها أن أبا الحجاج الأقرص العارف قيل له يوماً: من شيخك؟ قال: شيخى أبو جعران. أى الجعل! فظنّوا أنه يمزح، فقال: لست أمزح. قيل له: كيف؟

ص: 273

[1-1] غرر الحكم: 8830. [1]

[2-2] دويبة معروفة يسميها الناس «أبو جعران». سفينة البحار. و [2] هي حشرة سوداء قبيحة لها جناحان تجلس على روث الحيوانات، و تسمى خنفساء الروث. معجم عميد (فارسي).

قال: كنت ليلة من ليالى الشتاء سهران، وإذا بأبى جعران يصعد منارة السراج فيزلق لكونها ملساء، ثم يرجع. فعددت عليه تلك الليلة سبعمائة زلقة يرجع بعدها ولا يكلّ، فتعجّبت في نفسى فخرجت إلى صلاة الصبح، ثم رجعت فإذا هو جالس فوق المنارة بجانب الفتيلة، فأخذت من ذلك ما أخذت. أى أنه تعلّم منه الثبات مع الجهد (1). نستنتج من هذا كله أنّ أفضل رصيد للسلوك إلى الحقّ وبلوغ قمة التكامل - حيث موقع الإنسان الكامل والإمامة - الإرادة القويّة والهمة العالية، التى تدفع الإنسان إلى اختيار الله سبحانه وتعالى، كما كان الإمام العسكريّ عليه السلام يقول فى قنوته: «وقد علمت أنّ زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها» (2). قال الشاعر حافظ الشيرازى ما ترجمته: البحر والجبل فى طريقى وأنا ضعيف ومتعب، فزد فى همّتى أيّها الخضر المبارك.

علوّ الهمة و القيادة

إشارة

إذا لا حظنا ما جاء فى هذا الفصل تبين لنا أنّ ضرورة علوّ الهمة للقائد لا تحتاج إلى مزيد من التوضيح. وكان القادة جميعهم يتحلّون بهذه الصفة، ويستثمرون هذا الرصيد الثمين من أجل بلوغ أهدافهم. ونجد فى دراسة سيرة القادة الربّانيين الكبار - خاصة رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم - أنّ علوّ هممهم لافت للنظر ويعلم دروسا مفيدة كثيرة. و من المناسب التوفّر على دراسة سيرتهم عليهم السلام، و عرض نماذج من علوّ هممهم على الامم والشعوب. ونشير فيما يأتى إلى نماذج من علوّ الهمة عند رسول الله صلّى الله عليه وآله:

ص: 274

[1-1] سفينة البحار: 1/609. [1]

[2-2] البلد الأمين: 568 [2] قسم قنوتات الأئمة عليهم السلام، بحار الأنوار: 85/257. [3]

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يأخذ بعين الاعتبار أسمى هدف في جميع الأعمال، ويخَظُّط من أجل بلوغه. وكان أكبر هدفه إقامة حكومة الإسلام العالمية، وكان يعتقد أنه سيأتي اليوم الذي ترفرف فيه راية التوحيد على ربوع المعمورة، ويحكم المسلمون العالم (1).

ب- اجتثاث جذور الجهل

ينبغي تطهير المجتمع من الجهل وذلك لإقامة حكومة الإسلام العالمية على سَنَّة الأنبياء، لأنَّ حكومة الطاغوت-بأى اسم وشكل كانت-تستغلَّ جهل الناس. وجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مكافحة الجهل بصورة شاملة في صدر أعماله جميعها من خلال هذه الرؤية: «العلم رأس الخير كلّ، والجهل رأس الشرّ كلّ» (2). وأوصى أتباعه قائلا: «اغد عالما أو متعلّما، ولا تكن إمّعة» (3). و«الإمّعة» هو من ليس له رأى في الامور، بل يقلّد الآخرين تقليدا أعمى. كان هدف القيادة النبويّة بناء أمة لا جاهل فيها، إلاّ من كان في طريقه إلى التعلّم. وفي ضوء ذلك لا يتحقّق هدف النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما لم يقطع دابر الجهل في المجتمع. وهذا الهدف في غاية الرفع، تواكبه الهمة العالية للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وجميع القادة الربّانيين (4).

ص: 275

1-1) انظر «الأمل بالنجاح» وهو الفصل الحادى عشر من هذا القسم.

2-2) جامع الأحاديث: 102، بحار الأنوار: 77/175. [1]

3-3) بحار الأنوار: 2/22. و [2] قال الإمام الكاظم عليه السّلام: ابلغ خيرا وقل خيرا ولا تكوننّ إمّعة.

4-4) انظر مباني شناخت (اسس المعرفة): 25، 47.

الخلاصة

- الهمة هي العزم والإرادة. والإسلام لا يرى حداً لعلو الهمة، ويرى أن أفضل الهمم أعلاها.
- تنبثق كثير من الفضائل الإنسانية كالقناعة والكرم والحمية والشجاعة والعزة والإحسان من علو الهمة.
- قصر الهمة أحد العقبات الأساسية في طريق بلوغ الفضائل الإنسانية. ومن كان قصير الهمة فلا يتسنى له أن يحرز نجاحاً في الشؤون المادية والمعنوية.
- علو الهمة أحد الشروط المهمة للقيادة. وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتحلون بها، ويستثمرونها في متابعة أهدافهم.
- نلاحظ في دراسة سيرة القادة الربانيين العظام - خاصة نبينا وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين - أن علو هممهم يعلمنا دروساً كثيرة.
- إقامة الحكومة الإسلامية العالمية واجتثاث جذور الجهل من المجتمع والتخطيط لتنظيم أكبر قوة عسكرية في العالم نماذج من علو الهمة النبوية.
- علو الهمة عند النبي ﷺ باتجاه بناء الأمة النموذجية نابع من علو همته في بناء نفسه حقاً. وقد بلغ ﷺ أرفع درجات الكمال الإنساني في هذا المجال.

أكد القرآن الكريم على شرطين من بين شروط القيادة، وهما: الصبر، واليقين. ويدل هذا الاهتمام القرآني على أنهما يتصدّران خصائص الإمامة والقيادة برمتها. وسوف نتحدث عن اليقين في الفصل الرابع عشر. أما الصبر فسنستوفّر على دراسته في هذا الفصل.

القيادة والمقاومة

تقرأ في الآية 24 من سورة السجدة قوله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**. الصبر بمعنى التجلّد و مقاومة المصاعب والمحن والمشكلات الفرديّة والاجتماعيّة، وهو أحد الشروط الأصليّة الضروريّة للقيادة. ويرى الإسلام أنّ على الناس قاطبة أن يكونوا مقاومين صابرين في أعمالهم

كلّهما، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له» (1). و بدونه تمنى الأعمال بالفساد والتخلخل. بيد أنّ قائد المجتمع الإسلاميّ الذي يتولّى إمامة الصابرين و المقاومين ينبغي أن يتحلّى بهذه الصفة قبل الآخرين و أكثر منهم. إنّ أولى الإرادة الخائفة يفقدون روح المقاومة و الصمود، و لا طاقة لهم على تحمّل النضال و مواجهة الحوادث الكبرى و مشكلات إدارة المجتمع. من هنا فإنّ تقليدهم أمر القيادة غير سديد، بل هو خطر. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في اليوم الثاني من خلافته التي اضطلع بها بعد إصرار شديد من الناس، مبيناً أهمّ شروط القائد: «لا يحمل هذا الأمر إلاّ أهل الصبر و البصر و العلم بمواقع الأمر» (2). و جاء هذا المعنى في نهج البلاغة أيضاً: «إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه و أعلمهم بأمر الله فيه. . . و لا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر و الصبر و العلم بمواضع الحقّ» (3). يذكر الإمام عليه السّلام في هذين القولين عنصر الصبر و الصمود-إلى جانب الرؤية السياسيّة و الوعي القياديّ- بوصفه أحد العناصر الأصليّة في القيادة، و أحد خصائص القائد. و هكذا يحذّر نفسه و أتباعه من المؤامرات الخفيّة، و ذلك في سياق تبيان شروط القائد الذي يستطيع أن يمسك بزمام الامور في المجتمع الإسلاميّ.

ص: 278

1-1 (البحار: 69/376/27). [1]

2-2 (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 7/36). [2]

3-3 (نهج البلاغة: الخطبة 173). [3]

لا ريب أنّ للثبات دوراً مصيرياً فى إحراز الكفاءة القيادية، لأنّ شرط الإمامة و القيادة هو مواجهة المشكلات المتنوّعة. فالأشخاص غير المقاومين الذين يتأثرون بسرعة لا طاقة لهم على مواجهة هذه المشكلات. و ما يستحقّ الدراسة فى هذا الشرط هو الحافز الذى يشجّع القائد فى الإسلام على المقاومة. لا أرى الحافز إلاّ الله تعالى و ابتغاء مرضاته، و تطبيق الإسلام فى المجتمع. قال تعالى: **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ (1)**. الصمود و المقاومة من أجل الله سبحانه و كسب رضاه ليس إلاّ السعى من أجل التكامل المادىّ و المعنوىّ، و المقاومة لتطبيق الإسلام فى المجتمع. من هذا المنطلق، ليس الحافز على الصبر و المقاومة فى القيادة الإسلامية سياسياً-بالمعنى التقليديّ للسياسة-بل هو إلهيّ فى مسار هداية الإنسان نحو الكمال المطلق. تحقيقاً لهذا الهدف، على القائد-كخطوة أولى-أن يكون نموذجاً للإنسان الكامل كى يستطيع أن يقود الآخرين شطر الكمال المطلق. من هنا فإنّ لعنصر الصبر فى القيادة الإسلامية دوراً مؤثراً فى بناء شخصيّة القائد نفسه و تنضيج قابليّاته قبل قيامه فى مواجهة المشكلات السياسيّة و الاجتماعيّة.

امر الله تعالى نبيه بالصبر و الاستقامة

كان القادة الربّانيّون الكبار كافة يتّصفون بمزّيّة الصبر. و أمر الله سبحانه نبيّه صلى الله عليه و آله

ص: 279

أن يتحقق بالصبر والثبات في مواجهة المشكلات، كما فعل الأنبياء العظام جميعهم من قبله. قال تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَآءِ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (1). وقال سبحانه: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ (2). قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية. ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله! «شيبتنى هود والواقعة!» (3). ورد حديث جامع ورائع عن الإمام الصادق عليه السلام في صبر القادة الربانيين ومقاومتهم في مواجهة ضروب الشدوذ الاجتماعي، وتسلم زمام الامور، وفيما يأتي ملخصه: . . . إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق، فقال: وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (4). وقال تبارك وتعالى: اِدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَ مَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلَاقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (5). فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نالوه بالعظائم ورموه بها (أى: الكذب والجنون)،

ص: 280

[1-1] (الأحقاف:35). [1]

[2-2] (هود:112). [2]

[3-3] مجمع البيان:5/304.

[4-4] (المزمل:10). [3]

[5-5] فصلت:34 و35. [4]

فضاق صدره، فأنزل الله عزّ وجلّ: **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (1)**. ثمّ كذّبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ* وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا. . . (2)**. فالزم النبيّ صلّى الله عليه وآله نفسه الصبر، فتعدّوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذّبوه، فقال صلّى الله عليه وآله: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزّ وجلّ: **... فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (3)**. فصبر النبيّ صلّى الله عليه وآله في جميع أحواله. . . (ثمّ تمهّدت الامور للانتصار النهائي على المشركين)، فقتلهم الله على يدى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأحبّائه (واقامت الحكومة الإسلامية بقيادة رسول الله صلّى الله عليه وآله) وجعل له ثواب صبره مع ما ادّخر له فى الآخرة. فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتّى يقرّ [الله] له عينه فى أعدائه، مع ما يدّخر له فى الآخرة (4).

ص: 281

1-1 (الحجر: 97 و 98). [1]

2-2 (الأنعام: 33 و 34). [2]

3-3 (ق: 39).

4-4 (الكافي: 2/88/3، ملخصاً [3] مع توضيح يسير.

الخلاصة

- ☐ الصبر واليقين - من منظار القرآن الكريم - أهمّ خصائص الإمام وشروط القيادة.
- ☐ يرى الإسلام أنّ الناس ينبغي أن يكونوا مقاومين صابرين في جميع أعمالهم. وحرّيّ بقائد المجتمع الإسلاميّ أن يتحلّى بالصبر والمقاومة قبل الآخرين، وأكثر منهم.
- ☐ الحافز على الصبر في القيادة الإسلاميّة ليس سياسياً - بالمفهوم التقليديّ للسياسة - بل هو إلهيّ يصبّ في مسار هداية الإنسان نحو الكمال المطلق.
- ☐ للصبر دورٌ مؤثّر في بناء شخصيّة القائد الإسلاميّ وتنضيجها قبل دوره في مواجهة المشكلات السياسيّة والاجتماعيّة.
- ☐ أوصى الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ أن يتجهّز بالصبر والثبات في مواجهة المشكلات، كما فعل الأنبياء العظام ﷺ جميعاً من قبله.
- ☐ في ضوء السنّة الإلهيّة الثابتة: كلّ من صبر وقاوم لله تعالى فإنه سينتصر على الأعداء مع ما يُدخّر له من الثواب الأخرويّ. وكان انتصار نبيّنا ﷺ ثمرةً لصبره وثباته.

إشارة

اليقين فى اللغة هو الإدراك العميق، و العلم المصحوب بركون القلب إلى المعلوم (1). و يطلق فى الأحاديث المأثورة على الحالة التى تحصل للإنسان فى أعلى درجات التقوى نتيجة لوضوح حقائق الوجود. من هنا فإن من يبلغ درجة اليقين الرفيعة يشاهد الحقائق العقلية بعين بصيرته (2).

أهم خصائص الإمامة

إشارة

إذا لا حظنا الأحاديث و الروايات بدقّة عرفنا أنّ اليقين من أهمّ شروط القيادة فى الإسلام، بحيث إنّ جميع الخصائص الرفيعة للإنسان تتبع منه. و كلما قوى اليقين فى المرء نضجت فطرته الإنسانية أكثر، و اقترب من الكمال المطلق، و فاز بمقام الإنسان الكامل و الإمامة المطلقة و الولاية الإلهية الكلية فى أرفع درجات «اليقين» .

ص: 283

1-1) اليقين من صفة العلم فوق المعرفة و الدراية و أخواتها. . . و هو سكون الفهم مع ثبات الحكم. (المفردات للراغب).

2-2) انظر كتابنا مباني خدائنا ساسى (اسس معرفة الله): 466 و 476.

يمكن أن نعدّ أبرز الخصائص التي تستمدّ من «اليقين» وتمدّد القائد و القيادة بالحركيّة و النضج كالآتي:

1- الصبر

ذكرنا آنفا أنّ الصبر على الشدائد و مقاومتها أحد الخصائص المهمّة للقيادة. و ترى الأحاديث و الروايات أنّ الصبر ثمرة اليقين و أوّل لوازمه. قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: «الصبر ثمرة اليقين» (1). «الصّبر أوّل لوازم الإيقان» (2). «سلاح الموقن الصبر على البلاء و الشكر في الرخاء» (3). نلاحظ أنّ الصبر- في كلام الإمام عليه السّلام- أقرب فروع الفضائل الإنسانيّة إلى اليقين. فإذا اعتقد الإنسان بحقائق الوجود- و على رأسها المبدأ و المعاد- و أدرك الغاية من خلقه و خلق الوجود فإنّ أوّل ثمرة لهذا الاعتقاد هو تحمّل جميع الشدائد من أجل تطبيق التوجيهات الربّانيّة في مجال ضمان مستقبل واضح له، و بلوغ الغاية من خلقه. فالصبر سلاح فعّال لاوّل اليقين في ميدان مقارعة الشدائد و المحن.

2- التوكّل

إشارة

التوكّل أحد اللوازم الاخرى للقيادة. و عدّ في المعرفة الإسلاميّة من آثار «اليقين» أيضا. و عندما سأل نبيّنا صلّى الله عليه و آله جبرئيل عليه السّلام عن التوكّل قال: «العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ و لا ينفع، و لا يعطى و لا يمنع، و استعمال اليأس من

ص: 284

1-1) غرر الحكم: 411. [1]

2-2) غرر الحكم: 1580. [2]

3-3) غرر الحكم: 5560. [3]

الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل» (1). وبعبارة واحدة: التوكل هو الانقطاع عن الخلق والإقبال على الله تعالى في كافة الأعمال. فالقائد الذي لا يتوكل على الله ويحسب أن أنصاره هم الرصيد ويبداهم نفعه وضره لا يمكنه أن يطبق العدالة الاجتماعية. وهو يحترم حقوق الناس ما دامت لا تهدد مصالحه الخاصة ومصالح أنصاره. وإذا شعر بالخطر فإن الهوى أو الخوف يحول دون تطبيق الحق والعدل. أما القائد الذي يتوكل على الله وحده ولا يخشى أحدا سواه ولا يرجو غيره فهو قادر بهذه القوة على إزالة أكبر العقبات التي تحول دون تطبيق العدالة الاجتماعية، وعلى هداية المجتمع نحو قمم التكامل.

دور اليقين في التوكل

التوكل في الأحاديث والروايات ثمرة اليقين. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «التوكل من قوة اليقين» (2). «بحسن التوكل يستدل على حسن الإيقان» (3). كلما تقدم الإنسان في معرفة ربه و اكتمل يقينه قل اعتماده و توكله على غيره، و زاد توكله عليه، و شعر باقتدار بالغ في نفسه لمقارعة الأخطار التي تهدد المجتمع الإنساني. من هنا كان الأنبياء العظام الذين بلغوا أعلى درجات اليقين يتدرعون بسلاح التوكل على الله في مقابلة التهديدات المختلفة للقوى الاستكبارية.

ص: 285

1-1) معاني الأخبار: 261/1، بحار الأنوار: 71/138، [1] كنز الدقائق: 13/308. [2]

2-2) غرر الحكم: 699. [3]

3-3) غرر الحكم: 4286. [4]

قال تعالى: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (1).

3-الإخلاص

إشارة

هو صفة اخرى من صفات القادة الربانيين. ويعنى تهذيب النفس من الميول غير الربانية، والخروج من عبادة الذات إلى عبادة الله تعالى و طلب مرضاته فى جميع الامور. ما لم يخرج الإنسان من عبادة الذات إلى عبادة الله تعالى فإن الميول غير الربانية لا تدعه يكون خادما مخلصا للامة وإن شق شعار حمايته لها عنان السماء! ولهذا السبب تفضى الرؤية المادية فى آخر المطاف إلى الفردية والاستبداد، كما هو الحال فى المذهب الشيعي. المخلصون وحدهم هم الصادقون فى شعار حماية الأمة، وهم الذين لا يتخذون من خدمتها ذريعة لتحقيق مكاسبهم المادية، وإحراز الشهرة والاستئثار بالسلطة، ولا يهتمهم إلا تحقيق مرضاة الله تعالى فحسب. من هنا يختارون لأنفسهم العمل الأنفع للامة، لا لأنفسهم وذوى قرباهم. قال الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه فى وصيته لابنه: «أى بنى، لا تتهرّب من المسؤولية الإنسانية المتمثلة بخدمة الحقّ فى إطار خدمة الامة، فإنّ نفثات الشيطان فى هذا الميدان لا تقلّ عن نفثاته فى نفوس المسؤولين و المتصدّين. لا تتهافت على المنصب مهما كان، معنويًا أم ماديًا بذريعة أنك تريد أن

ص: 286

تقترب من المعارف الإلهية أو تخدم عباد الله، فإن التفكير بذلك من وساوس الشيطان، فضلا عن السعي من أجل الحصول عليه. أسمع قلبك وروحك موعظة الله الواحدة، واقبلها جهد المستطاع، و سر في خطها: قُلْ إِنَّمَا أَعْظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنَى وَفُرَادَى (1). فالميزان في أول السير هو القيام لله في الممارسات الفردية الخاصة و في النشاطات الاجتماعية. أي بنى، نحن عاجزون عن شكر نعمائه و آلائه، فما أحرانا أن لا نغفل عن خدمة عباده! إذ أن خدمتهم خدمة للحق، لأن الجميع منه تعالى. و إياك أن تمن في خدمتهم و ترى نفسك منعما عليهم، فهم الممتنون علينا حقا، لأنهم واسطة خدمته جلّ و علا. و لا تبغ شهرة و وجاهة من وراء خدمتهم، فإن ذلك من مكائد الشيطان إذ يحتبلنا بحبائله. و اختر في خدمة عباد الله ما هو أنفع لهم، لا لك و لأحبائك، فهذه آية الصدق عند الله جلّ و علا» (2). القادة الربّانيون الكبار الذين حازوا على أعلى درجات الإخلاص يبغون خدمة الناس بكلّ ما اوتوا إرضاء لله تعالى، و لا يرجون شيئا لأنفسهم، فهم خدم صادقون بلا أجر و لا منة (3). إنهم لا يريدون أن يكسبوا مكسبا لقاء خدمتهم للناس حتى في أشقّ ظروفهم إرضاء لله سبحانه.

ص: 287

1-1 سبأ: 46. [1]

2-2 صحيفة النور: 22/359، الرسالة المؤرّخة في 17 شوال سنة 1404 هـ.

3-3 انظر ص 95 من هذا الكتاب.

رويت قصة ذات عبرة و سماع عن أول لقاء جرى بين موسى عليه السلام-قبل النبوة-و شعيب عليه السلام. لمّا توجه موسى عليه السلام تلقاء مدين-بلد شعيب عليه السلام-فأزّاه من فرعون وجد أمة من الناس قد اجتمعوا على بئر من أجل سقى قطعانهم، و وجد من دونهم امرأتين تزدان و هما بحاجة إلى من يسقى لهما أغنامهما، و كانتا بنتى النبى شعيب عليه السلام. بيد أنّ موسى عليه السلام لم يعرفهما، فسقى لهما و ارتوت أغنامهما، ثم رجعتا إلى البيت. كان موسى عليه السلام يتضور من الجوع، فرفع يديه بالدعاء قائلاً: رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (1). قال أمير المؤمنين عليه السلام: و الله ما سأله إلاّ خبزاً يأكله! عادت إحدى البنيتين إلى موسى عليه السلام، و دعته إلى البيت قائلة له: إنّ أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. فذهب معهما، و كان العشاء جاهزاً، لكنّ موسى عليه السلام ظلّ واقفاً و لم يجلس إلى المائدة. دعاه شعيب عليه السلام و قال: اجلس يا شابّ، فتعشّ! قال موسى: أعوذ بالله! سأله شعيب متعجباً، و لم ذاك؟! أأنت بجائع؟! قال: بلى، و لكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما. («و أنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملاء الأرض ذهباً») . قال شعيب: لا و الله يا شابّ، و لكنّها عادتى و عادة آبائى نقرى الضيف و نطعم

ص: 288

دور اليقين فى الإخلاص

ترى الأحاديث و الروايات المأثورة أنّ الإخلاص -بما له من دور فى قيادة القادة الربّانيين و خدمتهم الصادقة للناس- أحد فروع اليقين. نلثقت إلى عدد من أقوال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا المجال، قال: «سبب الإخلاص اليقين» (2). «إخلاص العمل من قوّة اليقين» (3). «إنّ إخلاص العمل اليقين» (4). إنّه كلّما قوى يقين الإنسان باللّه تعالى ضعفت ميوله غير الإلهيّة، و بلغ الإخلاص الكامل فى أرفع درجات اليقين، و أصبح كفوء لخدمة خلق اللّه فى موقع القيادة.

4- الزهد

إشارة

هو أيضا أحد خصائص القادة الربّانيين، و أحد فروع اليقين. الزهد ضدّ الرغبة، و بمعنى عدم الميل. و القصد منه فى النصوص الإسلاميّة هو الإعراض عن الظواهر الماديّة و المملدّات و المشاغل الملهية التى تقضى الرغبة فيها إلى توقّف الحركة التكامليّة للإنسان أو بطئها. ينبغى للقائد من منظار الإسلام أن لا يمسك عن المملدّات فحسب، لأنّ الإمساك تزهد لا زهد، بل عليه أن يميّت الجنوح إليها فى نفسه، كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى نهج

ص: 289

[1-1] بحار الأنوار: 13/21. [1]

[2-2] غرر الحكم: 5538. [2]

[3-3] غرر الحكم: 1301. [3]

[4-4] تحف العقول: 151، بحار الأنوار: 77/291. [4]

البلاغة: «ميتة شهوته» (1). ذلك أن القائد و الإمام في الإسلام اسوة و قدوة للامة، فلا بد له أن يعلم المجتمع و أتباعه-بقوله و فعله-كيف يتحركون في مسار التكامل كى لا يقعوا في فخ المغريات المضللة، و لا يتناولوا على الحكمة من وراء خلقهم. على القائد أن يعلم الناس عمليا كيف يحيون، كى لا تصدّهم الثروة و السلطة و الرئاسة و الشهوات المختلفة عن التحرك نحو الكمال المطلق. من هنا إذا كان القائد غير زاهد فلا- مناعة عنده من الانحراف نحو المغريات المادية، فكيف يكون اسوة للآخرين؟ و كيف يمكنه إيصالهم بأن لا يقعوا في فخ المغريات المضللة؟ و أخيرا كيف يدعو الامة إلى الكمالات الإنسانية؟! من هذا المنطلق عدّ الزهد في الثقافة الإسلامية من أول شروط النبوة و الإمامة و القيادة، كما نقرأ في أول دعاء الندبة: «... بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية و زخرفها و زبرجها، فشرطوا لك ذلك، و علمت منهم الوفاء به، فقبلتهم و قربتهم و قدّمت لهم الذكر العلى و الثناء الجلى، و أهبطت عليهم ملائكتك، و كرّمتهم بوحيك، و رفدتهم بعلمك...» (2).

دور اليقين في الزهد

جاء الزهد في النصوص الإسلامية كأحد آثار اليقين و ثماره. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اليقين يثمر الزهد» (3).

ص: 290

1-1) نهج البلاغة: الخطبة 193. [1]

2-2) انظر مفاتيح الجنان: دعاء الندبة. [2]

3-3) غرر الحكم: 843. [3] و انظر أيضا 459 و 4601.

«زهد المرء فيما يفنى على قدر يقينه بما يبقى» (1). «لو صحَّ يقينك ما استبدلت الفاني بالباقي، و ما بعت السنن بالدين» (2). عند ما يتعرّف الإنسان على حقائق الوجود و يخبر حقيقة الدنيا و الآخرة في ظلّ نور اليقين فإنّه يدرك أنّ الملذّات المادّيّة لا تستحقّ الركون إليها، بل يعتقد أنّ رخاء الدنيا و لذّاتها هو بالزهد فيها و الرغبة عنها. كان الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه أحد الذين أدركوا حقيقة الدنيا و الآخرة. و قد رسم لابنه صورة لمعرفته بالدنيا، فقال رحمه الله: «نظرت في أحوال المقتدرين و الأثرياء فرأيت أنّ آلامهم الروحيّة و معاناتهم النفسيّة أكثر من غيرهم، و أنّ عدم إدراكهم لآمالهم و أمانيتهم الكثيرة شديد الإيلام لأنفسهم. إنّ الذين يحاولون الاستعلاء و التفوّق بأيّ نحو كان سواء في العلوم-بما فيها الإلهيّة منها-أم في السلطة و الشهرة و الثروة إنّما يزيّدون في معاناتهم من حيث لا يشعرون. إنّ المتحرّرين من الكبول المادّيّة-الذين أنقذوا أنفسهم من فخّ إبليس نوعاً ما-هم سعداء مرحومون في هذه الدنيا. عندما اشتدّت الضغوط على علماء الدين في عهد رضا خان بهلوى من أجل تغيير زيّهم-و كان العلماء في الحوزات العلميّة يعيشون في قلق و اضطراب. . . - رأيت شيخاً عليه مسحة التقوى و هو واقف قريباً من أحد المخابز يأكل رغيفاً من الخبز غير مأدوم، فقال لي: «قيل لي: انزع عما متك فنزعتها، و أعطيتها شخصاً كي يخيّط له بها قميصين. الآن أكلت رغيفي و شبعت. و إذا جنّ عليّ

ص: 291

[1-1] نفسه: 5488. [1]

[2-2] نفسه: 7588. [2]

الليل فالله أرحم الراحمين». أي بنى! لو قلت إني على استعداد لاستبدال هذه الحال بجميع مناصب الدنيا فصدقتي، ولكن هيهات أن يغلبني إبليس و النفس الخبيثة» (1). إن من عرف الدنيا مثل هذه المعرفة فقد أخذ الزهد بطرفيه. و هيهات أن تحتبله حبال الشيطان من شهوة و سلطة و رئاسة. أجل، و مثله جدير بقيادة العالم الإسلامي.

5- الشجاعة

إشارة

خاصّة أخرى من خصائص القادة الربّانيين و هي الشجاعة. قال أمير المؤمنين عليه السلام في حاجة القائد إليها: «يحتاج الإمام الى قلب عقول، و لسان قوول، و جنان على إقامة الحقّ صوول» (2). ترى التعاليم الإسلاميّة أنّ الأشخاص الذين لهم حقّ المسك بزمام قيادة الامّة هم الذين يتّصفون بالشجاعة أكثر من غيرهم (3). كان رسول الله صلّى الله عليه و آله- و هو إمام الأئمّة و قائد القادة الربّانيين- أشجع من الجميع. و كان يقاتل في الصفّ الأوّل عند اشتداد الحرب، حتّى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله صلّى الله عليه و آله، فلم يكن أحد متّ أقرب إلى العدو منه» (4).

ص: 292

1-1 صحيفة النور: 22/358، الرسالة المؤرّخة في 17 شوّال سنة 1404 هـ.

2-2 غرر الحكم: 11010. [1]

3-3 انظر معانى الأخبار: 4/102، بحار الأنوار: 25/116 و 165، و: 68/390. [2]

4-4 بحار الأنوار: 44/191/19. [3]

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضا: «أشجع الناس من لا ذر رسول الله صلى الله عليه وآله» (1).

دور اليقين في الشجاعة

ترى الأحاديث والروايات المأثورة أنّ اليقين لا يمنح الإنسان شجاعة فحسب، بل يبلغ به أرفع درجاتها. قال أبو بصير: سألت أبا عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام عن اليقين، فقال: «أن لا تخاف مع الله شيئا» (2). عند ما يبلغ الإنسان في حركته التكاملية درجة اليقين و يكشف حقائق الوجود بعين بصيرته يدرك أنّ جميع ضروب الخوف وهمية عند من كان مع الله، وأنّ كافة الأشياء التي يخشاها الجبناء إنّما هي كالفرّاعة التي يخاف منها الصغار. إنّ خوفا واحدا فحسب له وجوده الواقعي، وهو الخوف من الذنب (3). من هنا فإنّ أولى اليقين لا يخافون إلاّ ذنوبهم. وقد كان سيّدهم وإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام مضرب الأمثال في شجاعته، فقال في تبين فلسفة شجاعته الفذة الفريدة في ساحة القتال: «إني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعل بصيرة من نفسي ويقين من ربّي، وإني إلى لقاء الله لمشتاق» (4).

ص: 293

1-1 (1) تفسير العيّاشي: 1/262/213، [1] بحار الأنوار: 16/340/31. [2]

2-2 (2) الكافي: 2/57/1. [3]

3-3 (3) قال الإمام عليّ عليه السلام: «لا يرجون أحد منكم إلاّ ربّه ولا يخافنّ إلاّ ذنبه»، نهج البلاغة: الحكمة 82.

4-4 (4) نهج البلاغة: [4] الكتاب 62.

وهو أحد الخصائص العظيمة للقادة الربانيين. ويرى القرآن الكريم أنّ من طبّقه في وجوده بمفهومه المطلق الواسع (1) فهو جدير بالقيادة، وعلى الناس أن يدعوه إمامهم ومقتداهم، ويكونوا معه في طيّ طريق السعادة والتكامل. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (2). إنّ حجم ثقة الناس بالقائد رهين بصدقه، فكّلما كان صدقه أكثر زادت ثقتهم به، ومن ثمّ تضاعفت قدرته ونفذ كلامه أبلغ من ذي قبل. كان صدق الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه أحد أسرار نجاحه في القيادة. فمتى شعر أنّه أخطأ اعترف بخطئه بكلّ صدق وصراحة من دون توجيه. وهو القائل رحمه الله كلمته التي هي ذات سماع: «كلام الرجل اثنان» أي: إنّ الرجل هو الذي إذا شعر أنّه أخطأ فلا يلجّ ولا يشاكس بل يقبل خطأه. وقد ورد أحد مواطن اعترافه الصادق في آخر وصيّته السياسيّة الإلهيّة إذ يقول رحمه الله: «ذكرت بعض الأشخاص وأثنت عليهم في مناسبة أو أخرى من مناسبات الثورة منخدعا بريائهم وتظاهروا بالإسلام. ثمّ تبين لي أنّي كنت غافلا عن مكرهم. فاتّبه على أنّ ذلك الشاء قد صدر منّي حين كانوا يبدون التزامهم بخطّ الجمهوريّة الإسلاميّة، ويصحرون بوفائهم لها».

دور اليقين في الصدق

ترى الأحاديث والروايات المأثورة أنّ الإيمان والكذب لا يجتمعان (3)، فكيف

ص: 294

1-1) انظر تفسير الميزان: 9/402. [1]

2-2) التوبة: 119. [2]

3-3) انظر ميزان الحكمة: الباب 3458، «الكذب والإيمان».

تكون الحالة عند بلوغ الإنسان أرفع درجات الإيمان وهو اليقين؟ إنَّ أولى اليقين لا يدركون المناقب والمثالب العقيدية والأخلاقية والعملية فحسب، بل يشعرون بها ويجدونها. ومن بلغ هذه الدرجة من الكمالات الروحية لا يجد في نفسه أرضية للكذب-الذى ليس له جذر إلا الامتهان والخسة-(1). من هنا يرى أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ الصدق أشرف خصائص أولى اليقين. قال عليه السلام: «الصدق أشرف خلائق الموقن» (2). في ضوء ذلك كلما زاد إيمان الإنسان و يقينه زاد صدقه، و بلغ في ذروة اليقين أرفع درجات الصدق، التي هي شرط الولاية والإمامة المطلقة.

دور اليقين في أرفع درجات القيادة

تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في عصره (3) محللاً-إياها تحليلاً عميقاً وموجزاً، و شاكياً من فقدان من يستطيع أن يستوعب علمه الجَمِّ المخزون في صدره، ثم قال بعد ذلك: «اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته». و واصل عليه السلام كلامه فقال في عدد الكفوئين-الذين وصفهم بأنهم حجج لله تعالى في جميع الأعصار-و مكانهم: «و كم ذا؟ و أين أولئك؟ أولئك و الله الأقلون عدداً، و الأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيئاته، حتّى يودعوها نظراءهم و يزرعوها في قلوب

ص: 295

1-1) روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه». . الاختصاص: 232، بحار الأنوار: 72/262/45.

2-2) غرر الحكم: 1253. [1]

3-3) انظر كتابنا مباني شناخت (اسس المعرفة): 37 و 41.

أشباههم». ثم عدّد خصائص هؤلاء الأصفياء الذين ارتقوا أرفع درجات الإنسانيّة و الإمامة، وأشار إلى دور اليقين، فقال عليه السّلام: «هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، و باسروا روح اليقين، و استلنا ما استعوره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى. أولئك خلفاء الله في أرضه، و الدعاة إلى دينه. آه آه شوقا إلى رؤيتهم!» (1).

ص: 296

1-1) نهج البلاغة: الحكمة 147. [1]

الخلاصة

- ▣ اليقين في اللغة هو الإدراك العميق، والعلم المصحوب بركون القلب إلى المعلوم. ويُطلق في الأحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للإنسان في أعلى درجات التقوى، نتيجةً لوضوح حقائق الوجود.
- ▣ اليقين أهمّ خصائص القيادة في الإسلام. وجميع الخصائص الرفيعة للإنسان تنبع منه. وفي أرفع درجاته يفوز المرء بمقام الإنسان الكامل والإمامة المطلقة والولاية الإلهية الكلية.
- ▣ أبرز خصائص القيادة التي تستمدّ من اليقين هي: الصبر، والتوكّل، والإخلاص، والزهد، والشجاعة، والصدق.
- ▣ ورد دور اليقين في أرفع درجات القيادة في الحكمة ١٤٧ من جِكم نهج البلاغة.

الفصل الأول

الهوى

الهوى هو أخطر الآفات، بل أصلها جميعاً. ومن تمكّن من الابتعاد عنها فقد ابتعد عن الآفات بأسرها. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الشّهواتُ آفاتٌ»^(١).

«امنع نفسك من الشهواتِ تسلم من الآفات»^(٢).

تتمثّل حكمة الإمامة والقيادة في هداية المجتمع على نهج الله تعالى وفي طريق التكامل المادّي والمعنوي للإنسان. وعلى القائد أن يعرف الطريق ليتحرّك في طليعة السائرين ويستطيع أن يكون هادياً. والهوى أسّ الضلال، وهي الآفة التي تجرّ الإنسان إلى التيه والضياع. ومن انتظر قيادة الضالّ وتوجيهه فقد ذهب شططاً. من هنا خاطب الله تعالى نبيه داود عليه السلام، فقال جلّ شأنه:

«يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

(١) غرر الحكم: ٤٩ و ١٨٨٨. وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام: «من تسرع إلى الشهوات تسرع إليه الآفات».

غرر الحكم: ٨٥٨٩.

(٢) نفسه: ٢٤٤٠.

الهوى هو أخطر الآفات، بل أصلها جميعا. و من تمكّن من الابتعاد عنها فقد ابتعد عن الآفات بأسرها. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشّهوات آفات» (1). «امنع نفسك من الشّهوات تسلم من الآفات» (2). تتمثل حكمة الإمامة و القيادة فى هداية المجتمع على نهج الله تعالى و فى طريق التكامل المادىّ و المعنوىّ للإنسان. و على القائد أن يعرف الطريق ليتحرّك فى طليعة السائرين و يستطيع أن يكون هاديا. و الهوى اسّ الضلال، و هى الآفة التى تجرّ الإنسان إلى التيه و الضياع. و من انتظر قيادة الضالّ و توجيهه فقد ذهب شططا. من هنا خاطب الله تعالى نبيّه داود عليه السلام، فقال جلّ شأنه: يا داؤدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

ص: 301

1 - 1) غرر الحكم: 49 و 1888. و [1] جاء فى حديث آخر عنه عليه السلام: «من تسرّع إلى الشهوات تسرع إليه الآفات». غرر

الحكم: 8589. [2]

2- 2) نفسه: 2440. [3]

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (1). القادة الربّانيون خلفاء الله في خلقه. من هنا ينبغي أن تقوم حكومتهم على قاعدة الحقّ و العدل. و إنّ اتّباع الهوى انحراف عن صراط الله و ابتعاد عن محبّة الحقّ و العدل. على هذا الأساس نجد أنّ ذا الهوى ليس أهلاً للخلافة الإلهيّة و إمامة الناس و قيادتهم. قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السّلام فقال: «حرام على كلّ قلب عالم محبّ للشّهوات أن يجعله إماماً للمتّقين» (2). إنّ قيادة المرء للمتّقين ليس أمراً هيّناً يحسن القيام به كلّ فرد. ذلك أنّ لهم خصائص معيّنة، منها أنّ أحدهم «ميتة شهوته» (3)، على حدّ تعبير إمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام في نهج البلاغة. من هنا لا يمكن أن يجعل الله تعالى أسير الهوى و الشهوات إماماً و قائداً لأناس فازوا و انتصروا في الجهاد الأكبر، و أفلحوا في كبح النفس الأمّارة. لذا عبّر الحديث المتقدّم من عدم أهليّة العالم النزويّ لقيادة المجتمع بحرمة إمامته حرمة تكوينيّة. في ضوء ذلك، لا يليق بمنصب القيادة الربّانيّة و إمامة المتّقين إلّا من خلع سراويل الشهوات عن بدنه، و ألزم نفسه العدل-كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام-بنحو تكون خطوته الأولى على طريق العدل نفى الهوى عن نفسه. «قد خلع سراويل الشهوات، و تخلّى من الهموم إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى و مشاركة أهل الهوى، و صار من مفاتيح أبواب الهدى و مغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه و سلك سبيله. . . فهو من معادن دينه و أوتاد

ص: 302

1-1) ص: 26.

2-2) مشكاة الأنوار: 85، [1] روضة الواعظين: 461. [2]

3-3) نهج البلاغة: الخطبة 193.

أرضه. قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفى الهوى عن نفسه» (1). يستوقفنا في هذا الكلام عدد من الملاحظات الجديرة بالتأمل: 1- آفة الهوى تعمي البصيرة، ولا طريق لهدى البصيرة إلا خلع سراويل الشهوات. 2- إذا ابتعد المرء عن الهوى أصبح من مفاتيح أبواب الهدى، و أبصر الطريق الصحيح، وتحرك في طليعة السائرين، فيصير أهلاً لقيادة الأمة. 3- يصبح الإنسان في هذا الموقع من معادن الدين وأوتاد الأرض، ويكون جديراً بالإمامة والقيادة. 4- من بلغ هذا المنصب الإلهي فلن ينكب عن صراط الحق والعدل أبداً، لأنه في أول خطوة له على طريق العدل-نفى عن نفسه الهوى المفضي إلى الانحراف.

الإمامة و اللهو و اللعب

يستبين لنا مما تقدّم سبب ورود «اللهو و اللعب» في روايات أهل البيت عليهم السلام على أنه أحد موانع الإمامة والقيادة. قال أمير المؤمنين عليه السلام في علامات الخلق بالإمامة: «لا يلهو بشيء من أمر الدنيا» (2). روى معاوية بن وهب-أحد أصحاب الإمام الباقر عليه السلام-قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما علامة الإمام الذي بعد الإمام؟ فقال: «طهارة الولادة، و حسن المنشأ، و لا يلهو و لا يلعب» (3).

ص: 303

1- 1) نهج البلاغة: الخطبة 87. [1]

2- 2) بحار الأنوار: 25/164. [2]

3- 3) الكافي: 1/285/4، [3] بحار الأنوار: 25/166/34. [4]

ورد اللهو واللعب في هذه الروايات واحدا من آفات القيادة و من موانع تحقّقها. ولكن لمّا كان مطلق اللهو غير مذموم من منظار الإسلام فمن الضروريّ أن نستعرض بايجاز ضروب اللهو، حسب الرؤية الإسلاميّة، من أجل تبيان المشروع منها وغير المشروع، و ما يعدّ منها آفة من آفات القيادة.

ضروب اللهو من منظار الإسلام

إشارة

يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة ضرب:

1-اللهو الممدوح

يبیح الإسلام اللهو المفيد في مجال اللياقة البدنيّة، و تنشيط الفكر، و طمأنينة الروح و تهدئة الأعصاب إذا لم يقترن بالأعمال المحرّمة. و اهتمت الأحاديث و الروايات ببعض أنواع الرياضة و اللهو و أوصت بها كالسباحة و الرماية و ركوب الخيل و الجلسات الترفيهيّة، و المزاح السليم بين المؤمنين و أمثال ذلك (1).

2-اللهو المذموم

يذمّ الإسلام الألعاب و أنواع اللهو التي لا فائدة فيها للإنسان، و أعلن القرآن الكريم بصراحة أنّ إحدى خصائص المؤمنين إعراضهم عن اللغو: «الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» (2). قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «اللهو يفسد عزائم الجدّ» (3).

ص: 304

1-1) انظر ميزان الحكمة: الباب 3586/ «لهو المؤمن» .

2-2) المؤمنون:3. [1]

3-3) غرر الحكم:2165. [2]

يحرم الإسلام بعامّة ضروب اللهو المضرة كالتقمار والغناء و المناظر المثيرة للشهوة و مجالس اللهو. كان القادة الربّانيون الكبار لا يعرضون عن ضروب اللهو الحرام فحسب، بل يتحامون أنواع اللهو المذموم أيضا. و هذا التحامى فضيلة للمؤمنين و ضرورة للقادة الربّانيين. من هنا نقرأ فى الروايات أنّ الأئمة المعصومين عليهم السّلام كانوا فى طفولتهم لا يلعبون كما يلعب سائر الأطفال. نقل صفوان الجمال-أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام-أنّه سأل الإمام عليه السّلام عن صاحب هذا الأمر (الجدير بالإمامة) ، فقال: إنّ صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب (1).

الإمامة و الملذّات المباحة

فى مضممار الإعراض عن الهوى لم يتجنّب القادة الربّانيون الكبار و أئمّتنا المعصومون الملذّات المحرّمة فحسب، بل كانوا يرون أنّ من واجبهم-و هم فى موقع الإمامة و القيادة-الترقّع عن الملذّات المباحة أيضا، مواساة للفقراء البائسين. قال المعلّى بن خنيس-أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام-: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام (الإمام الصادق) يوما: جعلت فداك، ذكرت آل فلان (آل العباس) و ما هم فيه من النعيم، فقلت: لو كان هذا (أمر الحكومة) إليكم لعشنا معكم. يتبيّن من هذا الكلام أنّ المعلّى كان من أهل الدنيا، و يضاف إلى أنّه لم يكن من اولى النضال و تحمّل الشدائد و المحن، أنّه لم يعرف اسس القيادة فى الإسلام معرفة صائبة. و كان يتصوّر أنّ الإمام الصادق عليه السّلام لو تصدّى للقيادة السياسيّة لكان له ما

ص: 305

كان لغيره من الحكّام من المتع ووسائل الترف و الانغماس في المملدّات الحسّية، مع فارق واحد بينهما و هو أنّ اولئك يمارسون ذلك عن طريق الحرام أمّا أهل البيت عليهم السّلام فإنّهم يمارسونه عن طريق الحلال. قال الإمام عليه السّلام في جواب هذا التفكير الساذج: «هيهات يا معلّى! أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلاّ سياسة الليل و سياحة النهار، و لبس الخشن و أكل الجشب» (1). و أضاف الإمام عليه السّلام، في رواية اخرى: «شبه أمير المؤمنين عليه السّلام، و إلاّ فالنار» (2). و قال عليه السّلام في رواية اخرى أيضا، و هو يجيب أبا بصير: «مثل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و إلاّ فمعالجة الأغلال في النار» (3). يدلّ هذا الكلام على أنّ العيش البسيط و الإعراض عن المملدّات المباحة مواساة للفقراء ليسا ممّا يختصّ بأمير المؤمنين عليه السّلام-على عكس ما يسمع أحيانا-بل هما من التكليف الإلهيّ على جميع أئمة العدل. و تلاحظ هذه الحقيقة بمزيد من الصراحة في كلام الإمام عليه السّلام حيث يقول: «إنّ الله عزّ و جلّ فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس، كي لا يتبيخ (4) بالفقير فقره» (5). و عندما دخل الأحنف بن قيس على معاوية قدّم إليه من الحلو و الحامض ما كثر

ص: 306

1-1) الكافي: 7/410/2. [1]

2-2) الغيبة للنعماني: 287/7. [2]

3-3) نفسه: 288/8. [3]

4-4) أي: يهيج.

5-5) الكافي: 1/411/3، [4] نهج البلاغة: الخطبة 209. [5]

تعجبه منه، فبكى الأحنف. فقال معاوية: ما يبكيك؟ قال: لله درّ ابن أبي طالب! لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك. فقال: و كيف؟ قال: دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لى: قم و تعشّ مع الحسن و الحسين. ثمّ قام إلى الصلاة، فلمّا فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيرا مطحونا، ثمّ ختمه. فقلت: يا أمير المؤمنين، لم أعهدك بخيلا، فكيف ختمت على هذا الشعير؟! فقال: لم أختمه بخيلا، و لكن خفت أن يبسه الحسن و الحسين بسمن أو أهالة فقلت: أحرام هو؟ قال: «لا، و لكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالا فى الأكل و اللباس، و لا يتميّزون عليهم بشيء لا يقدرّون عليه، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، و يراهم الغنى فيزداد شكرا و تواضعا» (1). الموضوع المهمّ هنا هو: من ذا الذى يستطيع أن يعيش عيشة الفقراء أو عيشة أفقر الناس و بيده جميع الإمكانيات المتوفّرة فى البلاد؟! إنّ زعم المقتدرين العيش كأفقر الناس شعار جميل جدّاب على مستوى الألفاظ، و لكنّ تطبيقه فى غاية الصعوبة. و لا يعمل به إلاّ من تغلّب على نفسه الأمّارة و كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «أول عدله نفى الهوى عن نفسه» (2). و كان كذلك هذا الإمام العظيم

ص: 307

1-1) تذكرة الخواص: 110. [1]

2-2) نهج البلاغة: الخطبة 87. [2]

الذى يقول: «ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (1)» ومن طعمه بقرصيه. . . أفنع من نفسى بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم فى مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم فى جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها (2)، تكثرش من أعلافها، و تلهو عمّا يراد بها» (3).

ص: 308

1-1) الطمر-بالكسر-: الثوب الخلق البالى.

2-2) التقاطها للقمامة، أى الكناسة.

3-3) نهج البلاغة: [1] الكتاب 45.

الخلاصة

- ☐ الهوى أخطر الآفات التي تهدد القيادة بل أصلها جميعاً، ومن أعرض عنه فقد أعرض عنها برمتها.
- ☐ الهوى يضل المرء. ومن انتظر قيادة الضال فقد ذهب شططاً. ومن هنا لا يصلح ذو الهوى للخلافة الإلهية وقيادة الأمة.
- ☐ الجدير بإمامة المتقين هو الذي تغلب على نفسه الأمانة وخلع عنه سراويل الشهوات. وأول خطوة له على طريق العدل نفي الهوى عن نفسه.
- ☐ القادة الربانيون الكبار لا يعرضون عن اللهو الحرام فحسب، بل يُعرضون عن مطلق اللهو المذموم أيضاً. والإعراض عن اللهو المذموم فضيلة للمؤمنين وضرورة للقادة الربانيين.
- ☐ لم يتفرد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ببساطة العيش والإعراض عن الملذات المباحة مواساة للفقراء، بل هو تكليف إلهي لأئمة العدل جميعاً.

الظلم بمفهومه الواسع (1) المتمثل بالانحراف عن الموضوع الحقيقي للأمر في العقيدة، والأخلاق، والعمل هو تجسيد مائل للهوى. فلا فرق بين أن نقول: إن الهوى أصل جميع آفات القيادة أو إن الظلم أصلها. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في هذا المجال: «الظلم أم الرذائل» (2). من هنا، عندما سأل إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يجعل مقام الإمامة في ذريته كان الجواب أن الحاجز الوحيد الذي يحول دون إجابة هذا الطلب هو الظلم. قال تعالى: وَإِذْ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ فَكُلَّمَا قُرِئَ آيَةٌ قَالُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُ بَيْنَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبُّنَا أَلَيْسَ لَنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلَافٌ مِّنْ ذُرِّيَّتِنَا أَلَيْسَ لَنَا بِمَدِينَةٍ مَّا يَمْشُونَ عَلَيْهَا لَوْلَا إِذْ سَأَلْتَهُنَّ لَمَنَّاهُنَّ فَجَبَّتْ رُءُوسَهُنَّ وَأَن يَتَذَكَّرْنَ أَعْيَيْنَ أَلَيْسَ لَنَا بِمَدِينَةٍ مَّا يَمْشُونَ عَلَيْهَا لَوْلَا إِذْ سَأَلْتَهُنَّ لَمَنَّاهُنَّ فَجَبَّتْ رُءُوسَهُنَّ وَأَن يَتَذَكَّرْنَ أَعْيَيْنَ (3).

ص: 311

1-1) انظر كتابنا مباني شناخت (اسس المعرفة): 316 و 324.

2-2) غرر الحكم (طبعة النجف): 20/15، ميزان الحكمة: 11073، و [1] في غرر الحكم (طبعة جامعة طهران): 1/202/804 «الظلم الأم الرذائل» .

3-3) البقرة: 124. [2]

قال الإمام الرضا عليه السلام، في توضيح هذه الآية: «فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة» (1). النقطة اللافتة للنظر هي أنّ هذه الآية الكريمة لا تقرّر-فحسب-أنّ الظلم والجور الحاجز الأساس أمام تلقّي القيادة، بل إنّها-إذا دقّقنا النظر في مضمونها-يمكن أن يفهم منها أنّ الصيانة من مطلق الظلم في العقائد والأخلاق والأعمال ضروريّ من أجل الوصول إلى أرفع درجات الإمامة والولاية المطلقة (2). بعبارة أخرى: هذه الآية دليل من أدلّة شرط العصمة في الإمامة. قال المرحوم العلامة الطباطبائيّ في تبيان دلالة الآية المذكورة على ضرورة وجود العصمة: «... وقد سئل بعض أساتذتنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام، فأجاب: إنّ الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: 1- من كان ظالماً في جميع عمره. 2- من لم يكن ظالماً في جميع عمره. 3- و من هو ظالم في أوّل عمره دون آخره. 4- و من هو بعكس هذا. وإبراهيم عليه السلام أجلّ شأناً من أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل والرابع من ذريّته. فبقى قسماً، وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالماً في أوّل عمره دون آخره. فبقى الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره» (3). إنّ القائد الذي بلغ هذا المستوى من العدل في مسير التكامل الروحيّ وصين من

ص: 312

1-1 الكافي: 1/199/1. [1]

2-2 انظر كتابنا مباني شناخت (أسس المعرفة): 316 و 324.

3-3 تفسير الميزان: 1/274. [2]

آفة الظلم إلى درجة العصمة ينبغي أن يكون-كأمير المؤمنين عليّ عليه السّلام-مبّرّاً من آفة القيادة هذه. قال عليه السّلام: «و الله، لأن أبيت على حسك السّعدان مسهّداً أو أجّرّ في الأغلال مصفّداً أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد و غاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع الى البلى ققولها، و يطول في الثرى حلولها؟!» (1). إنّ مثل هذا الإنسان العظيم لا يمكن حمله على ممارسة أدنى ظلم مهما كلف الثمن. و يشير الإمام عليه السّلام-و هو يواصل كلامه-إلى نقطة مهمّة في تشريف الحكومة الإسلاميّة، فيقول: «و الله، لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته» (2). يعرض لنا هذا الكلام صورة واضحة عن الحكومة الإسلاميّة التي يريدّها الله تعالى لعباده، و هي الحكومة التي لا يجد الظلم سبيلاً إليها مطلقاً، و يسودها العدل بشتّى أبعاده، و ليس فيها انتهاك لحقوق الناس، بل لأدنى حقّ يتعلّق بأضعف مخلوق يدبّ على الأرض.

ص: 313

1-1) نهج البلاغة: الخطبة 224. [1]

2-2) نفسه. [2]

الخلاصة

- ▣ الظلم بمفهومه الواسع المتمثل بالانحراف عن الموضع الحقيقي للأمر في العقيدة والأخلاق والعمل هو تجسيد مائل للهوى، وهو أهمّ عقبة تحول دون الإمامة.
- ▣ تقرّر الآية ١٢٤ من سورة البقرة إلى أنّ مطلق الظلم يحول دون الإمامة. يضاف إلى ذلك أنّها تدلّ على ضرورة اتّصاف الإمام بالعصمة.
- ▣ الحكومة الإسلامية المطلوبة هي الحكومة التي ليس فيها انتهاك لحقوق الناس، بل لحقوق أضعف مخلوق يدبّ على الأرض.

الاستبداد هو «الانفراد بالرأى والعمل» (1)، والمستبدّ هو الذى لا يحترم رأى الآخرين وإرادتهم، ولا يعمل إلاّ برأيه وإرادته. لذا يقال له أيضاً: معتدّ برأيه، و متهور. وهذه الصفة الذميمة هى من الآفات الخطرة التى تهدد القيادة.

خطر الاستبداد

تستهدف آفة الاستبداد أهمّ قواعد القيادة، وهى فكر القائد ورأيه، ولهذا تعدّ من أخطر آفات القيادة. إنّ الإمامة والقيادة تحتاج قبل كلّ شىء إلى فكر صحيح وقوى من أجل هداية المجتمع نحو التعالى والتكامل المادى والمعنوى. فالآفة التى تهدد صحّة فكر القائد إنّما تهدد الغاية من القيادة فى الإسلام حقًا. ونلاحظ فى الروايات المأثورة اهتماما صريحا بنقطتين فيما يرتبط بخطر الاستبداد. الأولى: دور الاستبداد فى انزلاق الفكر والسقوط فى هاوية الآراء والأعمال

ص: 315

الغالطة. الثانية: دوره في سقوط الحكومة واضمحلالها. قال الإمام الصادق عليه السلام في الأثر الهدّام للاستبداد في انزلاق الفكر: «المستبدّ برأيه موقوف على مداحض الزلل» (1). وبين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطر هذه الآفة بقوله: «المستبدّ متهور في الخطأ و الغلط» (2). وقوله: «الاستبداد برأيك يزآك ويهورك في المهاوى» (3). وقال عليه السلام في خطر ضعف الرأى وزآة الفكر: «من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه» (4). «زآة الرأى تأتي على الملك و تؤذن بالهلك» (5).

الوقاية من الاستبداد

ذكر الإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام «المشاوره» كعنصر مضادّ للاستبداد، قبل قرون من طرحها في الحكومات الديمقراطية للوقاية من الاستبداد. و حذّر الذين لا يستهدون بهذه الظاهرة الصائنة من الوقوع في فتح الاستبداد و الهلاك. «من استبدّ برأيه هلك، و من شاور الرجال شاركها في عقولها» (6).

ص: 316

1-1) نزهة الناظر: 112/44، أعلام الدين: 304، [1] بحار الأنوار: 75/105/41. [2]

2-2) غرر الحكم: 1208. [3]

3-3) نفسه: 1510. [4]

4-4) نفسه: 8048. [5]

5-5) نفسه: 5476. [6]

6-6) نهج البلاغة: الحكمة 161، [7] بحار الأنوار: 75/104/38، [8] وسائل الشيعة: 8/425/6. [9]

من الطريف أن نعرف أن هذا الكلام مستلهم من القرآن الكريم و المبادئ الإسلامية في هداية المجتمع و قيادته. يرى القرآن الكريم أن الإدارة الصحيحة للمجتمع تحتاج إلى المشاورة و تواصل الأفكار. و في سورة منه مسمّاة بالشورى- لتأكيدا ضرورة الشورى- يصرّح في بيانه لخصائص المجتمع الإسلامي قائلا: وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ (1). أى: إن إحدى مواصفات المجتمع الإسلامي هي أن شؤونه تدار على أساس الشورى و تواصل الأفكار. و نلاحظ في آية أخرى أن الله تعالى يأمر نبيه صلى الله عليه و آله بمشاورة الناس، قال سبحانه: وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ (2). من البديهي أن الذى أمر به النبي أن يشاور فيه هو الأعمال الإدارية للمجتمع، لا الأحكام التى كان مكلفا بتبليغها عن طريق الوحي، و سيرته تدعم هذه الحقيقة. و النقطة الجديرة بالتأمل هي أن القرآن الكريم عند ما يأمر كبير القادة الربانيين- وهو النبي صلى الله عليه و آله- بالمشاورة، فما بالك بالآخرين؟

الغنى عن المشاور

إن الذى لا يحتاج إلى مشاور و مشاورة هو الله تعالى وحده. و هذه ملاحظة مهمّة أكّدتها الروايات الإسلامية في تبين صفات الحقّ جلّ شأنه. أورد المرحوم المحدث القمّي في «مفاتيح الجنان» دعاء يعرف بدعاء «يستشير». و كلمة «يستشير» من مادّة «شور». و تعود هذه التسمية إلى أن الدعاء المذكور أثنى

ص: 317

[1-1] الشورى: 38. [1]

[2-2] آل عمران: 159. [2]

على الله تعالى بأنه لا يحتاج إلى مشاور و مشاورة فى تدبير الامور. روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الدعاء، وأمرنى أن أدعوه بكل شدة و رخاء، وأن أعلمه خليفتى من بعدى، وأمرنى أن لا أفارقه طول عمرى حتى ألقى الله عزّ و جلّ. وقال لى: قل هذا الدعاء حين تصبح و تمسى، فإنه كنز من كنوز العرش. و أوله: «الحمد لله الذى لا إله إلا هو الملك المبين، المدبّر بلا وزير، و لا خلق من عباده يستشير. . .» (1). لعلّ من الأسباب التى أدت إلى مواظبة جميع القادة الربّانيين على قراءة هذا الدعاء فى كلّ صباح و مساء هو ما أكّد فى أوله-و أشار إليه اسم الدعاء أيضا-و هو أنّ الله تعالى وحده قادر على إدارة شؤون العالم بلا وزير و لا معاون و لا مشاور. أمّا الآخرون فإنّهم-بالوسائل المتاحة لهم-قادرون على تدبير الامور و الإدارة الصحيحة. أجل، إنّ دراسة السيرة الإداريّة للنبيّ و أئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين تدلّ على أنّهم كانوا يولون مشاورة الآخرين اهتماما خاصا. قال الحسن بن الجهم: كنّا عند أبى الحسن الرضا عليه السلام، فذكرنا أباه عليه السلام فقال: «كان عقله لا يوازى به العقول، و ربّما شاور الأسود من سودانه، فقيل له: تشاور مثل هذا؟! فقال: إنّ الله تبارك و تعالى ربّما فتح على لسانه» (2).

ص: 318

-
- 1-1) مهج الدعوات: 158، [1] بحار الأنوار: 57/36/9، [2] مفاتيح الجنان: دعاء يستشير. [3]
2-2) مكارم الأخلاق: 2/99/2283، [4] المحاسن: 2/437/2517، [5] بحار الأنوار: 75/101/25. [6]

من التوجيهات الإدارية المهمة الملحوظة في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حقل المشاورة هي مشاورة الأعداء. وفيما يأتي نصّ كلامه: «استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم و مواضع مقاصدهم» (1).

ملاحظات حول مشورة القائد

إشارة

في شأن دور الاستشارة في القيادة والحكومة والإدارة لدى كبار القادة الربّانيين، ثمة ملاحظات بارزة من الضروري الالتفات إليها. وهذه الملاحظات هي:

أ- المشاورة لا الطاعة!

إشارة

يخال بعض الإداريين الجدد وكثير من المستشارين المفرطين أنّ أحد المدراء لو استشار شخصا واستطلع رأيه فعليه أن يعمل بما يشير به، وإلاّ حكم عليه بأنّه مدير مستبدّ غير كفوء! بيد أنّ الحقّ غير هذا، ذلك أنّ مسؤوليّة اتّخاذ القرار والنتائج المترتبة عليه تقع على عاتق المدير، فهو المسؤول أمام الله تعالى والقانون والناس. والمستشار يساعده على أن يلحظ جميع أبعاد الموضوع وخلفياته ونتائجه، ثمّ يتخذ القرار الصائب. أمّا لو كان اقتراح المشاور غير سديد-حسب رأى المدير-أو كان هناك تناقض في آراء المشاورين فلا ريب أنّ على المدير أن يعمل بما يراه هو الأصوب، ذلك أنّه هو الذي يتحمّل المسؤوليّة على أيّ حال.

من ذكرياتي مع السيّد الإمام

لا أنسى يوم تشرفت بلقاء السيّد الإمام رضوان الله تعالى عليه مع السادة الوزراء بمناسبة

ص: 319

اسبوع الحكومة، و كان ذلك أول مرة بعد تكليفي بالتصدّي لوزارة الأمن (1)، وعندما انتهى اللقاء تعمّدت أن أنتحي جانباً لأكون آخر من يودّع الإمام. و حين لم يبق إلا أفراد قلائل تقدّمت و قبّلت يده المباركة، فأشار إليّ أن أجلس! في تلكم اللحظة لم يكن يدور في خلدني أن أفوز بهذه الحظوة، فلم أتفطن إلى إشارته، و هممت أن اغادر الغرفة، لكنّه أشار إليّ مرّة ثانية بالجلوس. خرج آخر وزير من الوزراء، فلم يبق إلا أنا و نجله البارّ أخي العزيز المرحوم السيّد أحمد رحمه الله. فقال لي الإمام مباشرة: أعلم أنّ وزارة الأمن هي ليست وزارة الزراعة! فكن حذراً! و شاوور فلانا و فلانا و فلانا (2) لاختيار الأشخاص الذين يتولّون الوظائف الحسّاسة في الوزارة. قلت: سأعمل بما تأمرون به، و لكن لما كنت أنا المسؤول عن الوزارة بالدرجة الاولى، و من جانب آخر ربّما يكون لكلّ واحد من الإخوة الذين ذكرتموهم رأى في الأشخاص الذين ينبغي أن يتمّ اختيارهم، فأنا الذي أتخذ القرار المناسب بعد المشاورة. قال: هذا هو ما أقصده. قلت مضيفاً: إنّ الخطوط المسيطرة على المرافق الأمنيّة في البلاد الآن سبعة (3)، فإذا أردت أن أعمل كما يشتهي أحد الخطوط فإنّ أصحاب الخطّ الآخر سيعتبون عليّ، و إذا أردت أن أعمل مستقلاًّ-و سأعمل- فالجميع سيعتبون، و لذا يمكن أن

ص: 320

-
- 1- 1) كان اليوم الأوّل من اسبوع الحكومة هو 23/8/1984 م، و كان الإمام رحمه الله لا يستقبل أحداً ذلك اليوم، فتقدّم موعدنا يوماً واحداً. و كان تاريخ اللقاء-حسب مذكراتي- هو الأربعاء 22/8/1984 م الموافق 24 ذى القعدة 1404 هـ.
 - 2- 2) كان هؤلاء الثلاثة من الشخصيّات الاولى في البلاد يومئذ.
 - 3- 3) كانت هذه الخطوط في بداية تأسيس وزارة الأمن مجموعات أمنيّة تنتسب إلى أجهزة حكوميّة مختلفة، ثمّ اندمجت في وزارة الأمن.

تصل إليكم شكاوى كثيرة فى هذا المجال. فتفضّل رحمه الله علىّ كثيرا إذ أجبني بجواب لا ضرورة لذكره هنا. أجل، إنّ المدير الكفوؤ-من منظار الإسلام-هو الذى ينأى عن الاستبداد، و يحترم آراء الآخرين، و يشاور اولى الرأى الحصيف، و لكنّه فى الوقت نفسه يحافظ على استقلاله عند اتّخاذ القرار المناسب. أى: إذا رأى أنّ ما قاله المشاور صحيح عمل به، و إلاّ عمل برأيه فى كلّ ما يعتقده صحيحا. و هذا الدرس الإدارى النفيس علّمناه نهج البلاغة: كان عبد الله بن عباس من صحابة أمير المؤمنين عليه السّلام العلماء و ذوى الرأى الحصيف، و كان-ككثير من أمثاله-يتوقّع من الإمام أن يعمل حسب رأيه. و قد أبدى رأيا فى موضوع يظنّه فى مصلحة الإمام-لم يرد شرحه فى نهج البلاغة-فلم يوافق الإمام على رأيه، فأصرّ ابن عباس، فقال له الإمام عليه السّلام: «لك أن تشير علىّ، و أرى، فإن عصيتك فأطعنى» (1). النقطة المهمّة الواردة فى ذيل كلام الإمام عليه السّلام هى أنّ المشاور لا يحقّ، له أن يفرض رأيه على القائد، بل إذا اتّخذ القائد القرار المناسب و أعلن عن رأيه فعليه و على نظرائه الذين يفكّرون مثله أن يعملوا بما يرتبه القائد، شأنهم فى ذلك شأن سائر الناس. من هنا، لا تكون الولاية المطلقة للفقهاء فى النظام الإسلامى بمعنى الاستبداد، بل تعنى «الاستقلال فى الرأى»، بالمفهوم الذى مرّ شرحه. بعبارة أوضح: الفقيه الجامع لشروط القيادة فى النظام الإسلامى هو المسؤول الأصلّى للنظام، و هو المسؤول أمام الخلق اليوم و المسؤول أمام خالقهم غدا. و هو الذى يتولّى صيانة مكاسب الثورة، و تنمية القيم الإسلاميّة و تنضيجها. و السلطات

ص: 321

الثلاث-التشريعية، والتنفيذية، والقضائية-والقوات المسلحة هي في الحقيقة أجهزة مساعدة و مشاوررة للقائد، وقراراتها نافذة حسب الضوابط القانونية، ما دامت تمارس نشاطاتها تبعاً للقوانين الإسلامية و مصالح الشعب. أمّا في الحالات التي يرى فيها القائد عملاً مخالفاً للإسلام أو لمصالح الشعب و النظام فعليه أن يحول دون ذلك، بل من واجبه أن يعمل وفقاً لرأيه بعد المشورة اللازمة، و الجميع مكلفون باتباعه.

ب-المشاوررة المضرة

نلاحظ أنّ بعض المشاوررات تشكّل ضرراً على القائد من الوجهة السياسية، و هذه المشاوررات هي التي تتمّ مع اناس يتخذون منها ذريعة لتحقيق مآربهم السياسية. فعلى القائد أن لا يشاور مثل هؤلاء. و هذا الدرس في القيادة تعلّمناه من نهج البلاغة أيضاً. و نقرأ فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام من جهة أراد من الناس بإصرار أن يخبروه إذا رأوا إشكالا في نهجه الإداري و القيادي، و أن يبدوا آراءهم بصراحة في مجال السعي لتطبيق العدالة الاجتماعية. قال عليه السلام: «فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن اخطئ، و لا آمن ذلك من فعلى إلاّ أن يكفى الله من نفسي ما هو أملك به منّي» (1). و من جهة أخرى، عند ما طلب منه بعض الشخصيات السياسية المعروفة من ذوى السابقة-كطلحة و الزبير-أن يشركهم في المشورة رفض بشدّة، لأنّه كان يعلم أنّهم يطلبون منه ذلك لتنفيذ مآربهم السياسية. قال صلوات الله عليه: «... و الله ما كانت لي في الخلافة رغبة و لا في الولاية إربة، و لكنكم دعوتموني إليها و حملتموني عليها، فلما أفضت إليّ نظرت الى كتاب الله و ما وضع لنا و أمرنا

ص: 322

[1-1] نهج البلاغة: الخطبة 216. [1]

بالحكم به فاتّبعته و ما استنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله فافتديته، فلم احتج في ذلك الى رأيكما ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشير كما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما» (1). لا تناقض بين هذين الكلامين، فهو عليه السّلام طلب من الناس في الكلام الأوّل أن يثيروا عليه من أجل تطبيق الحقّ والعدل، ولا ينظروا إلى موقعه السياسيّ. وفي هذا الكلام- كما يستبيّن من مواصلة الخطبة- رفض مشورة الأكابر، لأنّهم كانوا يطمحون إلى منحهم امتيازات خاصّة، وكانوا يرون أنّ منطق العدل والمصلحة يحكم بإعطاء ذوى السابقة والنفوذ والقدرة الأكبر حصّة أكثر عند تقسيم بيت المال! بعبارة اخرى: كان المعارضون السياسيّون للإمام يريدون- باسم الإسلام و حقوق الإنسان و مبدأ المشورة- أن يكون لهم موقع خاصّ و تفضيل على الآخرين، ليستغلّوا ذلك من أجل مآربهم السياسيّة والاقتصاديّة، كما تستغلّ القوى الاستكباريّة اليوم الديمقراطيّة و حقوق الإنسان تحقيقاً للمآرب نفسها. وهذا هو ما دفع الإمام عليه السّلام أن يرفض طلبهم ويقول: أنا أفهم الإسلام أفضل ممّا تفهمونه أنتم وغيركم، وأنا في غنى عن مشورتكم و مشورة أمثالكم لتطبيق العدالة.

ج- المشورة و التردّد في اتّخاذ القرار

تلقى رأى المشير قبل اتّخاذ القرار مفيد للمستشير. أمّا بعد اتّخاذ القرار فإنّه مضرّ له، إذ يؤدّي إلى تردّد القائد و تزعزعه، إلّا في الحالات التي ينكشف فيها خطأ القرار. نزلت قوّات قريش عند سفح جبل احد يوم الخميس الخامس من شوال سنة 3 هـ، و تهيّأت لمعركة عرفت فيما بعد بمعركة «أحد». و بقى النبيّ صلّى الله عليه وآله في المدينة ذلك اليوم و ليلة الجمعة. ثمّ شكّل يوم الجمعة شورى عسكريّة، و استشار كبار القادة من اولى

ص: 323

الحزم فى كىفية الدفاع. وفى هذا التجمع المصيرى-الذى حضره الامراء و الجنود الشجعان-نادى صلى الله عليه وآله بنداثة لبليغ: أشيروا على. أى: عرضوا على رأيكم فى اسلوب مواجهة العدو. فكان هناك رأيان: 1- رأى عبد الله بن ابي الذى كان من منافقى المدينة. فقد اقترح اسلوب «التحصن»، و كان يقول: لا يخرج المسلمون من المدينة، و عليهم أن يفيدوا من الصياصى و الآطام (الحصون). أى ترمى النساء الحجارة على العدو من فوق الصياصى و الآطام، و يقاتل الرجال بأسياهم فى السكك (الأزقة). و كان يقول-من أجل إثبات صحة رأيه:- كئنا نقاتل فى الجاهلية و نشبك المدينة بالبنيان، فتكون كالحصن من كل ناحية، و النساء تساعدنا من فوق الآطام. و من هنا كانت مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط. و ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا، و ما دخل علينا قط إلا أصبناه. 2- رأى عدد من الامراء و الجنود الأحداث، خاصة الذين شهدوا بدرا و ذاقوا حلاوة النصر. قالوا: إن مثل هذا الدفاع يجزئ العدو علينا، و يضع نصرنا الذى من الله به علينا يوم بدر. . . و آيد الأكبر من المهاجرين و الأنصار الرأى الأول، بيد أن حمزة بن عبد المطلب و سعد بن عبادة و كثيرا من الصحابة آيدوا الرأى الثانى. أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قبل الرأى الثانى أيضا، و فضل الخروج من المدينة على التحصن و القتال فى سككها. فجاء إلى بيته-بعد تعيين الخط الدفاعى-و لبس لامة الحرب، ثم خرج بتجهيزات حربية تامة. و لما نظر إليه عدد من الذين كانوا يدافعون عن الرأى الثانى ترددوا، إذ لعل إصرارهم هو الذى دفع النبى صلى الله عليه وآله إلى اختيار الرأى الثانى. . . فتراجعوا و قالوا: ما كان

لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك! فلم يعتن صَلَّى اللهُ عليه وآله برأيهم هذه المرّة، وقال بحزم: «لا ينبغي لنبىّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتّى يحكم الله بينه وبين أعدائه» (1). هذا الجواب فى الحقيقة درس عظيم له قيمته فى حقل الإدارة والقيادة، خاصّة فى موضوع القيادة العسكريّة، وفيه إشارة إلى أنّ المدير الكفوء والقائد المؤهل هو الذى إذا اشير عليه واتّخذ القرار المناسب فلا يفقد حزمه بتردد أصحابه، و يعمل بما عزم عليه. من هنا نلاحظ أنّ احترام آراء الآخرين فى أمر الإدارة أصل معتبر تجب رعايته من منظور الإسلام ما لم يمنع من الحزم، ولم يفض إلى التردد والتزعزع فى اتّخاذ القرار.

ص: 325

1-1) المغارى للوقدى: 1/214، الطبقات الكبرى: 2/38. [1] انظر فروغ ابدیت: 2/449/453. [2]

الخلاصة

- ▣ الاستبداد يستهدف أهم مبادئ القيادة، أي أفكارها وتوجهاتها. ومن هنا، يعدّ من أخطر آفات القيادة.
- ▣ ترى الأحاديث والروايات أنّ الاستبداد يُفضي إلى انزلاق الفكر وانهيار الدولة الإسلاميّة ودمار الحكومة.
- ▣ تحتاج الإدارة الصحيحة - من المنظار القرآني - إلى المشورة وتواصل الآراء، وقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يشاور الناس.
- ▣ «الشورى» اسم لسورة من سور القرآن الكريم، وذكرت المشورة فيها كإحدى خصائص المجتمع الإسلاميّ.
- ▣ طرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الشورى وقايةً من الاستبداد، مستلهماً ذلك من تعاليم القرآن الكريم، قبل أن تطرحها الحكومات الديمقراطيّة.
- ▣ الله تعالى وحده لا يحتاج إلى مشاور. وتدلّ دراسة السيرة الإداريّة للنبي ﷺ وأوصيائه عليه السلام على أنّهم كانوا يعتقدون بمكانة خاصّة للمشورة، حتّى لو كانت مشاورة العدو!
- ▣ المدير الكفوء هو الذي يحافظ على استقلاله عملياً، في الوقت الذي ينأى فيه عن الاستبداد، ويقدر آراء الآخرين. وعلى المشاور أن لا ينتظر منه الطاعة.
- ▣ استشارة من يستغلّون المشورة لمطامعهم السياسيّة مضرّة للقائد، لذا لا يحقّ لنا أن نعدّ رفضه لهذا اللون من المشاورات نابعاً من الاستبداد.
- ▣ تلقّي رأي المشاور قبل اتّخاذ القرار مفيد للقائد، أمّا بعد اتّخاذه فمضّر له، لأنّه يؤدّي إلى تزعزع القيادة، إلّا في الحالات التي يستبين فيها خطأ القرار.

يقابل الانسياق لآراء الآخرين الاستبداد. ويعنى: الخضوع لسيطرة الآخرين فكريًا وعمليًا. إنَّ المستبدَّ لا يحترم رأى الآخرين، و المنساق لا يرى أنَّ لرأيه من قيمة. و يرى الإسلام أنَّ الاستبداد و الانسياق لآراء الآخرين كليهما من آفات القيادة، فلا المستبدَّ يستطيع أن يقود المجتمع الإسلاميّ و لا المنساق. إنَّ إحدى المؤاخذات التي سجّلها أمير المؤمنين عليه السّلام على عثمان هي توجيه الآخرين له، و سيطرة بعض الأشخاص عليه كمروان بن الحكم ذى السابقة السيئة، و سوقهم إياه أتى شأؤوا. و عند ما ثار الناس عليه طلبوا من الإمام أن يتحدّث معه، و يوضّح له نقاط ضعفه نيابة عنهم. فاستجاب عليه السّلام لهم، فتكلّم معه، و قال فى آخر كلامه حول سوق مروان بن الحكم له: «فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ و تقصّي العمر» (1).

ص: 327

آفة الانسياق معقدة وخطرة إلى درجة أن القرآن الكريم يحذّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهَا، وَيُؤَكِّدُ أَنَّ فَضْلَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ هُمَا اللَّذَانِ يَحُولَانِ دُونَ انْسِيَاقِهِ لآرَاءِ الْآخَرِينَ: وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ (1). و مهما كان شأن نزول الآية الكريمة (2) فهي تشعر بوضوح أنّ مؤامرة كانت مبيتة. و كان هدف المتآمرين النفوذ في رأى النبي و حمله على اتّخاذ قرار خاطئ، بيد أنّ فضل الله و رحمته حالاً- دون ذلك. النقطة الأدق- من منظار القرآن الكريم- هي أنّ آفة الانسياق لآراء الآخرين خطيرة إلى درجة أنّها إذا لم يوق منها فقد تبلغ حتّى تحريف الوحي الإلهي! وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِيَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَلْحَدُونَكَ خَلِيلًا* وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كَدَتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ

ص: 328

[1-1] النساء: 113. [1]

2-2) روى أنّ رجلاً في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدْعَى «بشيراً» من بنى ابيرق دخل بيت مسلم يعرف برفاعه، و أخذ له طعاماً و سيفاً و درعاً. فشكا ذلك إلى ابن أخيه قتادة بن النعمان، و كان بدرياً. فأتى قتادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و أخبره، بيد أنّ بشيراً و أخويه بشراً و مبيشراً اتّهموا لبيد بن سهل -جار رفاعه- بالسرقة، و كان مسلماً ذا حسب و نسب. فاضطرب لبيد من هذه التهمة المفتراة، و أصلت سيفه و خرج إليهم، و قال: أترمونى بالسرقة و أنتم أولى به منى، و أنتم منافقون تهجون رسول الله و تنسبون ذلك إلى قريش؟! لتبيننّ ذلك أو لأضعنّ سيفى فيكم! فداروه. و لكن عندما علموا أنّ قتادة أخبر النبيّ بذلك طلبوا من أحد خطبائهم أن يأتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في جماعة و يبرئ السارقين، و يرمى قتادة بالقذف. فقبل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و أخبره متأسفاً كثيراً، فطيّب خاطره، و قال له: الله المستعان! فنزلت الآيات (113، 105) و [2] برّات هذا الرجل، و بيّخت الخونة الحقيقيين بشدة. انظر تفسير نمونه [3] (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل): 4/110-111، [4] مجمع البيان: 3/160-161.

استقلال الرأي و القيادة

فى ضوء ما ذكرناه حول الاستبداد و الانسحاق لآراء الآخرين نستنتج أنهما آفتان، و أنّ استقلال الرأى ضرورى للقائد، و على قادة المجتمع الإسلامى أن يبتعدوا عن الاستبداد بنحو جادّ و يحترموا آراء الآخرين، بيد أنّهم غير مسموح لهم أن يخضعوا لسيطرة الآخرين. و ينبغى أن يكونوا أصحاب رأى مستقلّ، و يسمعوا كلام الغير، لكنّهم يقفون عنده و يتأملون فيه، ثمّ يتخذون القرار المناسب. قال أمير المؤمنين عليه السلام فى استقلال رأيه و عدم انسياقه: إذا المشكلات تصدّين لى *كشفت حقائقها بالنظر و لست يامعة (2) فى الرجال *أسائل هذا و ذا ما الخبر و لكننى مدرب الأصغرين *أبين مع ما مضى ما غير (3) يدعو القرآن الكريم النبىّ صلّى الله عليه و آله و جميع المسلمين إلى الاستقلال فى الرأى، و ذلك فى وصيّة إداريّة ثمينة، مع تحذيره من خطر الانسحاق: وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (4). نلاحظ فى هذه الآية الكريمة أنّ القرآن ينبّه فى البداية على أنّ آراء أكثر الناس و عقائدهم مرفوضة، و أنّ من سار وراء الأكثرية ضلّ عن سبيل الله الذى هو سبيل

ص: 329

1-1) الإسراء: 73 و 74. [1]

2-2) الإمعة: الذى لا رأى له و لا عزم، فهو يتابع كلّ أحد على رأيه و لا يثبت على شىء. (لسان العرب: 8/3). [2]

3-3) أمالى الطوسى: 514/1125، [3] ديوان الإمام على عليه السلام: 179، بحار الأنوار: 2/60، و: 42/187/4. [4]

4-4) الأنعام: 116. [5]

الحقّ والعدل. ثمّ يذكر سبب ذلك، وهو أنّ عقائد معظم الناس لا تستند إلى قاعدة علميّة ثابتة، بل تستند إلى الظنّ. من هنا، فإنّ الذين يريدون اتّخاذ قرار صائب ويطمحون إلى العمل بنحو سديد-خاصّة أولئك الذين يشغلون موقع القيادة-عليهم أن يحافظوا على استقلالهم الفكرى. إنّ المواطن التى يوصى بها القرآن الكريم قادة المجتمع الإسلامى بالاستقلال كثيرة، وجميع الآيات التى تنهى النبىّ صلّى الله عليه وآله عن اتّباع الآراء والعقائد المفروضة هى فى الحقيقة وصايا للقادة الربّانيين باستقلال الرأى، وعدم الانسياق للآراء المختلفة. نستشفّ من هذه الآيات عددا من الملاحظات النفسية الآتية حول الإدارة والقيادة: 1- الاستقلال وعدم الانسياق ضرورة قطعىّة ثابتة للقائد. ولا يستطيع قادة المجتمع الإسلامى أن يقوموا بواجباتهم الإلهيّة إلاّ إذا كانت لهم هذه الصفة المهمّة. 2- إنّ الوصايا القرآنيّة المتكرّرة فى هذا المجال علامة على أهميّة خطر الانسياق الذى يهدّد قادة المجتمعات الإسلاميّة، وتستتبع الغفلة عنه خسائر لا تعوّض. 3- عندما يقول القرآن الكريم بصراحة: إنّ النبىّ لا يستطيع أن يصون نفسه من خطر الانسياق إلاّ بتسديد إلهى يتبيّن لنا أنّ هذا الخطر جدّى فى غاية الجدّ، وعلى الآخرين أن ينظروا فى أعمالهم و يراقبوا أنفسهم بدقّة من أجل الوقاية منه. 4- لا يستطيع قادة المجتمع الإسلامى أن يصونوا أنفسهم من خطر الانسياق لآراء الآخرين إلاّ إذا استظهروا بإمدادات غيبية، مضافا إلى بعض المراقبات اللازمة. من هنا، فإنّ الدعاء والاستمداد من الله تعالى-إلى جانب المراقبات اللازمة-سرّ استقلال القائد وصلابته وعدم انسياقه.

الخلاصة

☐ الاستبداد والانسحاق لآراء الآخرين - من منظور الإسلام - آفتان من آفات القيادة. فلا المستبد يستطيع أن يكون قائداً للمجتمع الإسلامي، ولا المنساق فكراً لآراء غيره.

☐ آفة الانسحاق معقدة وخطرة إلى درجة أنها إذا لم تُضبط فلعلها تستتبع تحريف الوحي الإلهي. وينبئ القرآن الكريم رسول الله ﷺ على هذا الأمر، ويذكره بأن الذي يصونه من هذه الآفة هو فضل الله ورحمته.

☐ نستنتج مما أوردناه حول خطر الاستبداد والانسحاق لآراء الآخرين ما يأتي:
أ - الاستبداد والانسحاق لآراء الآخرين آفتان، والاستقلال ضروري للقائد والإداري.

ب - الوصايا القرآنية المتوالية في التحذير من الانسحاق لآراء الآخرين تُترجم جدية هذا الخطر الذي يهدد قادة المجتمعات الإسلامية.

ج - الاستمداد من الله تعالى للوقاية من آفة الانسحاق ضروري، مضافاً إلى وجود الرقابة اللازمة.

ذكرنا في الفصل الثاني من القسم الأول أنّ الأخلاق أساس العمل، وأنّ غاية النبوة والإمامة إحياء القيم الأخلاقية، وكذلك فإنّ القيادة الأخلاقية في الإسلام من الشروط الجوهرية للقيادة السياسية. من هنا، لا نرتاب في أنّ جميع ضروب الشذوذ والأمراض الأخلاقية تعدّ من آفات القيادة. ولكن لما كان بعضها أكثر ضرراً لقائد المجتمع وردت الأحاديث والروايات لتؤكد ضرورة ابتعاد القائد بل جميع الإداريين عنها، على كافة المستويات الإدارية. 1- قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا ينبغي لحاكم من حكام المسلمين أن يكون فيه ثلاثة أشياء: الحدة، والحقد، والحسد» (1). 2- وقال صلّى الله عليه وآله أيضاً: «الإمام عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع» (2).

ص: 332

1- 1) مسند الفردوس: 5/136/7736.

2- 2) حلية الأولياء: 8/224.

3- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع» (1). أيضا: «لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يخادع ولا تعزّه المطامع» (2). 5- وقال: «لا ينبغي أن يكون على المسلمين الحريص فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيهلكهم بجهله، ولا البخيل فيمنعهم حقوقهم، ولا الجافي فيحملهم بجنائته على الجفاء، ولا الخائف للدول (3) فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشى في الحكم فيذهب بحقوق الناس، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة» (4). هذه الأحاديث إنذار للمجتمع الإسلامي بأن يقوم أفرادها بواجباتهم الإلهية في اختيار الامناء على الشؤون الحكومية ورؤساء الدوائر والوزراء، فينتخبوا الكفوئين المؤهلين للأمانة. أي: يختاروا من كان سليما من أمراض الغضب والحقد والحسد والطمع والمصانعة والحرص والبخل والاستئثار والارتشاء وغيرها. فالمصابون بهذه الأدواء ليسوا أهلا للأمانة والإدارة. وإذا قصّر الناس في واجباتهم الإلهية مهملين غير مراعيين للدقة ورضا بهيمنة من لا كفاءة لهم في المجال الإداري والحكومي فلا يتوقعوا رخاء وسعادة ورفاهية مادية ومعنوية، وحينئذ فلا يلوموا إلا أنفسهم. يضاف إلى ذلك أنهم مسؤولون أمام الله تعالى. ولو كان المسلمون قد رفضوا سلطة غير الكفوئين لرفرت راية الإسلام خفاقة على ربوع المعمورة هذا اليوم.

ص: 334

1-1) نهج البلاغة: الحكمة 110. [1]

2-2) غرر الحكم: 10813. [2]

3-3) الدول: جمع دولة-بالضم-: هي المال، لأنه يتداول من يد ليد.

4-4) دعائم الإسلام: 2/531/1886. و [3] جاءت هذه المواصفات في الخطبة 131 من نهج البلاغة [4] كالاتي: «... وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته...».

الخلاصة

☐ جميع الأمراض الأخلاقية آفات تهدد القيادة. ولكن لما كان بعضها أكثر ضرراً لقائد المجتمع ومديره فإن الأحاديث والروايات أكدت ضرورة سلامة القائد من تلك الأمراض.

☐ الأحاديث التي ذكرت الغضب والحقد والحسد والطمع والمساومة والحرص والبخل والاستئثار والارتشاء عقبات تحول دون الإمامة إنما تُنذر المسلمين أن يكونوا واعين في اختيار الأمناء على الحكومة.

☐ لو كان المسلمون قد رفضوا سلطة غير الكفوئين لرفرت راية الإسلام خفاقةً على ربوع المعمورة هذا اليوم.

القسم السادس: الحقوق المتبادله بين الناس و القيادة

اشارة

ص: 337

الفصل الأول

حقوق الناس في النظام الإسلامي

رضا الناس عن الحكومات ودعمهم لها يرتبطان ارتباطاً مباشراً بتلبية حاجاتهم. فكلما أفلحت الحكومات في قضاء الحاجات للناس - على شتى الأصعدة - نالت دعمهم وتأييدهم.

النقطة الدقيقة اللافتة للنظر هنا هي أنّ حاجات الناس لا تنحصر بمطالبهم المادّية فحسب، إذ يمكن إرضاء الحيوان بإشباع بطنه، بيد أنّ إرضاء الإنسان لا يتيسّر بهذه الطريقة. بعبارة أخرى: بقدر ما تكون العوامل المادّية مؤثّرة في إرضاء الناس تكون العوامل الروحيّة والمعنويّة مؤثّرة فيه أيضاً، بل قد تتفوّق العوامل الروحيّة على العوامل المادّية من حيث الأهميّة.

«من الممكن أن تتساوى الحكومات في تأمين الحاجات المادّية للناس ، لكنّها لا تتساوى في كسب الناس وفي رضاهم عنها، فمن الحكومات من يفني بإشباع حاجات المجتمع الروحيّة، ومنها ما لا يفني بذلك»^(١).

(١) سيرى در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغه) للأستاذ الشهيد مطهرى: ١١٨.

إنَّ إحد الموضوعات التي حيرت مُحلِّي القوى المستكبرة هي رضا الأكثرية الساحقة للشعب الإيراني عن النظام الجمهوري الإسلامي، وحبها العجيب لقيادة هذا النظام الإلهي.

كان أعداء الثورة الإسلامية يتوهمون أنَّ الضغوط العسكرية والاقتصادية والسياسية والحملات الإعلامية المكثفة ستقلل من دعم الناس لهذا النظام، ومن ثمَّ ستقضي عليه خلال عدد شهور أو سنين. وبلغ الوهم درجة أن بعض أقطاب المنظمات السياسية المحليّة المعارضة للنظام كانوا يقولون: هذا النظام قباء لا يلائم إلاَّ جسم مؤسسه!

إنَّ مشاركة ما يربو على عشرة ملايين إنسان في تشييع الجثمان الطاهر للإمام الراحل رضوان الله عليه بتلك الحماسة وذلك العشق الذي لا يوصف قد أدهشت العدوَّ والصدیق، وأثبتت بجلاء أنَّ جميع تلك الضغوط والمصاعب لم تقلل من حبِّ الناس للإمام وللنظام قيد أنملة.

ونلاحظ اليوم أيضاً أنَّ تكرار المشاهد التي لا تُنسى لقدم الإمام الراحل إلى إيران سنة ١٣٩٩هـ في الترحيب الحماسي الذي يبديه الشعب لخلفه الصالح - في شتّى مدن البلاد - أفضل دليل على دعم الناس ورضاهم عن النظام الإسلامي وقيادته، بالرغم من الضغوط المادّية برمتها.

لا ريب أنَّ الباعث الأساس على هذا الدعم والرضا هو الحوافز الروحية والمعنوية، وبتأمل يسير يمكننا أن ندرك أنَّ للإنسان حاجات أخرى، بالإضافة إلى حاجاته المادّية. وإذا اكتشفت الحكومة والقيادة تلك الحاجات ولبتّها كما ينبغي فستكون مؤثرة في إرضاء الناس أكثر من تأمين الحاجات المادّية.

الاعتراف بحقوق الناس

العوامل الروحية لدعم الناس الحكومة هي بعدد حاجاتهم المعنوية .
ولسنا الآن في صدد دراسة هذه العوامل جميعها ، وما نستعرضه في هذا الفصل هو أهم عوامل الدعم ، ونريد به اعتراف الحكومة - خاصة القيادة - بحقوق الناس .
«ومتا يرتبط به رضا الناس هو نوعية نظر الحكومة إلى الأمة وإلى نفسها . فهل تنظر إليهم على أنهم عبيدها وماليكها ، وهي المالكة المختارة ؟ أم أنهم ذوو حقوق وهي نائبة عنهم ومؤتمنة عليهم وكفيلة برعاية حقوقهم ؟
في الحالة الأولى : كل ما عمله من عمل لأجلهم هو من نوع الرعاية التي يقوم بها صاحب حيوان لحماية حيوانه من الآفات والعاثات .
أما في الحالة الثانية فإن عملها من نوع الخدمة التي يقدمها أمين صالح . إن اعتراف الحكومة بحقوق الناس . واحترازها من كل عمل يُشعر بإلغاء دورهم مما من الشروط الأولى لاسترضائهم وكسب ثقتهم»^(١) .
يرى الأستاذ الشهيد مطهري رضوان الله تعالى عليه - في تحليل علمي - أن أحد الدوافع الرئيسة للنزوع نحو المادية في العصر الحديث هو الفكرة الخطرة المضلة القائلة : إن المسؤولية أمام الله تستلزم عدم المسؤولية أمام الناس ، وإن حق الله يحل محل حق الناس ، وحق الحاكمية القومية يساوي الإلحاد قال ﷺ :
«قامت في أوروبا - كما نعلم - نهضة مضادة للدين في القرون المتأخرة ، ثم توسع نطاقها نوعاً ما فامتد إلى خارج العالم المسيحي ، وكانت نزعتها نحو المادية . وإذا تلمسنا أسبابها وجذورها رأينا أن أحدها هو قصور المفاهيم الكنسية في حقل الحقوق السياسية .

(١) سيرى در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغه) : ١١٨ .

فقد حاول رجال الكنيسة وبعض الفلاسفة الأوربيين أن يقرّوا نوعاً من العلاقة المفتعلة بين الاعتقاد بالله من جهة وسلب الحقوق السياسية وتوطيد الحكومات المستبدّة من جهة أخرى . ومن الطبيعي أن نوعاً من العلاقة الإيجابية قد افترض بين الديمقراطية وحكومة الشعب للشعب ، وبين العلمانية .

ومنطق هذا الفرض هو إما أن تقرّ بالله ونعتقد أنّه فوّض حقّ الحكومة إلى أشخاص معينين لا مزية لهم من غيرهم ، أو لا تقرّ به حتى يتسنى لنا أن نرى أنفسنا ذوي حقّ في الحكم .

يرى علم النفس الديني أنّ من عوامل التخلف الديني هو قيام أولياء الدين بإيجاد تناقض بين الدين وبين حاجة من الحاجات الطبيعية ، خاصّة إذا ظهرت تلك الحاجة على مستوى عامّ .

ومن الملحوظ بوضوح أنّ الاستبداد والإرهاب حين بلغا ذروتها في أوروبا ورغب الناس في أن يكون حقّ الحاكميّة لهم عرضت الكنيسة أو أنصارها أو المتوكّتون على مبادئها فكرةً تقول : إنّ الناس لا حقّ لهم في الحكومة ، بل هم مكلفون فحسب .

وكان هذا كافياً أن يثير الظالمين إلى الحرّية والديمقراطية والسلطة لمناهضة الكنيسة ، بل الدين ، بل الله تعالى بصورة عامّة .

وكان لهذا اللون من التفكير جذور موعلة في القدم سواء في الشرق أم في الغرب...»^(١) .

في ضوء هذا التفكير الخطر ، لا يمتلك الناس حقّاً أمام الإمام والقائد ، والولاية والقيادة الدينيّة تساويان سلب الحقوق السياسيّة والاجتماعيّة للناس ، وبكلمة واحدة : القائد مخدوم ، والناس كلّهم خدّم له ! ومن البديهي أنّ حكومة تتحرّك على

(١) سيرى در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغة) : ١١٩ .

أساس هذه الفلسفة تفتقد الرصيد الشعبي، والقيادة التي تمتلك هذه الرؤية فيما يخص حقوق الناس سوف لا تحظى برضاهم ودعمهم.

الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة

يرى الإسلام أن حق القيادة السياسيّة للمجتمع - في إطار تعاليمه - لا يغير حقوق الناس، بل هو رهينٌ بأداء القائد حقوقهم، وهم مكلفون بطاعته ودعمه إذا رُوِعت حقوقهم في النظام الذي يقوده.

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في هذا المجال:

«أما بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له»^(١).

وقال عليه السلام في كلامٍ آخر، وهو يبيّن الحقوق المتبادلة بين الشعب والقيادة:

«حقّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدّي الأمانة، فإذا فعل فحقّ على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا، وأن يجيبوا إذا دُعوا»^(٢).

نلاحظ في هذا الكلام أن حقّ القائد ليس رهيناً بأداء حقوق الناس فحسب، بل طرح حقّ الإمامة والولاية والقيادة بوصفه حقّ أداء الأمانة أيضاً.

نصل هنا إلى نقطٍ بالغة الأهميّة - في مجال أسس القيادة في الإسلام - وهي أن حقّ الحكومة في الإسلام ليس إلاّ تقديم نوع من الخدمة للمجتمع، وأنّ القائد خادم الناس لا مالكهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام رائع له:

«سيّد القوم خادمهم»^(٣).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.

(٢) كنز العمال: ١٤٣١٣.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠/١٨٧، كنز العمال: ١٧٥١٧.

من هنا، يذهب الإسلام إلى أنّ ولاية الأمر والقيادة - في الحقيقة - أمانة وحراسة وخدمة للناس، ووليّ الأمر أمين وراعٍ وأجير لهم.

القيادة وحفظ الأمانة

إنّ القرآن الكريم - قبل أن يطرح حقّ القيادة ولزوم طاعة الناس قادة المجتمع الإسلامي - يؤكّد حقّ الناس باعتباره أمانةً يجب على القادة الربّانيين أداؤها. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١).

قال الطبرسيؒ في تفسير مجمع البيان، في توضيح هذه الآية الكريمة:

قيل في المعنى بهذه الآية أقوال:

أحدها: إنّها في كلّ من أوتمن أمانةً من الأمانات، وأمانات الله وأمره ونواهيّه، وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره...

وثانيها: إنّ المراد به ولاية الأمر، أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعيّة، وحملهم على موجب الدين والشريعة...

وبعضه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾...

أمَرَ اللهُ تعالى كلّ واحد من الأئمّة أن يسلم الأمر إلى من بعده،... أنّه أمر الرعيّة بعد هذا بطاعة ولاة الأمر. وروي عنهمؑ أنّهم قالوا: آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم... ولذلك قال أبو جعفرؑ: إنّ أداء الصلاة والزكاة والصوم والحجّ من الأمانة،

(١) النساء: ٥٨.

ويكون من جملتها الأمر لولاية الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلّق به حقّ الرعيّة...»^(١).

قال المعلّى بن خنيس: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ قال:

«على الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده، وأمرت الأئمة بالعدل، وأمر الناس أن يتبعوهم»^(٢).

من هنا، فإنّ القيادة والحكومة على الناس - من منظار الإسلام - قبول الأمانة وحفظها وأداؤها. وكلّ من تولّى عملاً في النظام الإسلاميّ فقد اضطلع بقسم من عبء الأمانة الإلهيّة. وكلّ من كان له مقام وموقع وقدرة أكثر فإنّ عبء أمانته سيكون أثقل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى الأشعث بن قيس عامله على آذربيجان - موضحاً أنّ السلطة أمانة في النظام الإسلاميّ -:

«إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطَعْنَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أمانةً، وأنت مسترعى لمن فوقك. ليس لك أن تفتن في رعيّة، ولا تخاطر بالأبويّة، وفي يدك مالٌ من مال الله عزّ وجلّ وأنت من خزّانه حتى تُسلمه إليّ، ولعليّ أن لا أكون شرّاً ولاتك لك، والسلام»^(٣).

وقال عليه السلام في كتاب آخر لعامل من عمّاله - كان قد أخذ الأموال من بيت المال ليترّف بها في الحجاز -:

«أنا بعد، فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن

(١) انظر تفسير مجمع البيان: ٩٨/٣.

(٢) التهذيب: ٥٣٣/٢٢٣/٦.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥.

رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إلي... فاتق الله
واردّد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرنّ إلى
الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار»^(١).

القيادة والرعاية

العنوان الثاني الذي يمكن أن يبيّن رؤية الإسلام بالنسبة إلى موقع حقوق الناس
في النظام الإسلاميّ هو تعبير «الراعي» في توضيح موقع القيادة والإمامة.

ورد في كثير من الأحاديث المأثورة أنّ الإمام هو الراعي، والناس هم الرعيّة.
علماً أنّ معنى هاتين المفردتين في العربيّة يغيّر معناهما في الفارسيّة تماماً، إذ يتداعى
في خاطر الفارسيّ إذا سمعها نظام الإقطاع الذي يصادر فيه الإقطاعيون وملاكو
الأرض حقوق الناس.

هذا الاستعمال من باب تسمية الأشياء بأضدادها، واستخدام الكلمات المقدّسة
للتعبير عن مفاهيم ومآرب غير مقدّسة.

المفهوم الحقيقي للراعيّ هو «المحافظ»، والرعيّة هم الذين تُرعى شؤونهم ويحافظ
عليهم.

قال رسول الله ﷺ:

«كلّم راعٍ وكلّم مسؤول عن رعيّته، والإمام راعٍ ومسؤول عن رعيّته»^(٢).

نلاحظ في هذا الكلام أنّ رسول الله ﷺ عرّض في البداية ضرورة رعاية حقوق
الآخرين بوصفها مبدأً عاماً، إذ ينبغي للجميع في النظام الإسلاميّ أن يحافظوا على
حقوق ومصالح بعضهم بعضاً. من هنا كلّ مَنْ كان نطاق حفظه ورعايته أوسع

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤١.

(٢) صحيح البخاري: ١/٢٠٤/٨٥٣.

فمسؤوليته أكبر وأثقل. ثم ذكر ﷺ مسؤوليته وليّ الأمر في مقابل حقوق الناس، وبين بعد ذلك مسؤولية الزوج في حفظ حقوق زوجته وأولاده، ومسؤولية الزوجة في حفظ حقوق زوجها وأولادها^(١).

من هذا المنطلق، نرى أن جميع الأحاديث التي تسمي القائد «راعياً» والناس «رعياً» تؤكد نقطة حقوقية مهمة، تتمثل في أن حقّ الولاية والإمامة والقيادة - في الحقيقة - هو حقّ رعاية حقوق الناس، لا حقّ استغلالهم من أجل ميول وليّ الأمر ومآربه.

روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما أوتيكم من شيء وما أمنعكموه إن أنا إلا خازنٌ أضعُ حيث أمرت»^(٢).

«الخازن» حافظ لأموال الآخرين وحارس عليها. ونلاحظ في هذا الحديث أن النبي ﷺ يرى نفسه خازناً يتولّى مهمة رعاية الناس والمحافظة عليهم بتكليف ربّاني، ويعرض ولايته في نطاق مهمته الربّانية، لا في نطاق رغباته الخاصة.

القيادة والخدمة

من العناوين الأخرى التي تعكس الرؤية الإسلامية - في مجال حقوق الناس في النظام الإسلامي - عنوان «الأجير». قال رسول الله ﷺ:

«ألا وإني أنا أبوكم، ألا وإني أنا مولاكم، ألا وإني أنا أجيركم»^(٣).

يؤكد النبي ﷺ في هذا الكلام أنه أب رحيم، ووليّ أمرٍ مقتدر للمجتمع الإسلامي، وفي الوقت ذاته يُعرّف نفسه بأنه أجير للمسلمين، والأجير هو من يُخدّم

(١) صحيح البخاري: ١/٣٠٤/٨٥٣.

(٢) سنن أبي داود: ٣/١٣٦/٢٩٤٩، مسند ابن حنبل: ٣/١٩١/٨١٦١، كنز العمال: ١٦٧١١.

(٣) أمالي المفيد: ٣/٣٥٣.

الناس بأجرةٍ يأخذها منهم لقاء خدمته .

إنّ تعريف نفسه ﷺ أجيراً ودعاه في بداية الحديث على من ينتهك حقوق رسالته وقيادته إشارتان إلى آيات قرآنيّة قد أكّدت حقوقه ﷺ^(١).

وملخص الكلام: إنّ نبيّنا ﷺ وجميع الأنبياء ﷺ والقادة الرّبّانيين خدم لا ينتظرون أجراً مادّيّاً من الناس . والشيء الوحيد الذي يطلبونه منهم كأجرٍ لهم هو تطبيق منهاجهم الواهب الحياة، والوصول إلى الكمال المطلق . قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٢).

القائد في النظام الإسلاميّ إذا خادم لا تنطوي حقوقه على منفعة مادّيّة له . فهو لا يستخدم قدرته وإمكانياته لأجل مصلحته الخاصّة، بل هو أقلّ من الآخرين في الاستمتاع بالملذّات المادّيّة، وإنّما يستعين بقدرته بوصفه أميناً وحارساً وأجيراً للناس فحسب .

إنّ حقوق القيادة في النظام الإسلاميّ تتحقّق في إطار تأمين حقوق الناس، والقائد في الحقيقة خادم بلا عوّض ومِنّة، وأجير بلا مالٍ! قال سبحانه:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾^(٣).

وقد تكرّر مضمون هذه الآية الشريفة، حول الأنبياء الذين كانوا قادة مجتمعهم، في القرآن الكريم مراراً^(٤).

في ضوء ذلك، كان الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه يعتقد اعتقاداً تامّاً

(١) الفرقان: ٥٧، سبأ: ٤٧، الشورى: ٢٣.

(٢) الفرقان: ٥٧.

(٣) سبأ: ٤٧.

(٤) الشعراء: ١٠٩ و١٢٧ و١٤٥ و١٦٤ و١٨٠.

إشارة

قد يقال: إنّ الإقرار بأنّ القيادة في الإسلام أمانة وإنّ القائد أمين و خادم للناس ممّا لا ينسجم مع الاعتقاد بولاية الفقيه المطلقة. ذلك أنّ الناس على هذا الأساس هم أصحاب الحكومة الأصليّون، وأنّ المسؤولين-و على رأسهم القائد- يجب أن يلبّوا مطالبهم، وأنّ الحكومة لا تتمتع بأيّ صلاحية خارج نطاق رغبتهم. من هنا، يتحدّد الوليّ الفقيه بصلاحيّات منحها الناس أو ممثّلوهم إيّاه، ولا ولاية له أكثر من ذلك. من الضروريّ الالتفات إلى النقطتين الآتيتين لتوضيح هذا الغموض:

1-التفاوت بين أساس الحكومة الإسلامية و أساس الحكومات الديمقراطية

أساس الحكومة في النظام الإسلاميّ حاجة الناس، وفي الحكومات الديمقراطية رغبتهم، فحاجة الناس في الحكومة الإسلامية هي التي تحدّد صلاحيّات الحكومة والقيادة، لا رغبتهم.

على سبيل المثال، لو كان معظم الناس يرغبون في تعاطي المخدّرات أو المشروبات الكحولية فإنّ تعاطيها سيصبح مباحاً في الحكومة الديمقراطية، لأنّ رغبة الناس هي الأساس فيها. أمّا في الحكومة الإسلامية فلا يباح ذلك، حتّى لو رغب جميع الناس فيه، فرغبة الناس لا تجعل تعاطي الموادّ المذكورة قانونياً، وليس هذا فحسب، بل الحكومة مكلفة بمكافحتها. بكلام أدقّ: رغبة الناس محترمة في النظام الإسلاميّ ما دامت لا تتناقض مع حاجتهم (1). وإذا حدث تضادّ وتزاحم فإنّ أمانة الحكومة والحقوق الحقيقية للناس تستدعيان تقديم حاجاتهم.

2- معنى الولاية المطلقة للفقهاء

الولاية المطلقة للفقهاء ليست إلاّ الولاية المطلقة للفقهاء والإسلام. بعبارة أخرى: للولّيّ الفقيه-في النظام الإسلاميّ-صلاحية مطلقة إذ يعمل بما يمليه عليه القانون الإسلاميّ وحكم الله تعالى، لا بما تمليه عليه رغبته أو مصالحه الخاصة. ولو خال أحد أنّ الولاية المطلقة للفقهاء تعني أنّ الإسلام أذن لولّيّ المجتمع الإسلاميّ أن يعمل كما يشاء وينتهك حقوق الناس بهيئة ديكتاتور دينيّ فقد ارتكب خطأ فادحاً. وإذا نقل هذا الوهم الغالط إلى الآخرين فقد اقترف خيانة عظيمة بحقّ الإسلام والثورة الإسلامية. وصفة القول: إنّ الولاية المطلقة للفقهاء هي في إطار المبادئ القيمة للإسلام، والحاجات الحقيقية للإنسان. من هنا فهي لا تتناقض مع حقوق الناس، بل إنّ أساسها هو أداء حقوقهم الحقيقية.

ص: 350

1-1) لمزيد من التوضيح انظر كتابنا فلسفته وحي ونبوت (فلسفة الوحي و النبوة): الدرس الخامس.

الخلاصة

- ☐ رضا الناس ودعمهم للحكومات هو مقياس نجاح الحكومات في تلبية حاجاتهم.
- ☐ لا تتلخّص حاجات الناس في الماديات. فقد تؤثر العوامل الروحية في كسب رضاهم أكثر من العوامل المادية.
- ☐ اعتراف الحكومة - خاصة القيادة - بحقوق الناس واجتنابها كلّ عمل يعبر عن إلغاء دورهم في الحكم هو من شروط استرضائهم وكسب ثقتهم.
- ☐ التفكير الخطر الذي يرى أنّ المسؤولية أمام الله تستلزم عدم المسؤولية أمام الناس، وأنّ حقّ الحاكمية القومية يساوي الإلحاد، هو من الدوافع الرئيسة للنزوع نحو المادية في القرون الأخيرة.
- ☐ يرى الإسلام أنّ حقوق القيادة رهينة بحقوق الناس، والناس مكلفون بطاعة القائد ودعمه، إذا كانت حقوقهم محترمة.
- ☐ القيادة في الإسلام أمانة ورعاية وخدمة. والقائد أمين وأجير وخادم للناس.
- ☐ إنّ ما عُرف بحقوق القيادة في الإسلام هو في الحقيقة حقوق الناس أيضاً، والقيادة الربّانيون الكبار هم خدّم بلا أجر ولا مئة.
- ☐ رغبة الناس محترمة في النظام الإسلامي ما دامت لا تتعارض مع حاجتهم، وإذا تعارضت فإنّ أمانة الحكومة وحقوق الناس تستدعيان تقديم حاجتهم.
- ☐ الولاية المطلقة للفقهاء هي في إطار المبادئ القيمية للإسلام والحاجات الحقيقية للإنسان. فهي إذاً لا تتعارض مع حقوق الناس، بل إنّ أداء حقوقهم هو الأساس لها.

حقّ النقد هو حقّ لإقامة سائر الحقوق، وإحيائه يمكن أن يقى من الاستبداد الذى هو أخطر آفات السلطة. ومتى كان النقد حرّاً فى المجتمع و قدر الناس أن يتحدّثوا بنقاط ضعف الإدارة الحاكمة و سلبيّاتها تهبّاً للمسؤولين أن يلحظوا نقاط ضعفهم بوضوح، وأن يكافحوا الفساد و الظلم، و يقدّموا خدمات أكثر قيمة. و يصدق عكس ذلك أيضاً، فإنّ غياب حقّ النقد يمهد الأرضيّة لنشوء المتمرّقين و المتزلفين، و يخفى نقاط الضعف عند المسؤولين فى برامجهم السياسيّة و إجراءاتهم، و يؤدّى إلى استئراء الفساد فى الأجهزة الحكوميّة، و يقضى على العدالة الاجتماعيّة فى آخر المطاف. و تدلّ دراسة التوجيهات التى أبداها قادة الإسلام الكبار لا سيّما رسول الله صلّى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام على أنّ حقّ النقد فى الإسلام من حقوق الناس الرسميّة. فإنّه لا يكتفى المسلمون بممارسة حقّ تذكير حكّامهم بنقاط ضعفهم و عرض اقتراحاتهم

البناء فحسب، بل إن إقامة هذا الحق واجب عليهم كتكليف إلهي. ويرى القادة الربانيون الكبار أن التملق مذموم، وأن النقد البناء هدية كبيرة، ويعرفون الناقد على أنه أفضل صديق وأحب أخ إليهم. قال الإمام الصادق عليه السلام: «أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوي» (1). وهكذا يعلم قادة ديننا الناس استثمار حق النقد لإصلاح السلوك الفردي، وإحياء الحقوق الاجتماعية.

انتقدوني!

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائدا كاملا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعصوما حسب الأدلة القوية القاطعة. ولا ريب في سداد آرائه وأفكاره وممارساته، بيد أنه في الوقت نفسه لا يأذن للناس أن ينقدوه فحسب، بل يريد منهم -بجد- أن يجتنبوا التملق الذي يمثل عادة عامة عند مواجهة الجبارة المستكبرين. وإذا شاهدوا منه رأيا أو عملا خاطئا بزعمهم فعليهم أن ينقدوه بلا وجل، و يكونوا واثقين من أنه لا يمتعض من النقد، بل يمتعض من التملق والإطراء في غير محله. والأعجب من ذلك كله أن الإمام عليه السلام لا يسمح بنقده في الظروف الاعتيادية والطبيعية للمجتمع الإسلامي فحسب بل يسمح به أيضا في أخرج ظروف الحكومة وفي أشد الحروب التي وقعت أيام خلافته، أي: في حرب صفين. ألقى الإمام عليه السلام خطبة حماسية تحدت فيها عن الحقوق المتبادلة بين القائد والناس، ودور هذه الحقوق في بقاء الحكومات أو سقوطها، والتأكيد على ضرورة رعاية الناس حقوق القيادة. عندها احتاج أحد أصحابه عليه السلام اهتياجا شديدا، و طفق يثنى على الإمام ويمجده وهو يعلن عن طاعته على أسلوب المداحين جميعهم.

ص: 354

1-1) الكافي: 2/639/5، [1] الاختصاص: 240، بحار الأنوار: 74/282/4. [2]

لم يتأثر الإمام عليه السلام بمدحه وإطرائه، أو لم يأخذ بعين الاعتبار حتى الظروف الحساسة القائمة، فقال صلوات الله عليه: «... إن من أسخف حالات الولاية عند صالح الناس أن يظنّ بهم حبّ الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أنّي أحبّ الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه... فلا تكلموني بما تكلم به الجابرة، ولا تتحفّفوا منّي بما يتحفّف به عند أهل البادرة، لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالا في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه». وخلص إلى القول: «فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن اخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي...» [1]. نصّ الإمام عليه السلام في هذه الخطبة على إمكان خطئه لو لا كفاية الله تعالى وحفظه وعصمته. ومع أنّه كان محفوظاً بصيانه إلهية، بيد أنّه طلب من الناس أن لا تمنعهم شخصيته السياسية والمعنوية عن نقده، وأكّد أن لو رأوا عملاً غالطاً في حكومته فعليهم أن يذكّروه. بكلمة بديلة: أدان الإمام عليه السلام بشدّة في جوابه لذلك المادح العادة السيئة المتمثلة بالثناء على الامراء ورجال السياسة في المجتمع الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى أراد أن يريّ في نفوس الناس روح النقد والنظر العميق في أعمال المسؤولين عن

ص: 355

النظام الإسلامي، حتى لو كان هؤلاء المسؤولون في أعلى المستويات-أى: معصومين-كما أراد أن يدرب القادة على قبول النقد.

ضروب النقد السياسي

إشارة

بعد أن ذكرنا أنّ الإسلام يعترف بحق النقد يثار الآن السؤال الآتى: هل يسمح النظام الإسلامى بالنقد الذى يستتبع أهدافا سياسية معينة بنحو مطلق؟ أم يضع له شروطا وضوابط خاصة؟ الجواب المجمل عن هذا السؤال هو: أنّ النقد السياسى-بالنظر إلى بواعثه وأهدافه و محتواه-ينقسم إلى قسمين: 1-النقد السياسى البناء. 2-النقد السياسى الهدام. يرى الإسلام أنّ النقد السياسى البناء واجب على كلّ مسلم، وأنّ النقد السياسى الهدام محظور عليه.

1-النقد السياسى البناء

لا يهدف هذا النقد إلا إلى الإصلاح والنصح والبناء ومكافحة الفساد والشذوذ، ولا يرمى الناقد فيه إلى فرض كلامه وتحكيم خطّه السياسى وإشباع غريزة حبّ الجاه فى نفسه. ولم يتخذ دعم الحقّ والعدالة والناس وسيلة لبلوغ مآربه السياسىة، بل هو يدعم الحقّ بصدق. ولم يجز القرآن الكريم والسنة الشريفة هذا النقد تحت عنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فحسب، بل أوجبه كعمل ضرورى لا محيد عنه من أجل استمرار حاكمية الإسلام. يرى القرآن الكريم أنّ لجميع المؤمنين حقّا أن ينقدوا أيّا كان، دون نظر إلى موقعه السياسى والاجتماعى. قال تعالى: **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**

ص: 356

وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (1). هذه الولاية هي القدرة القانونيّة للنقد البناء، التي وهبها الله سبحانه كافّة المؤمنين ليتمكّنوا من مكافحة المنكرات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة وغيرها، و من ثمّ يبنوا مجتمعا ليس فيه إلا المعروف والحسن والجمال. تنصّ الآية الكريمة المتقدّمة على أنّ أدنى إنسان في المجتمع الإسلاميّ يتمتّع بولاية و قدرة تمكّنه أن ينقد بصراحة أرفع شخص يشغل موقعا سياسيا و اجتماعيا مهما، و أن يلفت نظره إلى نقاط ضعفه، و يأمره أن يؤدّي واجبه على نحو صحيح. يرى أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النقد البناء قوام الشريعة، أي: إنّ حاكميّة الإسلام في المجتمع رهينة بمثل هذا النقد. قال عليه السلام: «قوام الشريعة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إقامة الحدود» (2). في ضوء هذه الرؤية كان الإمام عليه السلام في أيام خلافته يستاء من التملّق و المتملّقين، و يطلب من الناس بالبحاح ألاّ ينظروا إلى موقعه السياسيّ، و لا ينوا عن التذكير إذا رأوا ضعفا أو خطأ في حكومته.

2- النقد السياسيّ الهدام

لا يختلف هذا النقد في ظاهره عن النقد البناء، فالناقد هنا يتظاهر بالنصح و طلب الإصلاح. و يرفض كلّ منفعة شخصيّة و فئويّة من وراء نقده. من جانب آخر، تبلغ الحوافز النفسيّة في الإنسان من الدقّة مبلغا بحيث يمني الناقد بخداع الذات. قال تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*

ص: 357

[1-1] (1) التوبة: 71. [1]

[2-2] (2) غرر الحكم: 6817. [2]

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (1). ليس الهدف الأصليّ و النهائيّ في النقد السياسيّ الهدّام مكافحة الفساد و الشذوذ، بل هو إشباع غريزة حبّ الذات و الجاه. فالتظاهر بنصرة الله و دعم الحقّ، و مكافحة الفساد تمثّل في الحقيقة جسرا لبلوغ الأهداف السياسيّة. و أصحاب هذا النقد- كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام- جعلوا آخرتهم وسيلة لطلب الدنيا. قال عليه السّلام: «و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة و لا يطلب الآخرة بعمل الدنيا» (2). أجل، النقد الهدّام خطر بالقدر الذي يكون فيه النقد البتّاء أو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مفيدا و مفرّجا و ضرورياً للمجتمع الإسلاميّ. و نظرا إلى أنّ هذين الضريبتين من النقد لا تفاوت بينهما في الوهلة الاولى، و أنّ موضوع النقد السياسيّ من أهمّ القضايا المعاصرة، فلا بدّ من التوفّر على دراسة بعض الموضوعات من أجل التعرّف على النقد البتّاء، و كذلك التعرّف على آراء الإسلام في موقفه من النقد الهدّام: 1- مواصفات النقد البتّاء. 2- آفات النقد البتّاء. 3- اسلوب التعامل مع النقد الهدّام.

مواصفات النقد البتّاء

إشارة

تلخّصت مواصفات النقد البناء في حديثين نبويّين رائعين حول (علامات الناصح) و (شروط الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر).

ص: 358

[1-1] البقرة: 11 و 12. [1]

[2-2] نهج البلاغة: الخطبة 32. [2]

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَوَاصِفَاتٍ مِنْ لَا يَهْدَفُ فِي نَقْدِهِ لِغَيْرِ الْبِنَاءِ: «أَمَّا عَلَامَةُ النَّاصِحِ فَأَرْبَعَةٌ: يَقْضِي بِالْحَقِّ، وَيُعْطِي الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَرْضَى لِلنَّاسِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَى أَحَدٍ» (1). وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي شُرُوطٍ مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ: «لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: رَفِيقٌ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ رَفِيقٌ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ، عَدْلٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ عَدْلٌ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ، عَالِمٌ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ عَالِمٌ بِمَا يَنْهَى عَنْهُ» (2). يُمْكِنُنَا فِي ضَوْءِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ النَّبَوِيِّينَ الشَّرِيفَيْنِ أَنْ نَقُولَ: لِلنَّقْدِ الْبِنَاءُ ثَلَاثُ مَزَايَا هِيَ:

1- العلم

النقد البناء: هو النقد الذي يكون فيه الناقد قد درس موضوع نقده بنحو تام، و أدرك فيه ظروف من ينقده بشكل دقيق، و أخيرا علم و أحاط إحاطة كاملة بمعروف شيء يأمر به، و منكر شيء ينقده: «عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه» .

2- الإنصاف

المزية الثانية من مزايا النقد البناء هي: مراعاة الإنصاف في نقد آراء الآخرين و أعمالهم. نقرأ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام حديثا يرى فيه أنّ الإنصاف أرفع درجات العدل. قال عليه السلام: «لا عدل كالإنصاف» (3)

ص: 359

1-1 تحف العقول: 20.

2-2 نواذر الراوندي: 21، [1] الجعفریات: 88، [2] بحار الأنوار: 100/87/64. [3]

3-3 البحار: 78/165/1.

ونلاحظ أنّ النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله يؤكّد على هذه الصفة أكثر من غيرها في تبيان سمات النقد البناء، فقد تكرّر في كلامه المذكور التركيز على مراعاة الحقّ والعدل والإنصاف في النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ستّ مرّات. والنقطة اللافتة للنظر هي أنّ إعطاء المرء الحقّ من نفسه علامة من علامات النصح للآخرين، وقد نصّ عليها الكلام النبويّ بصراحة. وإنّ تطبيق الإنسان الحقّ والعدل على نفسه وإنصافه منها يمثلان أعلى درجات العدل والإنصاف. قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: «غاية الإنصاف أن ينصف المرء نفسه» (1). لا يتسنّى لأحد أن ينقد آراء الآخرين وأعمالهم ويكون ناصحاً لهم إلاّ إذا بلغ هذه الدرجة من الإنصاف، فلا ريب أنّ نقد مثل هذا الشخص ثمين وبنّاء. بعبارة أخرى: إنّ من يستطيع أن يرى عيب الآخرين وينقدهم هو من رأى عيوبه وجرأ على نقد نفسه أيضاً.

3- الأسلوب المرضي

لأسلوب النقد دور مهمّ في سلامته وبنائه. فكون النقد حقّاً لا يكفي لجعله بنّاء، بل إنّ عرض النقد بنحو مناسب هو من شروطه الأصليّة والمصيريّة أيضاً. وفي التوصية بالرفق والمداراة في الأمر والنهي-المازّ ذكرها في الحديث النبويّ-إشارة إلى هذه الصفة المهمّة. المعيار العامّ في أسلوب النقد الصحيح هو أنّ الناقد ينقد الآخرين بالشكل الذي يحبّ أن ينفدوه بمثله أيضاً: «و يرضى للناس ما يرضاه لنفسه» .

ص: 360

[1-1] غرر الحكم: 6367. [1]

تشير الأحاديث المأثورة إلى آفات لو منى بها النقد فإنّه يفقد صفة البناء. من هنا يمكننا أن نعدّ هذه الآفات خصائص للنقد الهدّام أيضا:

1- جهل الناقد

الجهل من أخطر آفات النقد، فالجاهل لما كان لا يعلم دوافع ما يفعله الآخرون ولا يدرك عقبات العمل ومشكلاته فإنّه يفتح فاه بالنقد حالما تعارض العمل مع ذوقه ورؤيته، دون الأخذ بعين الاعتبار ظروف العمل ومتطلباته وعقباته. قال أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام في هذا الصدد: «من جهل شيئا عابه» (1). «من قصر عن معرفة شيء عابه» (2). من هنا يعدّ الجهل أصلا لكثير من ضروب التعيب، كما قال الإمام عليه السّلام: «الناس أعداء ما جهلوا» (3). وإذا بلغ الإنسان يوما هذه الدرجة من المعرفة وصياغة النفس واستطاع أن ينقد ويوالى ويعادى على أساس العلم والوعى فلن تبقى في المجتمع أرضية النقد الهدّام والعداء الناجم عنه. وأشار القرآن الكريم إلى هذه النقطة المهمة في جوابه من الطعون التي صوّبها الأعداء إلى الإسلام في عصر البعثة. قال تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ (4).

ص: 361

1-1 كشف الغمّة: 3/137، بحار الأنوار: 78/79/61. [1]

2-2 الإرشاد للشيخ المفيد: 1/301، [2] بحار الأنوار: 77/420/40. [3]

3-3 نهج البلاغة: الحكمة 172 و 438، [4] خصائص الأئمة: 110، [5] الاختصاص: 245.

4-4 يونس: 39. [6]

آفة اخرى من آفات النقد الهدّام. وينبغي أن نقول-أسفين-: إنّه قلّما يسلم النقد و الناقد من هذه الآفة. و يطغى اللسان و القلم عادة في مدح الآخرين أو ذمّهم، و يتجاوز حدّ العدل و الإنصاف. قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «قلّما ينصف اللسان في نشر قبيح أو إحسان» (1). إنّ ضروب الأمراض الأخلاقيّة-خاصّة الأناييّة و الحسد-تدفع الإنسان إلى الإجحاف في النقد. من هنا يصدر أكثر أنواع النقد بناء من أفضل الناس أخلاقا. إنّ الدور الهدّام للأمراض الأخلاقيّة في الانتقادات السياسيّة هو أعقد و أخطر. و لا يمكن للأناييّة أن ينصف في انتقاداته، فهو يتظاهر بأنّه ناصح للناس بألف دليل و دليل، بيد أنّه لا يهدف في الحقيقة إلّا إلى الاستعلاء و فرض ذوقه و خطّه السياسيّ. و الحسد أخطر من الأناييّة. و الحسود لا يفكّر حتّى بمصلحته، إذ لا يرضى إلّا بزوال نعمة الغير، من هنا قال الإمام الصادق عليه السّلام: «النصيحة من الحاسد محال» (2).

3-الاسلوب المذموم

إنّ استخدام الأساليب الغالطة لا يجردّ النقد من الفائدة و البناء، و لا يفقد أثره في إزالة النقائص و نقاط الضعف من الفرد و المجتمع فحسب، بل يزيد الطين بدّة و النار حطبا، و يجعل النقد هدّاما كلّ الهدم. القصد من اسلوب النقد هو الطريقة التي يختارها الناقد لطرح نقده، كنوع التعامل، و اللفظ و اسلوب التعبير، و الظروف الزمانيّة و المكانيّة، و المخاطب، و غير

ص: 362

[1-1] غرر الحكم:6724. [1]

[2-2] الخصال:269/5، بحار الأنوار:74/194/18، و:78/194/91، و:103/225/11. [2]

ذلك. على سبيل المثال، يرى الإسلام أنّ الموقف العلنيّ و النقد أمام الآخرين-إلاّ في حالات استثنائية-مذمومان، ويمثّلان اسلوبا غير سليم. قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «نصحك بين الملاءمات» (1). وقال الإمام العسكريّ عليه السّلام: «من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، و من وعظه علانية فقد شانه» (2). و من الأساليب غير السليمة أيضا: الموقف الحادّ العنيف، و استعمال الألفاظ القبيحة المشينة، و اختيار الظروف غير المناسبة لطرح النقد. لذلك، فالنقد الهدّام إمّا ينشأ عن جهل الناقد، أو أنّ بواعث غير أخلاقية تفرضه، أو أنّ اسلوب طرحه غير سديد، أو تجتمع هذه الآفات كلّها في إيجاده. و كلّما كان جهل الناقد أكثر و حافزه أفسد و اسلوب نقده أسقم ازداد هدم نقده و تضاعفت آثار شدوده في المجتمع.

اسلوب التعامل مع النقد الهدّام

نظرا إلى مواصفات النقد الهدّام و آثاره فلا ريب أنّ هذا الضرب من النقد يعدّ جرما و ذنبا، و أنّ الناقد يعتبر مجرما و مذنبا، لذلك فاسلوب التعامل مع هذا الذنب-كاسلوب التعامل مع سائر الذنوب-يرتبط بمراعاة الآداب و الظروف و درجات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. في ضوء ذلك، ليس النظام الإسلاميّ وحده مكلفا بالتخطيط للحؤول دون الانتقادات الهدّامة و اتّخاذ الموقف منها، بل إنّ كلّ مسلم مكلف أيضا باتّخاذ الموقف

ص: 363

[1-1] غرر الحكم: 9966. [1]

[2-2] تحف العقول: 489، بحار الأنوار: 78/374/33. [2]

منها حسب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا وجد نفسه عاجزاً عن ذلك فعليه أن ينهج أسلوب النضال السلبي، عملاً بتوصية القرآن الكريم. قال تعالى: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ. . . (1). قال الإمام الصادق عليه السلام، في بيان هذه الآية الكريمة: «إتّما عنى بهذا: إذا سمعتم الرجل الذى يجحد الحقّ ويكذب به ويقع فى الأئمة فقم من عنده ولا تقاعد، كائنا من كان» (2). بالرغم من أنّ المعيار الكلّيّ فى الموقف المتّخذ من النقد الهدّام هو قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيد أنّ تطبيق هذا القانون بالنسبة إلى النقد السياسىّ خاصّة النقد الموجّه إلى الحكومة الإسلاميّة-ليس أمراً هيئنا. فالموقف من مثل هذا النقد يتطلّب دراسات شاملة، ويحتاج إلى ممارسة أسلوب متّزن و تخطيط دقيق. وبكلمة واحدة: فقدان الحنكة السياسيّة فى مواجهة الانتقادات السياسيّة أمر بالغ الخطورة.

درس من السيرة النبويّة

إشارة

اتّخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله موقفاً حكيماً فى مواجهة متطرّف معاصر كان قد قدح فى عدالته صلّى الله عليه وآله، بل فى حاكميّة العدالة فى الإسلام. وفى ذلك الموقف درس تربويّ ثمين لكلّ مسؤول من مسؤولى النظام الإسلامىّ، عند مواجهة الانتقادات فى جميع العصور.

ص: 364

[1-1] النساء: 140. [1]

[2-2] الكافي: 2/377/8، [2] تفسير العيّاشى: 1/282/291. [3]

كان صَلَّى الله عليه وآله مشغولاً في تقسيم غنائم الحرب يوماً، وكانت سياسة تأليف القلوب تقتضى اهتماماً أكبر بالمسلمين الجدد من أولى النفوذ الذين كانوا يرون لأنفسهم شخصية متميزة عن الآخرين. وعند ما كان النبي صَلَّى الله عليه وآله يعطى كلَّ مسلم حصته كان يلتفت إلى اليمين قليلاً، وكأَنَّهُ كان يكلم أحداً، ثمَّ يعطى الحصّة المذكورة، وكان الحاضرون يعتقدون أَنَّهُ يكلم جبريل عليه السّلام. خال بعض المتظاهرين بالقداسة أنّ طريقة تقسيم الغنائم غير عادلة، لذا عزم أحدهم على أن ينتقد النبي بشدّة أمام الصحابة. وهذا الشخص هو ذو الخويصرة من قبيلة بني تميم. كان طويل القامة، أسود الوجه، غائر العينين، مشرف الحاجبين، محلوق الرأس، على جبهته آثار السجود. فتقدّم والنبي صَلَّى الله عليه وآله مشغولاً بالتقسيم، ولم يسلم عليه وسلم على الحاضرين. ثمَّ ذكره باسمه، وخاطبه خطاباً مهيناً، فقال: «يا محمّد، والله ما تعدل!». غضب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من هذا النقد الجاهل والموقف الفظّ المهين. ولم يكن غضبه بسبب انتقاده الجافى لشخصه، بل لأنّ مثل هذا الانتقاد الصادر من هؤلاء «المتنسّكين» يمكن أن يقدح في النبوة والإسلام، ويزعزع النظام الإسلاميّ. أجل، بانّت آثار الغضب على المحيّيا الملكوتيّ لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وبينما كانت وجناته قد احمرّت من شدّة الغضب أجابه بهدوء: «ويحك! فمن يعدل إذا لم أعدل؟!». وامتعض الحاضرون أشدّ الامتعاض من هذا الموقف الفظّ، واستأذنوا نبيّهم في قتله. فقال لهم نبيّ الرحمة صَلَّى الله عليه وآله: لا، لا أريد أن يسمع المشركون أنّي قتلت أصحابي. . . فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن

لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. . . ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء. . . ليس لهم أدنى صلة بالإسلام! لا تتعرضوا لهم، سيقتلهم الله بعدى بأحب خلقه إليه (1)! . و كان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وآله، إذ قتل ذو الخويصرة وأصحابه في حرب النهروان، على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. نلاحظ في هذه القصة وفي موقف رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك الانتقاد الجاهل المتطرف المتعصب الذي وجهه أحد «المتنسين» المتحجرين نقاطا تربوية مهمة تفيد الجميع، لا سيما مسؤولي الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني الوفي المقاوم. ويبدو أن الالتفات إليها ضروري:

1- لا يسلم أحد من الانتقادات غير الموجهة

لا يسلم امرؤ ولا عمل ولا حكومة من انتقادات اللامزين. فكل إنسان وكل حكومة مهما حاولا أن تكون أعمالهما خالية من كل عيب و نقص، ومهما عملا بصورة صحيحة فلا يأمنان على أنفسهما من ظهور من يعيبها وينقدهما بلا حق. نحن نعتقد أن التاريخ لم يشهد قائدا أكمل من النبي صلى الله عليه وآله، وحكومة أعدل من حكومته، بيد أننا نلاحظ كيف يوجه إليه الانتقاد بلا مروءة، وفي قضية ترتبط بالعدالة التي هي أساس رسالة الأنبياء جميعهم! والأنكى من ذلك كله أن الله تعالى نفسه لم

ص: 366

1 - 1) نقل محدثو الشيعة والسنة هذه القصة بأشكال مختلفة، وما ذكرناه كان مركبا من مضمون أكثرها. انظر صحيح البخاري: 3/1148/2981، صحيح مسلم: 2/741-744، مسند ابن حنبل: 2/681/7059، و: 4/113/11537، [1] الإرشاد للشيخ المفيد: 1/148، [2] دعائم الإسلام: 1/389. [3] كانت الأموال التي انتقد النبي صلى الله عليه وآله على تقسيمها تتعلق بغنائم حرب حنين، كما تقيده أكثر الروايات. ولكن نقلت بعض الروايات قصة شبيهة بها ترتبط بالأموال التي كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أتى بها من اليمن. ولعلهما في الأصل قصتان. انظر: صحيح مسلم: 2/741/143، تاريخ المدينة المنورة: 2/540.

يسلم من الانتقاد أيضا! روى السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه أن موسى عليه السلام قال: «يا رب، احبس عني السنة بنى آدم، فإنهم يذمونى...». فأوحى الله جلّ جلاله إليه: «يا موسى، هذا شيء ما فعلته مع نفسك، أفتريد أن أعمله معك؟!». فقال: «قد رضيت أن تكون لى اسوة بك!» (1). إن ما يمكن أن يتعلّمه مسؤولو النظام الإسلامى من هذا المأثور هو أن الانتقاد غير الموجّه و تعيب العدو العالم و الصديق الجاهل و المتطرّف المتعصّب... أمر طبيعى لا مناص منه. إنهم لا يستطيعون أن يعملوا عملا يمدحهم عليه جميع الناس و لا يلومهم أحد، فهذا لم يقدر حتى لله تعالى و أنبيائه عليهم السلام. فمن الجدير ألا يصابوا بالفتور لانتقاد غير موجّه أو لوم فى غير محلّه. و عليهم أن يستثمروا وقتهم فى أعمال أساسية ترضى الله سبحانه بدل أن ينشغلوا بنزاعات لا تجدى نفعا. و من البديهي أن اهتمامهم بالنقد البناء- كما مرّ بنا- واجب إلهي مفروغ منه.

2- التشكيك فى مطالبة المتطرّفين السياسيين بالعدالة

الموضوع الآخر الذى نتعلّمه من قصة ذى الخويصرة هو التشكيك فى مطالبة المتطرّفين السياسيين بالعدالة فى النظام الإسلامى، إذ تدلّ بوضوح على أنه ليس كلّ من رفع شعار المطالبة بالعدالة و عليه سيماء الدين و الصلاح هو من طلاب العدالة حقّا، و ربّما جعل الجهل أو السياسة المطالبة بالعدالة أداة لإضعاف النظام الربّانى، و لتنفيذ مآرب سياسية معينة.

ص: 367

1- 1) انظر كتاب فتح الأبواب: 308 و 309، [1] بحار الأنوار: 71/361/5، [2] المحجّة البيضاء: 4/34.

تدلّ هذه القصة بجلاء على أنّ الذين يتكلّمون بصوت أعلى من القائد في النظام الإسلاميّ و يرفعون شعار المطالبة بالعدالة بنحو أشدّ و أعنف من الإمام و يتحرّكون قبله لتحقيق الأهداف الثوريّة إنّما يخطون باتجاه دحر الإسلام و دمار الحقّ و العدالة، علموا أم جهلوا. و على الناس أن يعرفوهم جيّدا و لا يندعوا بشعاراتهم المتطرّفة البرّاقة.

3- مبدأ مراعاة المصالح السياسيّة

النقطة الاخرى الملحوظة في قصة ذي الخويصرة هي اهتمام الإسلام بمصلحة النظام. و يبدو أنّ عمليّن قد تحقّقا في هذه القضية على أساس المصالح السياسيّة، و هما: أ- الشخصيّات المتنفّذة الحديثة عهد بالإسلام قبضت أكثر ممّا قبضه المسلمون الآخرون، و تمتّعت بتسهيلات بيت المال و إمكانيّاته أكثر منهم، و ذلك مراعاة للمصلحة السياسيّة المتمثّلة بتأليف القلوب. لأنّ أحد مصارف الزكاة- حسب النصّ القرآنيّ الكريم- يصرف لتأليف قلوب الذين يمكن أن يفيدوا النظام الإسلاميّ بنحو من الأنحاء و إن كانوا أثرياء. و هذا هو ما ظنّه ذلك الجاهل «المتنّسك» مخالفا للعدالة. ب- إنّ من يستحقّ القتل بسبب إهانتته للنبيّ و تحقّق خطره على مستقبل العالم الإسلاميّ لا يأذن النبيّ صلّى الله عليه و آله بقتله. جاء في بعض الروايات أنّ سبب منعه هو أنّه لم يرد أن يشاع في الناس أنّه يقتل أصحابه، و لا جرم أنّ هذه القضية تعدّ مصلحة سياسيّة. و ترشدنا هذه الحادثة إلى أنّ مراعاة المصالح السياسيّة- إذا تطلّبت مصلحة النظام الإسلاميّ- مبدأ مقبول في

النقطة التربوية الثمينة الاخرى في هذه القضية هي التنبؤ بمصير الذين يجيزون لأنفسهم بانتقاداتهم غير الموجهة وغير السديدة أن يطعنوا في النظام الرباني والقيادة الإسلامية، ويكونوا سببا في إضعاف الإسلام وفي تقوية أعدائه. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتنبأ أن هؤلاء الأشخاص لا يكتفون بالانتقاد واللمز والمشادة الكلامية مع النظام الرباني وقيادته، بل إن هذا الذنب الكبير يدفعهم إلى الاصطدام بالحكومة الإسلامية وقيادتها تدريجا. وهذا هو ما حصل في آخر المطاف كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أن النقد الموجه إلى النبي أفضى إلى مقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام! ويبدو أن هذا المصير لم يقتصر على عصر صدر الإسلام وانتقاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بل هي سنة إلهية أن تؤدي الانتقادات المتطرفة غير الموجهة-التي تصوب نحو القادة الربانيين والأنظمة المبتنية على أحكام الإسلام وقوانين القرآن النورانية-إلى الاصطدام العملي بالحكومة الإسلامية. وإذا لم يتب أمثال هؤلاء الناقدين فلا مصير لهم إلا الهلاك الأبدى، وهذه حقيقة أثبتتها تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الإمام علي عليه السلام و النقد الهدام

إن دراسة لسيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في موقفه من الانتقادات التي وجهها إليه معارضوه في أيام خلافته ضرورية من أجل التعرف على الاسلوب الصحيح المتخذ من الانتقادات السياسية، لا سيما بالنسبة إلى مسؤولي النظام الإسلامي. ونظرا إلى الظروف الخاصة لحكومة الإمام وظهور التيارات السياسية وغير السياسية المعارضة في المجتمع الإسلامي فإن في أيدينا وثائق تاريخية كثيرة تدور حول مواقف الإمام عليه السلام من الانتقادات، ويمكن أن تكون نموذجا للموقف المتخذ من المعارضين السياسيين في النظم الإسلامية.

كان الناكثون والقاسطون والمارقون ثلاثة تكتلات سياسيّة رئيسية معارضة للإمام عليه السّلام خلال الفترة القصيرة لحكومته. وكانوا يعترضون على الإمام ونهجه الحكوميّ، ويبدون تذمّرهم واستياءهم بأشكال مختلفة. وتدلّ سيرة الإمام عليه السّلام في موقفه من اعتراضات تلك التيارات السياسيّة الثلاثة على أنّه إذا طلب من الناس رسمياً أن يطرحوا انتقاداتهم بصراحة فليس مراده كلّ انتقاد. وليس مراده أن يتحرّك طلاب السلطة والحاقدون والمتآمرون فيقولوا ويكتبوا ما شاؤوا بذريعة حرّية الرأى من أجل نيل أهدافهم السياسيّة، ومن ثمّ يضعفوا النظام الإسلامىّ ويقدحوا في قيادته. بعامة، كان موقف الإمام عليه السّلام من الناكثين والقاسطين والمارقين مناسباً للأسلوب الذى كانوا يختارونه في إظهار الانتقاد. على سبيل المثال، تلقى فيما يأتى نظرة خاطفة على انتقاد المارقين وموقف الإمام منهم.

انتقاد المارقين

المارقون والخوارج والشراة 1 أسماء لجماعة كانت من المعارضين المتشدّدين في معارضتهم للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، بدأوا تحرّكهم ضدّه بانتقادهم قضية التحكيم في حرب صفّين. ثمّ تبلوروا كحزب سياسىّ وفرقة دينية باصول عقائدهم الخاصّة. وقصة التحكيم- بنحو مجمل- كالآتى: كان جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في حرب صفّين على وشك الانتصار. ولما رأى معاوية نفسه على مشارف الهزيمة

استشار عمرو بن العاص، فأشار عليه برفع المصاحف و مناداة الناس أننا أهل قبلة و كتاب، لنحكّم أحدا لرفع الخلاف بيننا. بيد أن الإمام عليه السلام أمر بمواصلة القتال، و تبه الجيش على أن هذه خدعة لا أكثر، و أنّ معاوية و أصحابه أعداء القرآن، و إنّما لجأوا إليه لإنقاذ أنفسهم من الهزيمة المحتومة. و كان في جيش الإمام عدد ملحوظ من الجهّال «المتسكّين»، فأشار بعضهم إلى بعض متغامزين: ما ذا يقول عليّ؟! هل نقاتل القرآن؟! قتال القرآن منكر علينا مكافحته. . . و هكذا تمرّدوا على الإمام بهذه الذريعة، و حالوا دون تنفيذ أوامره. و كان مالك الأشتر رضوان الله عليه يقاتل قتالا شديدا قريبا من مقرّ معاوية، و معه القوّات التي كانت تحت إمرته، و لم يبق أمامه إلا أن يسيطر على المقرّ و تنتهي الحرب بانتصار الإمام عليه السلام. و ضغط الخوارج على الإمام، و هدّدوه بالهجوم من خلفه إذا واصل القتال. فكان إصرار الإمام على مواصلة القتال بلا جدوى! و أخيرا أرسل إلى مالك أن يوقف الحرب، و يترك ساحة القتال. فأجاب مالك أن لو أذن الإمام بمواصلة القتال لحظات اخرى لانتهدت الحرب بانتصار الإسلام و إبادة العدو. و هدّد المارقون الإمام عليه السلام بالقتل، فأرسل إلى مالك مرّة اخرى أن اذا أردت أن أبقى حيّا فارجع! توقّفت الحرب، لكي يحكّموا القرآن بينهم. و ينبغي تعيين شخصين ممثلين عن الجيشين لإنهاء الحرب على أساس حكم القرآن. قال الإمام عليه السلام: ليختر أهل الشام من ينوب عنهم، فاختر معاوية عمرو بن العاص السياسي المحترف المعروف، فاقترح الإمام عليه السلام عبد الله بن عباس أو مالك

الأشتر أو من كان بمستوى ابن العاص في الذكاء والتدبير والسياسة. لكنّ الجهلة الحمقى اختاروا أبا موسى الأشعري الذي لم يعرف بالتدبير، ولم يكن على علاقة طيبة بالإمام، وأصرّوا على تمثيله لهم، وأجبروا الإمام على إيفاد أبي موسى. وأخيرا خدع عمرو بن العاص أبا موسى بعد مضيّ شهر، وأقنعه بوجوب خلع الاثنين بذريعة رعاية مصالح المسلمين، ودفع ذلك الأحمق إلى صعود المنبر، فخلع أبو موسى الإمام. ثم استوى عمرو بن العاص على المنبر وقال: سمعتم ما قاله أبو موسى إذ خلع عليّا من الخلافة، وأنا أخلعه أيضا وأقلّد معاوية أمرها! اضطرب أمر الناس، وحملوا على أبي موسى، فلاذ بالفرار. وجاء الخوارج الذين سبّوا هذه الفضيحة إلى الإمام، وقالوا له: لقد أخطأنا إذ لجأنا إلى التحكيم، فكفرت وكفرنا، ونحن تبنا فتب (1)! لم يستجب الإمام عليه السّلام لطلبهم ووقف أمامهم بكلّ صلابة، فبدأ انتقادهم الشديد له. وكانوا يستغلّون كلّ فرصة للانتقاد، بخاصّة في الأوساط العامّة، وبحضور الإمام نفسه، وكانوا يرفعون شعارهم ضدّه علنا: «لا حكم إلّا لله». إذا، بدأ انتقاد المارقين للإمام عليه السّلام يثار تهم السّؤال الآتي: لماذا لم يعترف الإمام بخطئه ولم يتب من كفره في قضية التحكيم؟ فأصبح هذا الاعتراض سببا في معارضتهم السياسيّة، ثمّ أفضى إلى اصطدامهم المسلّح في النهروان.

الإمام عليه السّلام و الناقدون الجهلة المتعصّبون

المسألة المهمّة في هذه القضية هي كيف تعامل الإمام عليه السّلام مع هؤلاء الناقدين الجهلة المتعصّبين؟

ص: 372

(1-1) انظر جاذبه ودافعه علىّ عليه السّلام (فارسي): 118-120.

استرشادا بسيرة الإمام عليه السلام في موقفه من المارقين نرى من الضروري الالتفات إلى النقطتين الآتيتين كمقدمة: 1- لا شك أن انتقاد المارقين للإمام وإصرارهم على انتزاع الاعتراف منه بخطأهم ارتكبه ذنب كبير بين. 2- المتظاهرون بالقداسة والتسك، والشعارات الخداعة، وأنصار المارقين الكثيرون، وأخيرا الجو السياسي المعاكس للمجتمع في عصر حكومة الإمام عليه السلام، كلها حواجز مهمة جعلت الحؤول دون انتقاداتهم الهدامة عسيرا. مع هذا كله، لم يدع الإمام عليه السلام فرصة في مجال الحملات الإعلامية المركزة ضدّهم ما داموا مسالمين لم يشهروا السلاح، ولكنهم عندما شهروا سلاحهم بوجه الإمام وأعلنوا الحرب أبادهم جميعا، إلا شردمة قليلين منهم. وصف الإمام عليه السلام هؤلاء المنتقدين السياسيين في حملة إعلامية بأنهم شرّ الناس. قال عليه السلام مخاطبا إياهم: «ثم أنتم شرار الناس و من رمى به الشيطان مراميه و ضرب به تيهه» (1). و خطب عليه السلام ذات يوم بالكوفة- و هو يتحدث إلى الناس عن موضوع التحكيم المؤسف- فقام أحد الحاضرين، و قال: يا أمير المؤمنين، نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أيّ الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى [أسفا]، ثم قال: «هذا جزء من ترك العقدة» (2).

ص: 373

1-1) نهج البلاغة: الخطبة 127. [1]

2-2) مصادر نهج البلاغة و أسانيده [2] للمرحوم السيّد عبد الزهراء الحسيني: 1/367-369. [3]

يريد الإمام عليه السلام جيشه الذي عصى أمره وانخدع بمكيدة معاوية. ظنّ الأشعث بن قيس (1)-الذي كان من المناوئين السياسيين للإمام-أنّ الإمام يقصده، فاستغلّ الفرصة وقام معترضاً فقال له: «هذا عليك لا لك!» أراد بكلامه هذا أن يتبّه الحاضرين على وجوب لوم الإمام عليه السلام، إذ رضى بالتحكيم، لا لوم الذين أجبروه عليه! خفض الإمام عليه السلام إليه بصره وقال: «ما يدريك ما على مما لى! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك (2)، منافق ابن كافر! والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام اخرى، فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإن امرء دل على قومه السيف وساق إليهم الحتف لحرى أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد» (3).

ص: 374

-
- 1-1) كان من المعارضين و المنافقين فى حكومة الإمام عليه السلام. وهو الذى فرض عليه التحكيم فى حرب صفين مع الخوارج. وكان له دور فى قتل الإمام عليه السلام، و بنته سمّت الإمام الحسن عليه السلام، و ابنه قيس اشترك فى قتل الإمام الحسين عليه السلام.
- 2-2) فسّرت بالمنحرف ابن المنحرف، و المتكبر ابن المتكبر، و الكذاب ابن الكذاب، انظر شرح ابن أبى الحديد، [1] مصادر نهج البلاغة و أسانيد [2] للسيد الحسينى و غيرها.
- 3-3) نهج البلاغة: الخطبة 19. [3]

الخلاصة

- ☐ حقّ النقد هو حقّ لإقامة سائر الحقوق، ويمكن أن يحول إحياء هذا الحقّ دون الاستبداد الذي يُعدّ من أخطر آفات الحكومات.
- ☐ حقّ النقد في الإسلام من الحقوق الثابتة والرسمية للناس. وعلى كافة الناس إقامة هذا الحقّ باعتباره تكليفاً إلهياً.
- ☐ النقد السياسيّ البناء واجب في الإسلام، والنقد السياسيّ الهدّام محظور فيه.
- ☐ كان الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يستاء من التملّق والمتملّقين في أيام خلافته، ويطلب من الناس أن لا ينظروا إلى موقعه السياسيّ، وأن يذكروه إذا رأوا ضعفاً أو خطأً في حكومته.
- ☐ للنقد البناء ثلاث خصال: العلم، والإنصاف، والأسلوب المحمود.
- ☐ للنقد الهدّام ثلاث خصائص: جهل الناقد، والظلم، والأسلوب المذموم.
- ☐ ينطلق النقد الهدّام إمّا من جهل الناقد، أو أنّ بواعث غير أخلاقيّة تفرضه، أو أنّ أسلوب طرحه غير سديد، أو تجتمع هذه الآفات كلّها في إيجاده.
- ☐ من الضروري مراعاة الآداب والظروف ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الموقف من النقد الهدّام، كما في الموقف من سائر الذنوب والآثام.
- ☐ المسلمون كافة مكلفون، على أساس الواجب الإلهيّ المتمثّل بالنهي عن المنكر، أن يحولوا دون النقد الهدّام، وإذا لم يجدوا في أنفسهم قدرة على ذلك فعليهم اختيار أسلوب النضال السلبيّ.
- ☐ فقدان الحنكة السياسيّة في اتّخاذ الموقف من الانتقادات السياسيّة أمر شديد

الخطورة. وينبغي أن يكون الموقف من مثل هذه الانتقادات على أساس دراسات شاملة وتخطيط دقيق.

☐ انتقد أحد المتطرفين الدينيين المعاصرين للنبي ﷺ طريقة النبي في تقسيم الغنائم على مرأى ومسمع من الناس. ولم يصطدم به النبي لمصلحة سياسية، واكتفى بالإخبار عن مستقبله الخطر، وتمرد هذا الشخص وأصحابه وخرجوا على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم هلكوا في حربهم معه.

☐ نلاحظ في هذه القضية عدداً من النقاط التربوية المفيدة الآتية:

أ - لا تسلم حكومة من النقد غير الموجّه.

ب - مطالبة المتطرفين السياسيين بالعدالة جديرة بالتأمل والتشكيك.

ج - مراعاة المصالح السياسية مبدأ من المبادئ الإسلامية.

د - مصير النقد السياسي في الحكومة الإسلامية الاصطدام بالحكومة، ثم الهلاك

الأبدي.

☐ الناكثون والقاسطون والمارقون ثلاثة تكتلات سياسية رئيسة عارضت الإمام علياً عليه السلام في الفترة السياسية القصيرة التي حكم خلالها. واعترضت على أسلوبه في الحكم، وأبدت سخطها واستياءها بأشكالٍ شتى.

☐ تدلّ سيرة الإمام عليه السلام في موقفه من اعتراضات هذه التيارات السياسية الثلاثة على أنه إذا طلب من الناس أن يطرحوا انتقاداتهم بصراحة فإنما يريد النقد البناء، لا النقد المنطلق من بواعث فاسدة وهدامة.

☐ الأسلوب الذي اتّخذه الإمام في موقفه من اعتراضات التيارات المذكورة يناسب الأسلوب الذي كانت قد اختارته في التعبير عن النقد.

☐ بدأ انتقاد المارقين للإمام عليه السلام بإثارتهم السؤال عليه أنه: لماذا لا يعترف بخطئه في التحكيم ويتوب من كفره؟ وأفضى هذا الاعتراض إلى المعارضة السياسية والاصطدام المسلح تدريجاً.

القسم السابع: ائمة الاسلام بعد النبي صلى الله عليه و آله

اشارة

ص: 377

غاية الرسالة النبوية والثورة العظيمة التي تحققت في العالم لأول مرة بقيادة رسول الله تأسيس حكومة تركز على الوحي وتهدف إلى تكامل الإنسان. وقد قطعت تلك الثورة الكبيرة في أول مراحلها وفي حياة قائدتها العظيم أشواطاً بعيدة في سبيل ذلك، مع جميع ما رافقها من مصاعب. وكان حقيقاً بها - من أجل بلوغ ذلك الهدف - أن تستمر وتتصل بالفترة التي أعقبت وفاة الرسول الأعظم لتتحقق شموليتها، ولتحمّل مشعل الهدى إلى جميع الناس حتى يوم القيامة. وأهم باعث على ذلك الاتصال هو موضوع القيادة، إذ ارتبط به مصير القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية كلها.

وإن أدنى خطأ وأقل انحراف في هذا المجال يستتبعان خسائر لا تعوض للإسلام والثورة الإسلامية وأهدافها السامية.

كانت وفاة النبي غير مفاجئة، ذلك أنه كان يخبر بها من قبل، وأصحر بها في حجة الوداع⁽¹⁾. من هنا لو فرضنا أن النبي كان قائداً عادياً وتغاضينا عن

ص: 379

1- (1) قال (... كَأَنِّي دَعَيْتُ فَأَجِب...» انظر خصائص أمير المؤمنين للنسائي: 79/ 100 تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي. وجاء في بعض الروايات: «يا أيها الناس، إنه لم يبعث نبي قط إلا -عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإنى أوشك أن أدعى أجيب..... المستدرک علی الصحیحین: 613 / 6272.

ارتباطه الثابت بالوحي فلا بد أن يخطط للقيادة ويضع لها برامجها، حرصاً منه على مستقبل الثورة وتعاهداً منه لأهداف دعوته الرفيعة.

فرضيات

أمام قائد الثورة - من الوجهة العقلية - ثلاث طرق من أجل استمرار الثورة والحكومة بعده، و تتحدد باختيار أى سياسته حيال مستقبل الثورة وقيادتها:

الطريق الأول: أن يقف من مستقبل الدعوة موقفاً سلبياً، أى إنه لا يشعر بالمسؤولية تجاه مستقبل الثورة وقيادتها، ويرى أن مسؤوليته تنحصر بفترة حياته فحسب، وهكذا لا ينظر إلى المستقبل كأمر يخصه. وكأن لسان حاله يقول: فليكن من بعدى ما يكون؟

الطريق الثانى: أن يترك الأمر شورى، فيوجه الناس ويعلمهم كيف يختارون القائد ويديرون شؤونهم عن طريق الشورى بشكل رسمى.

الطريق الثالث: أن يعين القائد الذى يقود الأمة بعده. وعلى هذا الأساس لا يعين القائد بعده فحسب، بل عليه أن يبين واجب أتباعه أبد الدهر.

يمكن أن نستنتج من خلال هذه المقدمة أنه لا يمكن تصور طريق آخر غير هذه الطرق الثلاث. وعلينا أن نعرف الطريق الذى اختاره رسول الله من بين هذه الطرق لاختيار القيادة بعده.

1- الطريق السلبى :

إشارة

من المحال على النبى أن يختار هذا الطريق ، لأنه إما يدل على أنه كان لا يشعر بالخطر على دعوته، أو أن مستقبل الدعوة ليس مهماً عنده . وكل من عرف النبى صلى الله عليه وآله

ص: 380

أدنى معرفة لا يمكن أن يقبل أيا من هذين الأحتالين .

أ- أخطار هذا الطريق

إشارة

إن كل من كانت له معرفة بألف باء السياسة والقيادة بدرك جيدا أن ترك ثورة فتية بلا تخطيط صحيح يولد خطرة على قيادتها المستقبلية، بل يعد خطوة لحقها، خاص إذا كانت ثورة قد أوجدت حركة ثقافية عظيمة في العالم، وهددت المصالح غير الشرعية للقوى المحلية والأجنبية، في مجتمع لم يتعد كثيرا عن جاهليته الأولى، ولم تيسر فيه جذور الجهل والتعصب بعد. من هنا كيف نصدق أن النبي - لعدم شعوره بالخطر على مستقبل الإسلام - لم يبد رأيا في أهم المسائل بعده، وهي مسألة الحكومة الإسلامية - أى مسألة القيادة - ويمر على هذه المسألة المهمة التي يرتبط بها مصير جميع الأحكام ومستقبل دعوته غير مبالي ولا مكترث بها؟!!

من جانب آخر، لو لم يتضح - في حياة قائد الثورة الإسلامية - تكليف الأمة في مجال مستقبل القيادة وكيفية إدارة الحكم فلا ريب أن مستقبل الثورة سيتعرض للخطر من عدة جهات، في الأقل:

اتخاذ القرار المتعجل

هب أن أسلوب اختيار قائم للثورة الإسلامية في إيران - بعد مؤسس الجمهورية - ظل غامضة، وأن قانونا لم يصدر في حياة الإمام يحدد موقف الشعب من مستقبل القيادة، ولم يدعمه قائد الثورة، وأن الشعب أراد بنفسه، - في ظل الفراغ القيادي والظروف المؤلمة لرحيل الإمام - أن يتخذ القرار القاضى باختيار القائد الذى يتولى حمل أمانة الإمامة الثقيلة، فماذا يحدث؟ وماذا تجر الخلافات بين الأحزاب والتجمعات على الشعب والثورة الإسلامية من ويلات؟ وكم يكون اتخاذ القرار المتعجل خطرا على الثورة!

ولورجعنا إلى عصر صدر الإسلام لوجدنا أنه كانت في طريقها إلى التبلور،

وإذا هي تفاجأ - على أساس فرضية الطريق السلبي - بخلق الساحة من وجود قائد لها بلا خطة وبرنامج سابق ، فتضطر - وهي لا تحمل صورة عن كيفية الحكم بعد النبي - إلى اتخاذ قرار عاجل حول أهم قضايا الثورة وأكثرها حساسية ، مواجهه منها للخطر الذي يهدد أساس الإسلام.

فلا يخفى على أحلى خطر مثل هذا القرار على أهداف الرسالة في تلك اللحظات المتوترة المتأزمة ، فكيف يخفى على أعظم أنبياء الله ؟

افتقار ورثة الثورة الإسلامية إلى النضج الإسلامي

بعد مضي أربعة عشر قرناً على أول ثورة إسلامية في العالم أثبتت تجربة الثورة الإسلامية الإيرانية أن من ورثوا الثورة عاجزون، ليسوا قادرين - بدون دعم وتوجيه من قائد الثورة الكبير - على أن يتخذوا قرارة مناسبة بشأن مستقبل القيادة .

ذللكم القرار الذي يتوثق فيه ويترسخ الانسجام بين القيادة السياسية وأهداف الثورة.

وكل من اطلع على تاريخ هذه الثورة وتوجيهات قائدها الراحل وضروب دعمه في مراحلها الحساسة عرف أن هذا الكلام ليس زعماً محضاً ، علماً أن وريثة الثورة هذا اليوم أفضل من وريثة الثورة في عهد رسول الله ، وأوعى منهم كما قال الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«أستطيع أن أقول بكل جرأة: إن شعب إيران وجماهيرها المليونية هذا اليوم أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله وشعب الكوفة والعراق في عصر أمير المؤمنين والحسن بن علي صلوات الله عليهما...» (1).

لا ريب أن هذا الكلام مطابق للواقع ، ذلك أن رسول الله كشف عن هذه

ص: 382

1- (1) الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً ، عبر الأحاديث التي اتفق عليها الفريقان ، ولهذا السبب سمي المسلمين المعاصرين له أصحاباً ، والمسلمين الملتزمين في آخر الزمان إخواناً(1) . ونص على أن أجر المسلم الثابت المستقيم يومئذ يعادل أجر خمسين من المسلمين المعاصرين له ؛ وقال في جواب من استوضحه في هذا الصدد: لم تصبروا صبرهم(2).

عندما لا يستطيع ورثة الثورة الإسلامية هذا اليوم - مع ما هم عليه من النضج والوعي الإسلامي - أن يتخذوا القرار اللازم بشأن مستقبل القيادة بدون توجيه القائد الكبير للثورة فاذا تنتظر من ورثة الثورة الإسلامية قبل أربعة عشر قرناً ، ومن أناس لم يتعدوا عن الجاهلية القديمة كثيرة، ولم تنطهر نفوسهم من رواسب الشرك، وقد قسمتهم عصبيااتهم الجاهلية إلى مهاجرين وأنصار، وقريشيين وغير قريشيين ، ومكيين ومدنيين ؟

وكيف نتظر منهم أن يتخذوا القرار الصائب بشأن مستقبل القيادة بلا توجي؛ من الرسول الأكرم ؟ وأي قرار ؟ إنه القرار الذي يضمن أهداف الثورة. ألا يعني تركهم وشأنهم خطرة على الثورة؟ ألم يشعر النبي بالخطر على مستقبل المسلمين إذا تركهم بلا منهج واضح، وهو الذي كان يعرف - منذ قرون - مستوى النضج والوعي الإسلامي لأتباعه في المستقبل، ويستبهم إخوانه، ويرى أن تضحيات أصحابه قليلة إذا قيست بنضجهم؟

ص: 383

1- (1) قال «إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان، آمنوا ولم يروني...» . بصائر الدرجات: 4 / 84، بحار الأنوار : 52 / 126 . وقال له «متى ألقى إخواني؟ قالوا : ألسنا إخوانك؟ قال : بل أنتم أصحابي ، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يروني ، إنا إليهم بالأشواق» . كنز العمال: 34583

2- (2) قال «سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم؟ قالوا: يا رسول الله ، نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين ، ونزل فينا القرآن؟ فقال : إنكم لو تحملون المالوا لم تصبروا صبرهم» . الغيبة للطوسي: 497/456 ، بحار الأنوار : 130/29 / 02 . وانظر أيضاً المعجم الكبير : 289/117/17 . و: 10296 / 182 / 10 ، و كنز العمال : 30976 ، 30977

إن أحد الأخطار التي كانت تهدد الثورة الإسلامية النبوية - منذ البداية - بشكل جاد هو خطر الأقلية التي تظاهرت بالإسلام وتغلغلت في صفوف المسلمين ، وكانت تتحين الفرص للتآمر على الثورة الإسلامية وضربها، وأطلق القرآن الكريم على هذه الأقلية عنوان «المنافقين». وكان يحذر المسلمين باستمرار من خطرهم، وأفرد لهم سورة تتحدث عن وضعهم ، وهي سورة «المنافقون».

وإذا أضفنا إلى هذه الأقلية الضئيلة تلك الأفواج التي دخلت في الإسلام كاره بعد فتح مكة أدركنا مدى الخطر الذي يشكله هذا التيار المتغلغل إذا ما أحس بالفراغ القيادي الكبير .

أجل، إن الخطر الذي يتركه إهمال ثورة فتية بلا- تخطيط دقيق المستقبل قيادتها واضح أشد الوضوح، بحيث إنه لا يخفى على أى قائد سياسى، فضلا عن خاتم الأنبياء!

هل يمكن أن نصدق أن أبا بكر كان يشعر بالمسؤولية تجاه مستقبل الحكم، ولم بدع المجتمع الإسلامى بلا قائد بعده، وأن عمر عالج مشكلة القيادة أيضا عن طريق الشورى السداسية ، أما رسول الله ؟ فلم يشعر بالخطر على الإسلام، ولم يهتم بقضية هى من أهم القضايا المستقبلية للثورة الإسلامية، ويمر عليها مر الكرام؟

ب - إهمال المستقبل

لا جرم أن الاحتمال القائل : إن النبى - بالرغم من شعوره بالخطر على مستقبل دعوته - لم يتحدث عن الحكومة والقيادة بعده ، إذ كان مسؤولا عن الفترة التي يعيش فيها، والمستقبل ليس مهمة عنده ، فترك الأمة حائرة بلا موقف واضح... إنما هو احتمال مرفوض، لا يمكن أن يقبله باحث منصف بأى حال من الأحوال. حتى لو فرضنا - خلافا للواقع - أن النبى كان قائد كسائر القادة ، فذلك الاحتمال مرفوض

أيضا، فكيف وهو أعظم الأنبياء جميعهم؟ ولا يمكن أن يدلنا التاريخ على شخصية بين الأنبياء العظام ورجال الفكر في العالم كالرسول الأكرم الذي كان حتى اللحظات الأخيرة من حياته يفكر بمستقبل دعوته وأمته . وسيرته المباركة كلها برهان ساطع على ما نقول.

كان حتى على فراش الموت - وقد اشتدت به علته، وشعر أنه في اللحظات الأخيرة من حياته - كان يفكر كذلك بحملتى خطط لها من قبل، وأعد جيش «أسامة» للجهاد في سبيل الله. وفي تلك الحالة المؤلمة التي كان يغمى فيها عليه يوصى بإنقاذ الجيش كلها أفاق، ويكرر قوله المشهور: «جهزوا جيش أسامة. أنفذوا جيش أسامة»⁽¹⁾

ولو تغاضينا عن جميع ما ذكرناه فإن حادثة مهمة واحدة وقعت في اللحظات الأخيرة من حياة رسول الله واتفق على نقلها المحدثون من الفريقين تكفى لإثبات بطلان فرضية «الطريق السلبي» .

وتتلخص الحادثة المذكورة في أن النبي كان على فراش المرض، وفي البيت

رجال - منهم عمر بن الخطاب - فقال :

«اتنوني بكتب ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا»⁽²⁾

يدل هذا الكلام الذي اتفق على نقله وصحته المحدثون الكبار من المسلمين على أن الرسول الكريم كان ملقا إمامة تامة بالأخطار التي تهدد مستقبل دعوته، وكان يشعر بضرورة التخطيط للوقاية منها. لذلك لم يختار الطريق الأول الذي يمثل موقفا

ص: 385

1- (1) الطبقات الكبرى: 248/2، و: 67 / 4، السيرة الحلبية: 207 / 3، المغازي: 1118 / 3، الإرشاد للشيخ المفيد: 183 / 1، الخصال: 371 / 58 .

2- (2) صحيح البخارى: 196 / 06 / 1، و: 2888 / 1111 / 3، و: 198 / 1912 / 4، و: 5365 / 2146 / 5، الطبقات الكبرى: 263 / 2، تاريخ الطبرى: 193 / 3، الكامل فى التاريخ: 2 / 7، الإرشاد للشيخ المفيد: 189 / 1، وغيرها.

2- نظام الشورى:

إشارة

بعد أن أثبتنا أن فرضية الطريق السلبي مرفوضة كان على النبي - من منطلق اختيار سياسة إيجابية حيال مستقبل الثورة الإسلامية - أن يفوض إدارة الحكم بعده إلى نظام الشورى، أو يعين للناس قادتهم فى المستقبل.

نحن نعلم أن الحجاز قبل الإسلام لا عهد لها بنظام الشورى ، بل كان هذا النظام مجهولا حتى عند الأمم والشعوب الأخرى يومئذ. فما كان مهمة القوام الحكومات ولترسيخها واستمرارها آنذاك هو توطيد السلطة بشكل وراثي. لذا لو أراد النبي أن يترك مستقبل الثورة الإسلامية بعده للشورى فلا بد له من القيام بعملين، مضافة إلى أن ورثة الثورة كان ينبغي أن يتمتعوا بالكفاءة المطلوبة للاضطلاع بمثل هذه المهمة :

أ- تبين قانون الشورى

إن أول خطوة تبدو ضرورية للتخطيط لنظام الشورى - بخاصة فى مجتمع لم يعهد حكومة تقوم على أساسه - هى تبيان حدود الشورى وضوابطها . ولو كان رسول الله يفكر بالشورى كأساس للحكومة الإسلامية ويراهما الأسلوب الأفضل للاختيار القائد بعده فلا بد له من إخبار المسلمين بالشروط اللازمة لانتخاب أعضاء الشورى - وكيفية الانتخاب، ومدة اعتبار الأصوات، وبكلمة واحدة : يبين لهم قانون الشورى وضوابطه، إذ لا يمكن أن نقول فى غير هذه الحالة : إنه اختار نظام الشورى الإدارى الحكم بعده .

وتدل دراسة دقيقة للتاريخ الإسلامى على أن رسول الله - فى أى حالة من الحالات - لم يبين للمسلمين نظام الشورى وحدوده و مواصفاته التشريعية قط . ولم

يطرح القرآن الكريم والحديث الشريف الشورى - بضوابطها وكيفيةها - كنظام للحكم ولو مرة واحدة، مع تأكيدها المشورة في الأعمال. فلا يداخلنا الشك - إذا - أن النبي لو كان تحدث في هذا المجال للوحد ذلك في الأحاديث المأثورة، ولانعكس في أذهان المسلمين، أو في أذهان كبار الصحابة في الأقل. في حين لا نجد أدنى أثر لذلك حتى في ذهن الجيل الأول من المسلمين، بل نجد خلافه في عمل الخليفة الأول والثاني لتعيين القائد بعدهما. وترشدنا المدونات التاريخية الثابتة إلى أنها كانا يريان أن من حقها تعيين الخليفة، ولم يعترض عليها أحد ويحتج بأن النبي جعل نظام الشورى أساسا لتعيين القائد .

ب - توعية ورثة الثورة

يضاف إلى ما تقدم أن بيان قانون الشورى وضوابطه لا يكفي في مجتمع لم يعهده من قبل، فمن الضروري أن يقوم الرسول القائد بتوعية الناس على النظام الجديد وخصائصه، وعطاءاته وفوائده، وتحذيرهم من الأخطار التي تنجم عن رفضه، وذلك كي يتهيأوا ذهنيا وروحيا لقبوله.

من الطبيعي أن الناس لو تم توجيههم في هذا المجال لعد ذلك العمل واقعة مهمة في التاريخ، ولما أمكن كتانه، في حين لم يلاحظ أى أثر له في التاريخ الإسلامى.

ج - استعداد ورثة الثورة

إشارة

ثبت إلى هنا أن النبي لم يختر نظام الشورى لقيادة المجتمع الإسلامى بعده . ونريد الآن أن نثبت أنه يكن ممكناً له أن يوصى الناس بمثل هذا النظام، لأن ورثة الثورة لم يمتلكوا الاستعداد اللازم لقبول هذه المسؤولية .

توضيحا لهذا الموضوع ينبغي في البداية أن نتساءل قائلين : في أية ظروف يستطيع المجتمع البشرى أن ينتخب قائده ونظامه القيادى ؟ ومن هم الذين يتحقق على أيديهم الانتخاب الأفضل ؟ من الضروري وجود شرطين لهذا العمل :

ضرورة وجود هذا الشرط لا- تحتاج إلى توضيح . ولا- شك أنه لا يمكن أن ينتظر ممن لا قدرة له على تشخيص الأفضل أن يختار لنا الأفضل. وعلى هذا يكون أول شرط للنجاح في نظام الشورى هو بلوغ الناس درجة من النضج الثقافى والسياسى بحيث إنهم يستطيعون أن يختاروا أفضل أنظمة القيادة وأفضل قائد. وبلوغ هذه الدرجة من الوعى والتبصير العملى أمر فى غاية الصعوبة ، بل إذا أخذنا بنظر الاعتبار التعقيد الموجود فى حقيقة الإنسان وباطنه(1) عرفنا أنه لا- يتيسر اختيار الأفضل - حتى لأهل الخبرة - بلا توجيه من عقلى كلى محيط بزوايا الإنسان الباطنية ، فكيف بأكثرية المجتمع ؟ وكيف يجمع كان حتى الأ-مس يرى أن معرفة الله لا- تعدو السجود للحجارة والخشب؟!

روى سعد بن عبدالله القتبي أنه سأل الإمام المهدي - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - فقال: أخبرنى يا مولاي عن العلة التى تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال : مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح.

قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد؟ .. قلت : بلى. قال : فهى العلة.

وواصل الإمام * كلامه، ونقل حادثة، وذكر أن اختيار الأصلح لابد أن يتم

بمساعدة من يعرف ما تكت الضمائر ، و تنصرف عنه السرائر(2).

استقامة الناخب

لا- تكفى القدرة وحدها على تمييز الأفضل لاختيار قائد المجتمع الإسلامى، فلا بد للناخب أن يكون متحررة من الهوى والخوف كى يستطيع أن يستثمر تلك القدرة .

ص: 388

1- (1) انظر كتابنا فلسفه وحى و نبوت (فلسفة الوحي والنبوة): 39.

2- (2) الاحتجاج: 2 / 530 / 341 ، بحار الأنوار : 3 / 68 / 23 ، إثبات الهداة: 1 / 116

من هنا لا يتسنى للأشخاص الذين يتبعون أهواءهم وميولهم الفئوية أن يختاروا الأصلاح، لأنهم سيصوتون لمصلحة من يلبي حاجاتهم، لا حاجات المجتمع. فى حين أن القائد الأكفأ هو الذى يقود المجتمع باتجاه تلبية حاجاته الواقعية، ويحترم رغبات الناس ما لم تتعارض مع حاجاتهم.

فى ضوء ذلك، ما دام الناس لا يمتلكون الوعى الفكرى والأخلاقى المناسب لاختيار القائد الأفضل والنظام القيادى الأحسن فإن الديمقراطية لن تحل مشكلات المجتمع، بل تزيدها تعقيداً، وكما قال البروفسور شاندى :

أكبر عدو للحرية والديمقراطية بنوعهما الغربى هو الديمقراطية والليبرالية والحرية الفردية نفسها»⁽¹⁾.

ونلاحظ فى عالم اليوم أن الديمقراطية تطرح كنظام ضعيف، بل خطر ومضاد للثورية. ومن هذا المنطلق، لا تربط المدارس العقيدة مصير الثورة بعد انتصارها التمهيدى بالديمقراطية فى بادئ الأمر، بل تعتقد أن المجتمع ما لم يتهياً لاختيار قائد عقائدى عن طريق الشورى والرجوع إلى التصويت العام فلا بد له أن يواصل حياته الثورية بتوجيه من قيادة عقائدية.

إذا ألقينا نظرة خاطفة على تاريخ صدر الإسلام ولاحظنا مستوى العلم والوعى والأخلاق الذى كان عليه المجتمع الإسلامى يومئذ أدركنا بيسر أن وريثة الثورة بعد النبى لم يكونوا يمتلكون الاستعداد الكافى لاختيار القائد الأفضل. والحوادث التى وقعت خلال ربع قرن بعد وفاة النبى لا دليل آخر على ما نقول. ولو كان المجتمع الإسلامى آنذاك مستعدة لاختيار القائد الأفضل لما صارت الخلافة الإسلامية ملكة وراثية خلال أقل من خمسين سنة، ولما حكم أعداء الإسلام المسلمين هذا اليوم باسم الإسلام. من هنا كان متعذرة على النبى المتصل بالوحى أن يترك قيادة الأمة لنظام

ص: 389

كان واثقة أنه سينتهي بدمار الإسلام والثورة الإسلامية .

3- تعيين القائد القادم :

إشارة

الطريق الوحيد الذى ينسجم مع طبيعة الأشياء فى المجتمع الإسلامى إبان البعثة ويمكن أن يصون مستقبل الثورة الإسلامية من الأخطار المترتبة هو أن يعين الرسول المرجعية الدينية والقيادة السياسية للأمة مباشرة، فى زمانى لم يبلغ المسلمون فيه المستوى المطلوب من الوعى الفكرى والسياسى اللازم لاختيار القائد الأفضل. وإذا أخذنا بعين الاعتبار اتصال النبى بالوحى فإن هذا الاختيار لم يكن عسيراً عليه . وفى أيدينا أدلة قاطعة كثيرة أيضاً تثبت أنه اختار هذا الطريق بأمر الله تعالى.

وعلى الرغم من أن الجو السياسى للمجتمع الإسلامى بعد النبى كان يحول دون ذكر ما قاله فى القائد القادم بيد أن توجيهاته فى هذا المجال بلغت من الكثرة حداً أنها لم تخف على الأجيال القادمة. ولما كان يتنبأ بمستقبل العالم الإسلامى فإنه كان - من أجل أن يعمل بتكليفه الإلهى - يستثمر كل فرصة التعريف أفضل من يستطيع أن يواصل طريقه، منذ بداية البعثة إلى يوم وفاته ، كما نصت على ذلك الأحاديث المتواترة المتفق عليها بين المسلمين.

منها : الأحاديث التى ذكرت الإمام على * بوصفه وصياً للنبى (1) ، والأحاديث التى عرفته وارثاً له (2) ، والأحاديث التى نصت على أنه منه بمنزلة هارون من موسى (3) .

ص: 390

-
- 1- (1) تاريخ دمشق «ترجمة الإمام على *»: 1021 / 5 / 3 و 1022 ، مناقب ابن المغازلى: 238 / 201 . وانظر المعجم الكبير: 9 / 9093 / 221 ، و: 3 / 07 / 2970 ، والمستدرک للحاكم: 3 / 172 ، ونهج البلاغة: الخطبة 2 و 88
 - 2- (2) خصائص أمير المؤمنين للنسائى: 92 / 75 ، المعجم الكبير: 1 / 179 / 107 ، مجمع الزوائد: 16790 / 183 / 9 ، المستدرک على الصحيحين: 3 / 129 .
 - 3- (3) صحيح مسلم: 4 / 2606 / 1870 ، سنن الترمذى: 5 / 640 / 3730 ، صحيح البخارى: 6 / 1902 / 6156 ، خصائص أمير المؤمنين للنسائى: 59 / 76 ، ص 60 ، مسند ابن حنبل: 1693 / 391 / 1 ، ص 366 / 1490 .

والأحاديث التي عرفته للناس أميرة للمؤمنين(1)، والأحاديث التي صرحت بإمامته(2)، والأحاديث التي وردت في ولايته(3)، والأحاديث التي ذكرته هادية للناس بعد النبي(4)، والأحاديث التي دلت على عصمته من الخطأ(5). وهذه الأحاديث كلها أدلة على قولنا إن النبي أختار الطريق الثالث لأُمَّته.

يضاف إلى هذه الأحاديث جميعها وأحاديث أخرى لا تحصى - ذكر فيها النبي للأمة أرجحية الإمام بيعة العلمية والعملية والأخلاقية - أنه عندما عاد من حجة الوداع وقف في غدير خم، ونصبه خليفه له(6).

ص: 391

-
- 1- (1) حلية الأولياء: 1 / 12 ، تاريخ دمشق « ترجمة الامام على ظ»: 2 / 487 / 1000 ، و ص 279 / 299 ، مسند الفردوس: 18669 / 396 / 5 مناقب الخوارزمي : 85 ، الكافي: 13 / 442 / 1 .
- 2- (2) عيون أخبار الرضا : 281 / 29 / 1 ، معاني الأخبار: 1 / 1 ، الخصال: 460 ، الاحتجاج: 1 / 103 مناقب الخوارزمي: 11 / 31 .
- 3- (3) البداية و النهاية : 7 / 361 ، مسند ابن حنبل: 331 / 1 ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: 16 / 23 ، و ص 77 / 10 ، و ص 87 / 92 ، تاريخ بغداد: 4 / 239 .
- 4- (4) تفسير الطبري: 8 / الجزء 13 / 108 ، التفسير الكبير : 15 / 19 ، الدر المنثور : 4 / 45 ، تفسير ابن كثير : 2 / 111 ، المستدرک على الصحيحين: 3 / 129 .
- 5- (5) انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنة : 111 - 116 ، من منشورات دار الحديث.
- 6- (6) حديث الغدير من الأحاديث التي استأثرت بكثرة النقل والرواية على مر تاريخ الحديث. من ذلك أن مؤلف كتاب تاريخ دمشق «ترجمة الإمام على عليه السلام» ذكر في الجزء الثاني من الكتاب ص 5 - 90 تسعين طريقة لهذا الحديث. وجمع المرحوم العلامة الأميني في بحث موسع من موسوعته الثمينة النفيسة «الغدير» أسماء 110 من الصحابة (14 / 1 - 11) و 84 من التابعين (92 / 1 - 73 و 390 من العلماء (1 / 10173) روى حديث الغدير . وفيما يأتي نص الحديث كما نقله زيد بن أرقم : لما دفع النبي من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحاني فقممن ، ثم قال: «كأنى دعيت فأجبت، وإنى تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . ثم قال : إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن . ثم أخذ بيد عليه ، فقال : من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . فقلت لزيد : سمعته من رسول الله ؟ قال : نعم ، وانه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه». خصائص أمير المؤمنين ولا للنسائي : 86 / 79 ، البداية والنهاية: 5 / 209 ، المستدرک على الصحيحين : 1272 / 912 / 3 ، المعجم الكبير: 166 / 4969 :

لم يعين رسول الله القائد بعده فحسب، بل أبدى توجيهاته اللازمة للأجيال القادمة، بشأن معرفة أفضل القادة للمجتمع الإسلامى أيضا. وهذه التوجيهات مثبتة فى الكتب الموثوقة للفريقين.

من الطبيعى أننا ينبغى أن نلتنفت إلى أن خطر نقل الأحاديث التى تدل على هذا الموضوع أكثر من خطر نقل الأحاديث التى ترتبط بالقيادة بعد النبى . إذ إن هذه الأحاديث كانت تلغى حكومة المتسلطين على البلاد الإسلامية قرون من الزمان.

عندما يضع باحث دقيق النظر عميق الفكر الأحاديث النبوية الشريفة جنبا إلى جنب ، فإنه يلحظ بوضوح الضغوط السياسية فى تضاعيفها ، ويستطيع أن يدرك جيدا كيف حرف بعض المحدثين غير الملتزمين أحاديث رسول الله ، وفقا المشتبهات السياسة الحاكمة فى عصرهم. وفيما يأتى نماذج من هذه الأحاديث (1):

فى مسند ابن حنبل: روى جابر بن سمرة عن النبى أنه قال :

«يكون بعدى اثنا عشر أميرا، ثم لا أدرى ما قال بعد ذلك، فسألت القوم كلهم ، فقالوا: قال: «كلهم من قريش»(2).

وروى فى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة أنه قال : سمعت رسول الله يقول :

لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت

ص: 392

1- (1) لمزيد من التحقيق والتوضيح انظر كتابنا أهل البيت فى الكتاب والسنة ، من إصدارات مؤسسة دار الحديث الثقافية.

2- مسند ابن حنبل: 20904/415/7

أبي : ما قال ؟ فقال : «كلهم من قريش»(1).

ونقل ابن حنبل في حديث آخر عن مسروق أنه قال : كنا جلوسا عند عبدالله ابن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: هل سألتهم رسول الله : كم تملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبدالله بن مسعود: ما سألتني عنها أحد من قدمتم العراق قبلك، ثم قال : نعم ، ولقد سألتنا رسول الله ، فقال :

«اثنا عشر ، كعدة قباء بنى إسرائيل»(2) .

وقد نقل مضمون هذه الأحاديث من طرق متنوعة وبصور متباينة في المصادر الحديثية الموثوقة لأهل السنة. وعلى الرغم من التلاعب الذى حصل الأسباب سياسية - إذ حذفت كلمة «بعدي» من بعضها، واستبدلت كلمة «الأمر» بكلمة «الخليفة» فيها(3)، وارتبط قوام الإسلام في بعضها بخلافة الخلفاء الاثنى عشر إلى يوم القيامة(4) ، ولم يلحظ هذا الارتباط في بعضها الآخر(5)، وتعلقت مصالح المجتمع الإسلامى بخلافتهم في بعضها الآخر، وبعضها يخلو من هذا التعلق. وفي قسم منها نلاحظ أن ولايتهم هى التى تتكفل بتحقيق السير الطبيعى للأمر فى المجتمع الإسلامى(6)، وفي قسم آخر لا نلاحظ ذلك(7).

ص: 393

-
- 1- (1) صحيح مسلم: 8 / 1952 / 3 و 9. وثقل قريب من مضمون هذا الحديث أيضا فى مسند ابن حنبل : 7 / 12 / 20882 ، تاريخ بغداد : 12 / 129 .
 - 2- (2) مسند ابن حنبل: 2 / 05 / 2781 ، المستدرک على الصحيحين : 4 / 09 / 8029 ، أمالى الصدوق: 250 / 7 .
 - 3- (3) صحيح البخارى: 6 / 2960 / 1799 عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبى لا يقول: «يكون اثنا عشر أميرة». فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبى : إنه قال: «كلهم من قريش».
 - 4- (4) صحيح مسلم: 3 / 10 / 1953 عن جابر بن سمرة عنه : «لا يزال الدين قائمة حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».
 - 5- (5) مسند ابن حنبل: 7 / 627 / 20979 عن جابر بن سمرة عنه : «لا يزال هذا الأمر صالحا حتى يكون اثنا عشر أميرة...».
 - 6- (6) صحيح مسلم: 1 / 1652 / 3 عن جابر بن سمرة عنه «لا يزال أمر الناس ماضية ما وليهم اثنا عشر رجلا....»
 - 7- (7) لمزيد من التوضيح انظر كتابنا أهل البيت فى الكتاب والستة «القسم الأول»، إصدار مؤسسة دار الحديث الثقافية.

على الرغم من هذا كله فهي تشترك جميعها في نقطتين جوهريتين:

1- عرف النبي أفضل الأشخاص الذين يمكن أن يقودوا المجتمع الإسلامى بعده سنين طويلة.

2- إن عدد القادة الذين أيد النبي قيادتهم اثنا عشر قائد .

تستبين هذه الحقيقة أكثر عندما يرجع الباحث إلى أحاديث أهل البيت وحينئذ سيلاحظ أنها نقلت المضمون المذكور(1)، وعرضت توضيحات أكثر حول أسمائهم ومواصفاتهم(2). ويتبين أيضا أن النبي عندما قال : «كلهم من قريش»، فإنما أراد أسرة خاصة من قريش، وتلاحظ هذه المطالب في بعض الروايات بنحو صريح(3). قال الإمام أمير المؤمنين في هذا المجال :

إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح للولاء من غيرهم(4)

ص: 394

1- (1) الخصال : 469 / 12 و ص 970 / 19 و ص 673 / 30 ، أمالى الصدوق: 8 / 255 ، عيون أخبار الرضا : 12 / 50 / 1 و 13 ، كمال الدين: 19 / 272 و ص 23 / 273 و 26.

2- (2) كمال الدين: 203 / 2 عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، قلت: يا رسول الله ، عرفنا الله ورسوله ، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال : «هم خلفائي يا جابر . وأئمة المسلمين (من بعدى ، أولهم على بن أبى طالب ، ثم الحسن والحسين ، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على المعروف فى التوراة بالباقر وستدرکه يا جابر ، فإذا لقيته فأقرئه منى السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر ، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم على بن محمد، ثم الحسن بن على، ثم تمىي وكنى حجة الله فى أرضه ، وبقية فى عباده ابن الحسن بن على ، ذاك الذى يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذى يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان».

3- (3) جاء فى بعض الروايات: «كلهم من بنى هاشم»، ينابيع المودة : 3 / 4 / 290.

4- (4) نهج البلاغة: الخطبة 144.

لا ريب أن حذف المواصفات الدقيقة للخلفاء النبي الاثنى عشر من بعض المصادر الروائية كان لأسباب سياسية ، بيد أن المقدار الوارد في هذه المصادر يكفي لجلاء الحقيقة ، لأن العدد المذكور لا ينطبق إلا على أئمة أهل البيت عل . وإذا وضعنا «حديث الثقلين» المتواتر وسائر الأحاديث المأثورة في وجوب التمسك بأهل البيت عليا(1) إلى جانب ما يتحصل من هذه التحقيقات يتبين لنا أن النبي الأكرم تحدث عن موضوع قيادة العالم المستقبلية وعن الأئمة من بعده بشكل دقيق وواضح، أكثر من أى شىء آخر.

أوصياء النبي الاثنا عشر

فيما يأتى أسماء الأوصياء الاثنى عشر، وتاريخ ولادتهم، وتاريخ استشهاد أحد عشر منهم :

1- الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب :

الولادة : الثالث عشر من رجب ، بعد عام الفيل بثلاثين سنة(2) (قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة).

الاستشهاد: الحادى والعشرون من شهر رمضان سنة 40هـ(3) .

2- الإمام الحسن بن على (المجتبى) :

الولادة : الخامس عشر من شهر رمضان سنة 3هـ(4).

الاستشهاد: آخر صفر سنة 50هـ(5).

ص: 395

1- (1) انظر كتابنا أهل البيت فى الكتاب والسنة ، من منشورات دار الحديث .

2- (2) تهذيب الأحكام: 1 / 19

3- (3) الكافى: 1 / 452 .

4- (4) كشف الغمة : 190 / 2 . وانظر الكافى : 1 / 491 .

5- (5) الكافى : 1 / 461 . وفى رواية أخرى فيه أيضا : سنة 49هـ .

٣- الإمام الحسين بن علي (سيد الشهداء) :

الولادة : الثالث من شعبان سنة 4هـ (1).

الاستشهاد : العاشر من المحرم (عاشوراء) سنة 61هـ (2).

٤- الإمام علي بن الحسين (زين العابدين)

الولادة : الخامس من شعبان سنة 28هـ (3)

الاستشهاد : الثاني عشر من المحرم سنة 95هـ (4).

5- الإمام محمد بن علي (الباقر) :

الولادة : الأول من رجب سنة 57هـ (5)

الاستشهاد : السابع من ذي الحجة سنة 114هـ (6).

٦- الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)

الولادة : السابع عشر من ربيع الأول سنة 83هـ (7)

الاستشهاد: الخامس والعشرون من شوال سنة 148هـ (8)

7- الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) :

الولادة : السابع من صفر سنة 128هـ (9)

ص: 396

1- (1) إعلام الوري : 213، مصباح المتهدج: 829. وانظر الكافي : 1 / 493 .

2- (2) تهذيب الأحكام: 1 / 42 . وانظر الكافي : 1 / 493 .

3- (3) مطالب السؤل: 77.

4- (4) إعلام الوري : 201.

5- (5) مصباح الكفعمي : 522.

6- الكافي: 1 / 469 .

7- (7) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 279 / 4، مصباح الكفعمي : 523. وانظر الكافي: 672 / 1.

8- (8) الكافي: 472 / 1.

9- (9) نفسه: 1 / 479 . إثبات الوصية : 203.

الاستشهاد: الخامس والعشرون من رجب سنة 183 هـ (1).

8- الإمام على بن موسى الرضا

الولادة: الحادى عشر من ذى القعدة سنة 148 هـ (2).

الاستشهاد: آخر صفر سنة 203 هـ (3).

9- الإمام محمد بن على (الجواد):

الولادة: العاشر من رجب سنة 199 هـ (4).

الاستشهاد: آخر ذى القعدة سنة 220 هـ (5).

10 - الإمام على بن محمد الهادى

الولادة: الخامس عشر من ذى الحجة سنة 212 هـ (6).

الاستشهاد: الثالث من رجب سنة 254 هـ (7).

11 - الإمام الحسن بن على (العسكرى)

الولادة: الثامن من ربيع الآخر سنة 232 هـ (8).

الاستشهاد: الثامن من ربيع الأول سنة 290 هـ (9).

(1) إعلام الورى : 289.

(2) مصباح الكفعمى: 523، تاج المواليذ : 48. وانظر الكافى : 1 / 489 .

(3) الكافى: 1 / 489 ، الإرشاد للشيوخ المفيد: 267 / 2، إعلام الورى : 203. ولم يرد لفظ «آخر» فى الكافى والإرشاد

(4) الكافى: 1 / 492 ، التهذيب : 6 / 90 . وفى مسار الشيعة : 15 رمضان ، وفى إثبات الوصية : 19 رمضان .

(5) مناقب ابن شهر آشوب: 4 / 379 ، الكافى: 1 / 492 ، تهذيب الأحكام: 6 / 90 .

(6) إعلام الورى: 339، الكافى: 1 / 197 ، تهذيب الأحكام: 6 / 92 .

(7) مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب؛ 8 / 601 ، الكافى: 1 / 697 . ولم ترد فيه كلمة «الثالث».

(8) إعلام الورى: 39. وانظر الكافى: 1 / 503 ، وتهذيب الأحكام: 19 / 92 .

(9) تهذيب الأحكام: 6 / 92 ، الكافي: 1 / 503 .

ص: 397

12 - الإمام المهدي الموعود عجل الله فرجه ابن الإمام الحسن العسكري ، سمي رسول الله وكنيه وخليفته الثاني عشر، وإمام عصرنا.

ولد أرواحنا فداه في النصف من شعبان سنة 259 هـ (1) بسامراء، تولى شؤون الإمامة بعد استشهاد والده الإمام العسكرية سنة 290 هـ.

هو ذخيرة الله تعالى لإنقاذ المستضعفين وإبادة المستكبرين ، وهو الموعود الذي سيؤسس حكومة الإسلام العالمية ، وسيظل غائبة عن الأنظار ما دامت الأرضية غير ممهدة لحكومته، وتنقسم غيبته إلى قسمين :

أ- الغيبة الصغرى:

بدأت هذه الغيبة سنة 290 هـ، ودامت حتى سنة 329 هـ. ولم يتيسر الاتصال بالإمام - خلال تلك الفترة - إلا عن طريق نوابه الخاصين .

عرفت هذه الغيبة بالغيبة الصغرى لقصر زمانها.

ب - الغيبة الكبرى:

الغيبة الكبرى أو الغيبة التامة، بدأت سنة 329 هـ بوفاة النائب الأخير للإمام . وما زالت، وستستمر ما دامت الظروف غير مؤاتية لحكومة الإسلام العالمية. قال رسول الله - في أحاديث يتفق محدثو الشيعة والسنة على مضمونها -:

لو لم يبق من الدهر إلا يوم البعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا(2).

ص: 398

1- (1) الكافي : 1 / 514 / 1 . وفي مصباح الكفعمي : 523 وإعلام الوري : 392 ، سنة 200 هـ .

2- (2) سنن أبي داود : 6283 / 107 / 4 ، وانظر الغيبة للطوسي : 20 / 16 ، و : 190 / 181 ، و : 10 / 25 ، وإعلام الوري : 120 ، وكشف الغمة : 299 / 3 ، وبحار الأنوار : 39 / 102 / 01 .

«المهدى منى ... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»(1).

بركات الإمام الغائب

مع أن الأمة محرومة من قيادة الإمام فى الظاهرية خلال غيبته عجل الله فرجه بخاصة غيبته التامة . بيد أنها تنتفع ببركات هدايته الباطنية وأنوارها(2).

سأل جابر بن عبدالله الأنصارى النبى عن غيبة الإمام فقال : فهل يقع لشيئته الانتفاع به فى غيبته؟ فقال له :

إى والذى بعثنى بالنبوة. إنهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجللهما سحاب(3).

قال سليمان بن مهران الأعمش : قال أبو عبدالله (الإمام الصادق) :

ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله» .

قال سليمان : فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال :

كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»(4).

وقال إسحاق بن يعقوب: ورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان :

«... أما وجه الانتفاع فى غيبته فكالاتفاع بالشمس اذا غيبتهما عن الأبصار السحاب ، وإنى لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء»(5).

ص: 399

1- (1) سنن أبى داود : 102 / 4 / 280، سنن الترمذى : 2230 / 505 / 4 و 2231، بحار الأنوار : 51 / 90 .

2- (2) انظر الفصل الرابع من القسم الأول: «القيادة الباطنية».

3- (2) كمال الدين : 3 / 203 . وروى هذا المضمون عن جابر فى كفاية الأثر: 54 ، ينابيع المودة : 399 / 3 / 54.

4- (4) كمال الدين : 22 / 207 ، أمالى الصدوق: 252 / 277.

5- (5) الغيبة للطوسى : 292 / 297، كمال الدين : 4 / 485.

تؤيد هذه الأحاديث والروايات الموضوعات التي دارت حول فلسفة القيادة الباطنية في الفصل الرابع من القسم الأول من هذا الكتاب. وذكرنا هناك أن الإمام في موقع الولاية التكوينية كالشمس التي تنير الباطن غير المحسوس من العالم، وتشرق على ملكوت السماوات والأرض، وتضيء ضمائر الناس المؤهلين، والمؤمنون الأبرار في ظل نوره لا يرون مقصدهم فحسب، بل يدركونه ويظفرون به. يضاف إلى ذلك أن الإمام هو الركن الباطني لعالم المادة، وبدونه ينهار نظام الأرض والسماء(1).

ص: 400

1- (1) انظر الفصل الرابع من القسم الأول: «القيادة الباطنية».

* كانت الثورة الإسلامية في مرحلتها الأولى ناجحة، بيد أنها ينبغي أن تستمر البلوغ الهدف النهائي، وتتصل بعصر ما بعد ارتحال النبي . وأهم عوامل استمرار الثورة الإسلامية هي القيادة.

* لم تكن وفاة قائد الثورة الإسلامية مفاجئة، لذا حتى لو فرضناه قائدا عاديا ، فقد كان عليه أن يحدد سياسته حول مستقبل الدعوة والقيادة بعده.

* كان أمام رسول الله له ثلاث طرق، بالإمكان انتهاج أحدها تجاه مستقبل القيادة، وهي: أ- الطريق السلبي. ب - نظام الشورى. ج - تعيين القائد القادم .

* الطريق السلبي معلم على عدم الشعور بالخطر أو عدم الاهتمام بمستقبل الدعوة، وهذان الاحتمالان لا يمكن أن يصح صدورهما من النبي .

* أخطار الطريق السلبي هي: 1. خطر اتخاذ القرار المتعجل. 2- خطر افتقار ورثة الثورة إلى النضج الإسلامى. 3- خطر الأقلية المتغلغلة.

* إن الاحتمال القائل بعدم اهتمام النبي بمستقبل دعوته . حتى لو فرضناه قائدة كسائر القادة - احتمال مرفوض، فكيف وهو أعظم الأنبياء؟ وتدحض السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى هذه الفرضية بجلاء.

* ينبغي - عند اختيار نظام الشورى- أن يمتلك ورثة الثورة الكفاءات اللازمة القبول هذه المسؤولية. يضاف إليه أن على قائد الثورة أن يقوم بعملين، هما: تبين قانون الشورى، وتوعية ورثة الثورة الإسلامية.

* يدل التاريخ الإسلامى بوضوح على أن النبي لم يمارس توعية للمسلمين

على نظام الشورى، بل لم يتحدث عنه وعن حدوده ومواصفاته التشريعية قط.

* القدرة على تشخيص الأصلاح والاستقامة الأخلاقية شرطان أساسيان لاختيار القائد والنظام القيادي. وعندما يفقد المجتمع هذين الشرطين فإن نظام الشورى سيؤدى إلى محق الثورة.

* إذا ألقينا نظرة على تاريخ صدر الإسلام ولاحظنا مستوى العلم والوعى والأخلاق الذى كان عليه المجتمع الإسلامى يومئير يتبين لنا أن ورثة الثورة الإسلامية لم يكونوا يمتلكون أى استعداد لقبول مسؤولية نظام الشورى من هنا كان متعذرة على النبى له أن يترك قيادة الأمة لنظام يفضى إلى دمار الإسلام.

* السياسة الوحيدة المنسجمة مع طبيعة الأشياء فى المجتمع الإسلامى إبان البعثة هى تعيين الرسول القائد من يخلفه فى المستقبل.

* على الرغم من أن الجو السياسى للمجتمع الإسلامى بعد النبى كان يحول دون ذكر ما قاله بشأن القائد الذى يخلفه ، إلا أن كلماته فى هذا المجال كانت كثيرة إلى حد أنها لم تخف على الأجيال القادمة.

* تدل أحاديث الوصاية والوراثة والمنزلة والإمارة والإمامة والولاية والهداية والعصمة والأهم منها جميعا حديث غدیر خم على أن رسول الله وقد نصب الخليفة بعده .

* يضاف إلى تعيين النبى الخليفة بعده أنه عين اثنى عشر إمام من أهل بيته قادة للمجتمع الإسلامى بالترتيب.

* كان لحذف المواصفات التامة للخلفاء الاثنى عشر فى قسم من المصادر الروائية أسباب سياسية، غير أن المقدار الوارد فى هذه المصادر يكفى لاستبانة الحقيقة.

* تدل دراسة دقيقة شاملة للأحاديث المأثورة على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تحدث

بشكل دقيق واضح عن الأئمة بعده أكثر مما تحدث عن شيء آخر.

* الخليفة الثاني عشر لنبينا هو إمام زماننا، وهو الموعود الذي سيقوم الحكومة الإسلامية العالمية. ويظل غائبة عن الأنظار ما دامت الأرضية غير ممهدة لإقامة هذه الحكومة.

* غيبة الإمام لا من سنة 290 هـ إلى سنة 329 هـ هي «الغيبة الصغرى»، والغيبة التي تليها هي «الغيبة الكبرى» أو «الغيبة التامة».

* كان الاتصال بالإمام صاحب الزمان في أيام «الغيبة الصغرى» متيسرة، عبر نوابه الخاصين.

* ينتفع المجتمع في عصر الغيبة الكبرى للإمام بركاته وأنوار هدايته الباطنية وولايته التكوينية.

ص: 403

لم تتمهد الأرضية لحكومة أوصياء النبي مع تأكيدات المتكرره. ويعود هذا الأمر لأسباب ليس هنا موضع ذكرها و تفصيلها . وحكم منهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة، عندما بايعه الناس طائعين ، ودامت حكومته أربع سنين و تسعة أشهر. ثم حكم بعده ولده الإمام الحسن المجتبي قرابة ستة أشهر. ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة 290 هـ واستشهاد الإمام العسكري وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه لم يكن زمام الحكم بأيديهم لى . بل لقوا ما لقوا فى حياتهم من المضايقات والشدائد والمحن، واستشهدوا جميعهم على أيدي الحكام الجائرين.

السؤال المصيرى المهم هنا هو: ماذا فعل أوصياء النبي صلى الله عليه وعليهم فى ما يخص مسؤولية قيادة الأمة الإسلامية، بعد أن رأوا أن الأرضية الاجتماعية غير مساعدة لحكمهم؟

هل اعتزلوا الساحة السياسية اعتزاً تاماً وتخلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنضال ضد الجائرين حتى تمهد الأرضية لحكومة إلا لام العالمية؟ وهل

تركوا الناس يعانون من الساسة الظالمين، وعكفوا على العبادة والقيام بالواجبات الفردية، وانشغلوا بالتعليم والتربية الأخلاقية، وهم عدل القرآن والمسؤولون عن هداية الأمة وقيادتها، كما نص على ذلك رسول الله بأمر الله تعالى!؟

لا ريب أن الإجابة عن هذه الأسئلة كلها سلبية، فتاريخ حياة أوصياء رسول الله يدل على أنهم لم يتوانوا لحظة واحدة عن السعى والنضال وتبصير الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منذ صلح الإمام الحسن حتى غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، كما شهد بذلك الإمام الهادي لا في الزيارة «الجامعة الكبيرة» وقال:

«وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حق جهاده(1).

وأفضل دليل معبر على إثبات نضال أوصياء رسول الله الجاد لحكام عصورهم

الجائرين هو استشهادهم جميعاً في سبيل الله (2) كما نقرأ ذلك في زيارتهم:

وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه(3).

خطة النضال عند أهل البيت عليهم السلام

إشارة

تدل الدراسة الدقيقة لسيرة أهل البيت عليهم السلام النضالية على أن خطة نضالهم تتمثل في هداية المسلمين وقيادتهم - لا مركزياً - عبر نيابة الفقهاء العامة. ومع أنهم كانوا يبذلون قصارى جهودهم من أجل المحافظة على وحدة المجتمع الإسلامي وحفظ ظواهره لكنهم كانوا يوصون أتباعهم سرا أن لا يقدموا أى عونى ومساعدة لأئمة

(1) من لا يحضره الفقيه: 2 / 912 / 3213، تهذيب الأحكام: 9 / 97 / 177، عيون أخبار الرضا: 27 / 1 / 2.

(2) عيون أخبار الرضا: 2 / 209 / 9، كفاية الأثر: 192، بحار الأنوار: 27 / 18 / 217، ميزان الحكمة:

الباب 2124، شهداء أهل البيت عليهم السلام.

(3) من لا يحضره الفقيه: 2 / 912 / 2213، تهذيب الأحكام: 9 / 97 / 177، عيون أخبار الرضا: 27 / 1 / 2.

الجور وحكمهم غير الشرعى، وكانوا يحرمون عليهم مراجعة دوائهم الحكومية وأجهزتهم القضائية . وإذا ما أرادوا أن يأخذوا حقهم الثابت فى المسائل التى ينبغى أن تعالج عن طريق الحكومة فعليهم أن يراجعوا الفقهاء الحائزين على الشرائط . ومن الروايات التى تدل على ما نقول بوضوح رواية تعرف ب« مقبولة عمر بن حنظلة».

قال عمر بن حنظلة - أحد أصحاب الإمام الصادق: سألت أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة فى دين أو ميراث فيتحاكمان إلى السلطان وإلى القضاة، أيحل ذلك؟ فقال :

«من تحاكم إليهم فى حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ شحناً وإن كان حقاً ثابتاً له . لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفروا به ، قال الله تعالى : ويريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به(1).

قلت : فكيف يصنعان؟ قال :

ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر فى حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكمة ، فإنى قد جعلته عليكم حاكمة، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله ، وعلينارة، والراد علينا الراد على الله ، فهو على حد الشرك بالله»(2).

وقال أبو خديجة [سالم بن مكرم] - أحد ثقات الإمام الصادق - : بعثنى أبو عبد الله ائمة إلى أصحابنا ، فقال : قل لهم :

اياكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى فى شىء من الأخذ والعطاء أن تتحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفتاق، اجعلوا بينكم رجل ممن قد عرف حلالنا

ص: 407

1- (1) النساء : 10

2- (2) تهذيب الأحكام : 6 / 301 / 890 ، الكافي : 10 / 17 / 1 ، الاحتجاج : 2 / 232 / 290 حار الأنوار: 221 / 2.

وحرامنا، فإنى قد جعلته قاضيا، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضا إلى السلطان الجائر»(1).

بينت لنا هاتان الروايتان السياسة النضالية لأوصياء النبي ضد الجائرين المتسلطين على المجتمعات الإسلامية، وكذلك وضحت موقف المسلمين الملتزمين الواعين من القيادة واختيار القائد حتى ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه. ومن الضروري القيام بعملين أساسيين من أجل إقامة حكومة الإسلام العالمية، وهما:

1- عدم الاعتراف بشرعية الحكومات الجائرة

إن إحدى السياسات المبدئية لأوصياء النبي في ضوء تعاليمه هي الإعلان عن عدم شرعية الحكومات الجائرة. وكانوا من هذا المنطلق ينهون المسلمين عن التعاون مع الحكام الظالمين. والنقطة المهمة المؤكدة في مقبولة عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة هي أن أفراد المجتمع الإسلامي لا ينبغي لهم الرجوع إلى الحكام الجائرين الأخذ حقوقهم الثابتة القطعية. وإذا شاعت هذه الثقافة في المجتمع الإسلامي فإن الحكام غير الكفوئين تمسون في عزلة، وتتمهد الأرضية لإقصائهم ولبسط حكومة العدل الإلهي.

بيد أن المسألة المهمة هنا هي القيام بعمل أساسي آخر، وهو التعريف بالفقهاء العدول لقيادة المجتمع تنفيذًا للسياسة المذكورة.

2- قيادة الفقهاء العدول

في ضوء ما تنبأ به أئمة أهل البيت إلى فإن سلطة الحكام الجائرين على المجتمعات الإسلامية ستطول كثيرة، نتيجة لعدم مساعدة الظروف الاجتماعية على إقامة حكومة الإسلام العالمية. من جانب آخر لا يحق للمسلمين الملتزمين أن يتعاونوا معهم

ص: 408

ويديروا شؤونهم عن طريق عملائهم. فما هو واجب أنصار الإسلام لضمان حاجاتهم الاجتماعية ولإعداد الأرضية لإقامة الحكومة الإسلامية العالمية وهو الهدف الأهم؟

لقد أعلن الإمام الصادق الا بصراحة أن واجبهم هو الرجوع إلى الفقهاء الذين حازوا الشروط اللازمة. بعبارة أخرى: عندما لا تساعد الظروف السياسية والاجتماعية على إقامة الحكومة الإسلامية بقيادة أوصياء النبي - سواء في أيام حضورهم(1) أم في أيام غيبتهم - فإن الفقهاء المتوفرة فيهم الشروط المطلوبة هم المسؤولون عن مرجعية الأمة الإسلامية وقيادتها، نيابة عن أوصياء النبي . إنهم مكلفون بتمهيد الأرضية لعالمية حكومة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، من خلال إقامة الحكومات التي تعتبر مقدمة لتطبيق الأحكام الإلهية من جهة، ونواة مقاومة لتحرير المستضعفين وعالمية الإسلام من جهة أخرى.

قال القائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه - في مبحث «ولاية الفقيه» - بشأن «مقبولة عمر بن حنظلة» بعد شيء من التوضيح:

هذه الرواية من الواضحات، ولا وسوسة في سندها ودلالاتها. ولا ريب أن الإمام نصب الفقهاء للحكومة والقضاء. وعلى عامة المسلمين أن يطيعوا أمرالإمام(2).

وكان الفقيه العظيم سماحة آية الله البروجردى رضوان الله تعالى عليه يعتقد أن الروايات التي تدل على الولاية والمرجعية لاتنحصر برواية عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة، لكنه أضاف أن هذه الروايات غير موجودة اليوم في كتب الحديث . وقام بتوضيح هذا الموضوع بعد ذكر مقدمات حول حاجة المجتمع الإسلامي إلى القيادة، وأن الإسلام دين سياسى اجتماعى، وأكثر أحكامه تدور حول سياسة المدن وتنظيم

ص: 409

1- (1) كما في عصر إمامة الإمام الحسن المجتبي بعد صلحه مع معاوية، إلى عصر الإمام العسكرية .

2- (2) ولاية الفقيه للإمام الخميني : ص 81، مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني.

المجتمع، وأنه غير منفصل عن السياسة، ولا يمكن أن يحتمل أحد أن الأئمة نهوا أتباعهم عن الرجوع إلى الطواغيت وقضاتهم، في حين لم يعينوا لهم مرجعا يدير شؤونهم، وقال بعد ذلك :

نحن على يقين أن أصحاب الأئمة على سألوا أئمتهم أن يرشدوهم إلى أحد في شؤون المجتمع الأساسية عندما يتعذر عليهم الاتصال بهم ، فأجابوهم ونصبواهم أشخاصا يرجعون إليهم. وصفوة القول إن تلك الأسئلة والأجوبة سقطت من كتب الحديث التي بأيدينا ولم يصل إلينا منها إلا رواية عمر بن حنظلة ورواية أبي

خديجة(1).

إن الباحثين المطلعين على الظروف السياسية العصبية التي رافقت إمامة أوصياء النبي - بعد صلح الإمام الحسن ع حتى غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه - يعلمون

جيدة كم كان خطرة نقل هذه الأحاديث التي لا تجرد الحكومات الجائرة المعاصرة للأئمة من الشرعية فحسب، بل كانت ترسى دعائم حكومات سرية لا مركزية في مقابل تلك الحكومات.

فحذفها من كتب الحديث أمر طبيعي قابل للتوجيه تماما .

ومما يدعم الروايات المذكورة توقيع صدر عن الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه، في جواب رسالة إسحاق بن يعقوب. فقد روى اسحاق أنه سأل محمد بن عثمان العمري أن يوصل له كتابا قد سأل فيه عن مسائل أشكلت عليه ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان :

«... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حججني عليكم وأنا حجة الله عليهم...»(2).

ص: 410

1- (1) البدر الزاهر (تقريرات درس سماحته) : ص 56.

2- (2) كمال الدين : 4 / 486.

قال الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في توضيح هذا التوقيع الشريف :

القصد من (الحوادث الواقعة) الحوادث الاجتماعية والمشكلات التي كانت تطرأ على المسلمين. وعلى نحو عام، سأل : لا سبيل لنا الآن إلى الاتصال بك . فماذا تفعل في الحوادث الاجتماعية؟ وما هو واجبنا؟ أو أنه ذكر حوادث ، وسأل قائلاً: لمن نرجع فيها؟

إن الذي يبدو هو أنه سأل بصورة عامة وأجابته الإمام * بما يقتضيه سؤاله أن يرجعوا في الحوادث والمشكلات إلى رواية أحاديثهم - أي : الفقهاء - فهم حججه على الناس وهو حجة الله عليهم ... (حجة الله) هو الذي نصبه الله لإنجاز الأعمال. وجميع أقواله وأفعاله حجة على المسلمين.

... فقهاء الإسلام حجة الله على الناس هذا اليوم. كما كان رسول الله حجة الله ، وفوضت إليه الأمور كلها، وكل من كان يخالف تقام عليه الحجة.

والفقهاء حجة على الناس من قبل الإمامة وفد فوضت إليهم شؤون المسلمين كافة . وكل من خالف في أمر الحكومة وتمشية أمور المسلمين. وأخذ العائدات العامة وصرفها فإن الله سبحانه سيحتج عليه(1).

يضاف إلى جميع ما ذكرناه أن كافة الأحاديث التي عدت قيادة الجائرين غير شرعية وحرمت طاعتهم وكذلك كل الأحاديث التي عرفت الفقهاء للناس على أنهم ورثة الأنبياء وخلفاء النبي وأمناء الله وأنبيأؤه، ويدهم مجارى الأمور والأحكام(2)، تذهب إلى أن المسلمين عندما لا يتسنى لهم أن يدركوا النبي وأوصيائه صلوات الله عليهم أجمعين - لأى سبب كان - فإنهم مكلفون أن يقرؤا بزعامة الفقهاء

ص: 411

1- (1) ولاية الفقيه للإمام الخميني : ص 19.

2- (2) انظر شؤون الفقيه للملا أحمد التراقي ، ولاية الفقيه للإمام الخميني ، دراسات في ولاية الفقيه للشيخ المنتظري

الحائزين على شروط القيادة، ويرجعوا إليهم فى الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية .

وجملة القول : لو لم يكن دليل إلا- إجماع أتباع أهل البيت عليهم السلام فى كافة العصور على نيابة الفقهاء عن الأئمة الأطهار عليهم السلام لكفى به من أجل إثبات ما قلناه .

نواب الإمام المهدي عجل الله فرجه بالتخصيص

استبان إلى هنا أن نيابة الفقهاء عن أوصياء النبي الأكرمة لا تقتصر على عصر غيبة الإمامة ، بل هى فى جميع العصور التى لا تنهياً فيها الظروف الاجتماعية لحكومة أوصياء النبي ، وعند حضورهم يكون الفقهاء مراجع لأمر وأحكام المناضلين والملتزمين بالإسلام بشكل غير رسمى. بيد أن إمام العصر اختار أربعة لنيابته الخاصة، فى بداية غيبته، منذ سنة 290 إلى سنة 329 هـ، وهم :

1- أبو عمر عثمان بن سعيد العمري.

2- أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد .

3- أبو القاسم الحسين بن روح.

4 - أبو الحسن على بن محمد السمرى.

إن أول سؤال يتبادر إلى الأذهان بشأن النيابة الخاصة لإمام العصر عجل الله فرجه هو: ما هى الحكمة من هذه النيابة ؟ والسؤال الآخر: هل تلغى النيابة العامة للفقهاء فى عصر الأئمة الآخرين مع النيابة الخاصة لهؤلاء الأربعة ؟ والسؤال الأخير : لماذا لم تستمر النيابة الخاصة للإمام لا وانقطع اتصال الناس به تماماً فى سنة 329 هـ؟

الحكمة من النيابة الخاصة

وقعت الولادة المباركة لإمام العصر(1)، روحى فداه فى أصعب الظروف التى مرت

ص: 412

1- (1) فى ضوء الرواية التى ذكرت أن الإمام * ولد سنة 290 هـ تـمـر الآن 1109 سنة على ولادته. ومن حسن الاتفاق انى أكتب هذه السطور فى وقت يحتفل فيه المسلمون الإيرانيون بذكرى ميلاده (فى النصف من شعبان سنة 1411 هـ نأمل أن يحظى هذا الكتاب بعنايته ورعايته ، ويكون مؤثراً ببركة دعائه فى إعداد الأمة الإسلامية ذهنياً وعملياً ، من أجل حكومة الإسلام العالمية بقيادته .

بها قيادة أوصياء النبي. إذ ولد في وقت كان الحكام العباسيون الجائرون يبذلون قصارى جهودهم للحؤول دون ولادة ذلك الموعود الذي كان رسول الله قد بشر به ، لبسط العدالة في العالم. لذلك اقتادوا جده وأباءه إلى معسكر سامراء ، ليكونا تحت رقابتهم المباشرة. من هنا كانت ولادته - كما تنبأ الإمام الباقر عليه السلام (1) سرية ، كولادة موسى ، ولم يطلع عليها إلا المقربون جداً من الإمام العسكرية . غاب عن الأنظار بعد استشهاد أبيه ، وله من العمر أربع أو خمس سنين .

ولو قطع اتصاله بأتباع أهل البيت في تلك الظروف تماماً لانفسح المجال لتأثير شق الخاسين والشياطين في ولادته . من هنا كان اتصاله بالناس عن طريق نوابه الخاصين منذ سنة 290 حتى سنة 329 هم مقتضى الحكمة وحكم الضرورة.

انتهاء النيابة الخاصة

كان آخر نائب للإمام عليه السلام هو علي بن محمد السمرى، وقد تسلم رسالة من الإمام قبل وفاته بستة أيام، وفيما يأتي نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفانك، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً ، وسيأتى (من) شيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينى

ص: 413

والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(1).

استمرار النيابة العامة في الغيبة الصغرى

لا ريب أن نيابة الفقهاء العامة التي كان أئمة أهل البيت قد أرسوا دعائها قبل عصير إمامة الإمام المهدي المصالح سياسية واجتماعية ظلت قائمة في أيام النواب الأربعة. إذ أن الغاية من هذا النوع من النيابة هي الحاجات العلمية والسياسية والاجتماعية لأتباع أهل البيت عليهم السلام، وتعذر اتصالهم بأنتمهم. وكانت هذه الغاية قائمة في فترة الغيبة الصغرى ونيابة النواب الأربعة.

بعبارة أخرى: عندما ينوب الفقهاء عن الإمام المعصوم في القيادة والمرجعية وهو حي - لظروف خاصة - فإن نيابتهم ستستمر بطريق أولى حين غيبته، إذا لم تتغير الظروف الاجتماعية.

إن نيابة النواب الأربعة لا تعنى أنهم كانوا مراجع رسميين في جميع الشؤون السياسية والاجتماعية لأتباع أهل البيت، بل كانت لها حكمتها الخاصة، كما وضحنا من قبل. من هنا فهي لا تتنافى مع استمرار النيابة العامة للفقهاء.

الحكمة من انقطاع النيابة الخاصة

إشارة

يمكن أن يكون لانقطاع النيابة الخاصة وعدم اتصال الإمام عجل الله فرجه

بأتباعه بعد وفاة علي بن محمد السمرى سنة 329 هـ حكمتان :

أ. حكمة سياسية

مر بنا أن الأحاديث قد تنبأت بطول عصير الغيبة الكبرى للإمام عجل الله فرجه. وفي هذا العصر تسلط الاستبداد والاستكبار على العالم الإسلامي بشكل

ص: 414

مخيف قرونة من الزمان، وانعدمت حرية الفكر والتعبير عن الرأي ، وتقلص نطاق التبصير ونشاط المتبصرين كثيرة، وكل تحرك يصب في تحكيم الإسلام يجمع بشدة . ففي مثل هذه الظروف تؤدي النيابة الخاصة إلى تقييد قادة تلك الفترة، ومضاعفة الضغوط والمشكلات عليهم، مما يفضي إلى محقتهم هم وأتباعهم لا محالة. من هنا دام هذا النوع من النيابة لمدة قصيرة نسبيا اقتضتها الضرورة.

ب - حكمة اجتماعية

اشارة

إضافة إلى الحكمة السياسية يمكن القول إن مصالح البناء الاجتماعي في عصر الغيبة التامة تنسجم مع النيابة العامة أكثر من غيرها. وفي المسيرة التكاملية للتاريخ فإن الناس لم يوقفوا - بعد إعراضهم عن حكم الأنبياء وأوصيائهم - في تجربتين خاسرتين في نظامي الحكم الاستبدادي والديمقراطي. وعلى نحو طبيعي فإن الناس بالتدريج بدأوا يقبلون على الإيمان بالحكومة الإلهية والقيادة الربانية.

وقد طوى المجتمع البشري في الحقيقة ثلاث مراحل في الحكم حتى عصر حكم الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه هي: مرحلة الأنبياء وأوصيائهم، ومرحلة الاستبداد، ومرحلة الديمقراطية. وتنتهي نيابة الإمام مرحلة التجربة الديمقراطية . ولما كان الناس لا يؤدون دورة في تعيين القائد أيام النيابة الخاصة فإن تأثير هذه النيابة سيكون أقل لتضاربها مع حاجات العصر. أما في النيابة العامة فللناس دورهم في تعيين القائد بصورة مباشرة أو غير مباشرة. من هنا يمكن أن تكون - في المرحلة التاريخية للتجربة الديمقراطية - أكثر فعالية في هداية الناس ، وتمهيد الأرض للحكومة الإسلام العالمية .

تجربة العصر الديمقراطي

ستثبت هذه التجربة للبشرية أنها غير قادرة على تحقيق الأهداف الإنسانية في

العالم، وعلى رأسها العدالة الاجتماعية .

بل إن الديمقراطية بلا دين ما هي إلا استبداد جديد . وفي آخر المطاف ستدرك البشرية أن الطريق الوحيد لسعادة الإنسان وتكامله المادى والمعنوى هو الرجوع إلى حكم الأنبياء بقيادة وارث الأنبياء والأوصياء جميعهم ، وهو المهدي الموعود عجل الله فرجه. قال الإمام الباقر فى هذا المجال :

دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا اذا رأوا سيرتنا : إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء(1) .

وجاء فى رواية أخرى عن الإمام الصادق :

ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس حتى

لا يقول قائل : إنا لو ولينا العدلنا ، ثم يقوم القائم بالحق والعدل(2).

دور الناس فى تعيين النواب العامين الإمام

إذا تأملنا فى الروايات التى تدل على ولاية الفقهاء ونيابتهم العامة تبين لنا أن مدلولها لا يعنى أن الناس عندما يتعذر عليهم الاتصال بأوصياء النبى ، فإنهم يعينون جميع فقهاء منطقتهم أو مجتمعهم حكامه وقادة، فتكون لهم ولاية على الناس بلا تعارض بينهم. لأن هذا العمل سيؤدى إلى الفوضى، وسيعنى أن كل فقيه من الفقهاء - فى الوقت الذى يخضع فيه لولاية فقيه آخر - تكون له ولاية عليه أيضاً . فالقصد منها هو أن للفقهاء الحائزين على الشروط صلاحية الحكومة والولاية، وعلى الناس أن يرجعوا إليهم .

من هذا المنطلق، ينبغى أن نقول: أنيط بالناس اختيار الحاكم، كما جاء فى

ص: 416

1- (1) الغيبة للطوسى: 672 / 693 ، بحار الأنوار : 52 / 332 / 58 .

2- (2) الغيبة للنعمانى : 53 / 276 ، بحار الأنوار : 52 / 266 / 119 .

الروايات. أى: يجب عليهم اختيار حاكمهم وولتتهم فى إطار الشروط والمواصفات التى وضعها الإسلام. أما كيف يحرز الناس الشروط اللازمة فى الحاكم وكيف يعينونه؟ فهذا ما يتعلق بهم أنفسهم. ومن البديهي أنهم سيعينون قائدهم إما مباشرة إذا استطاعوا، وإما عن طريق ممثلهم. وبناء على ما جاء فى دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية المستلهم من الآراء المباركة لفقيه العصر والقائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله عليه - فإن الشعب الإيراني المسلم يستطيع - بعد أن اختار قيادة ذلك القائد التاريخي العظيم مباشرة - أن ينتخب قائده عن طريق مجلس الخبراء. وفيما يأتي كلام الإمام فى هذا المجال :

إذا صوت الشعب على الخبراء لنبصبا له مجتهدا عادة يقوده وقاموا بذلك فإنه يحظى برضا الشعب لا محالة. وحينئذ يصبح ولى الشعب المنتخب، وحكمه نافذ»(1).

من هنا لا ولاية للفقهاء الحائزين على شروط القيادة قبل التصويت وبيعة الشعب أو ممثليه ، كما أن أحكامهم غير نافذة قبل ذلك. أما بعد التصويت فلهم الولاية على الناس، بما فيهم الفقهاء الحائزون على شروط القيادة. وعندئذ فهم نواب الإمام عجل الله فرجه نيابة عامة، ولا يجوز مخالفة أحكامهم الولائية . وكل مخالفة لهذه الأحكام تعد مخالفة لإمام العصر عجل الله فرجه، كما لاحظنا فى «مقبولة عمر بن حنظلة».

ص: 417

1- (1) صحيفة النور: 129 / 21 فى جوابه سنة 1909 م. عن رسالة آية الله المشكيني حول ملحق الدستور، بتاريخ 22 رمضان سنة 1409 هـ .

* كانت الأرضية الاجتماعية غير مساعدة لحكم أوصياء النبي بعد النبي . وكانوا على عكس الظروف العصبية التي عاشتها قيادتهم - لم يتوانوا لحظة واحدة عن تبصير الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناضلة الحكام الجائرين، واستشهدوا جميعهم على هذا الطريق .

ها جسدت القيادة اللامركزية للعالم الإسلامي - عبر النيابة العامة للفقهاء - خطة النضال عند أهل البيت ، في عصور تعذرت فيها قيادتهم بصورة غير مباشرة .

* قام أوصياء النبي بعمليين أساسيين في حقل التمهيد لحكومة الإسلام العالمية، هما:

أ. تجريد الحكومات الجائرة من الصفة الشرعية، وتحريم كل نوع من التعاون معهم، بما في ذلك مراجعتهم لأخذ حقهم.

ب - الإعلان عن مرجعية الفقهاء العدول وحاكمتهم.

* اختار الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه أربعة لنيابته الخاصة، اعتباراً من سنة 290 هـ إلى سنة 329 هـ . وهم بالترتيب: عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمرى.

* ليست الغاية من النيابة الخاصة القيادة المركزية للعالم الإسلامي عن طريق النواب الأربعة، بل الغاية هي الوقاية من تأثير وسوسة الختاسين وتشكيكهم في الولادة السرية للإمام ملا.

* استمرت النيابة العامة للفقهاء التي كان أئمة أهل البيت ع قد أرسوا دعائمها

قبل عصر الإمام المهدي لمصالح سياسية واجتماعية - في عصر النيابة الخاصة أيضا.

لا يمكن أن يكون الانقطاع النيابة الخاصة حكمتان :

أ - القيود والمشكلات المختلفة التي كانت تولدها هذه النيابة لقيادة أتباع أهل البيت خلال عصر الغيبة الطويل.

ب - معاكسة استمرار النيابة الخاصة لحاجات عصر التجربة الديمقراطية.

* لاتشير أدلة ولاية الفقيه إلى الولاية الفعلية لجميع الفقهاء بلا تعارض، لأن هذا الأمر يفضى إلى الفوضى ويستلزم أن تكون لكل فقيه ولاية على غيره من الفقهاء، فى حين هو خاضع لولاية فقيه آخر أيضا.

* مدلول أدلة ولاية الفقيه هو أن للفقهاء الحائزين الشروط صلاحية الحكومة والولاية، وعلى الناس أن يرجعوا إليهم.

هلا ولاية للفقهاء الحائزين على شروط القيادة، ولا نفوذ أحكامهم قبل تصويت الشعب وبيعة الناس أو ممثلهم إياهم.

ها إذا بايع الناس الفقيه الجامع لشروط القيادة فله الولاية شرعا عليهم وعلى سائر الفقهاء الحائزين على الشروط، ولا يجوز مخالفة أحكامه الولاية.

ص: 419

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

